هل التاريخ يعيد نفسه؟



تأليف
ماجد بن مسفر

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القحطاني، ماجد مسفر سعيد
هل التاريخ يعيد نفسه / ماجد مسفر سعيد القحطاني –
الدمام، ١٤٣٥هـ
٢٤٠ ص ؛ ١٧×٢٤سم
ردمك: ٨-٤٨٣١-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- التاريخ الإسلامي في العصر العباسي
٢- تاريخ العصر الحديث أ.العنوان
ديوي ٩٥٣.٠٤ ٣٥٦١/ ١٤٣٥

رقم الإيداع: ٣٥٦١/ ١٤٣٥
ردمك: ٨-٤٨٣١-٠١-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م


بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي قاد المسلمين لا بتشريع بشري يوناني أو روماني، ولا بتشريع ممزوج بأهواء ومصالح خاصة يتخبط في أخطاء، ويغوص في أزمات، بل قاد قافلة التحرر العربي والإنساني إلى حياة العزة والكرامة والاستقرار بتشريـع السماء فصلى الله عليه وسلم وبعد:

اقــرؤا التاريخ إذ فيه العِبَر ضلَّ قومٌ ليس يدرون الخَبَر

يخطئ من يظن أن التاريخ أمرٌ مضـى وانقضى، فالحاضر هو إمتداد للماضي بخيره وشره، وانتصارات اليوم هي انعكاس لانتصارات الأمس، وانكسارات الحاضر هي نتيجة حتمية لإنكسارات الماضي، ولذلك فإن من لا يحسن قراءة التاريخ لا يحسن فهم الحاضر ولا الإستعداد للمستقبل، والتاريخ ليس سرداً للأحداث ولا تسجيلاً للوقائع، ولكنه عرض لذلك كله مع التفسير والتحليل، واستخراج للعبر والدروس من هذه الأحداث، هكذا ينبغي علينا أن نفهم التاريخ كما فهمه أسلافنا ؛ فملكوا الدنيا وخضعت لهم العرب والعجم.

بداية لا بد ان نؤكد على حقيقة هامة وهي ان التجربة البشرية في كل زمان ومكان هي مزيج من النجاح والفشل، ولا تشذ تجربة الخلافة الاسلامية عن هذه القاعدة، فهي تجربة انسانية بحتة اختلط فيها الخطأ بالصواب، والرشد بالتيه، والصعود بالهبوط والأبيض بالأسود.

يُعرّف ابن خلـدون التاريخ فيقول: «.. فإن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال، وتشد إليها الركائب والرحال، وهو في ظاهره لا يزيد عن أخبار الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق؛ فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق».

هل التاريخ يعيد نفسه...

يقول الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاس ﴾ آل عمران ١٤٠.

من يقرأ التاريخ يجد أن التاريخ لا يعيد نفسه في نفس المكان أوالزمان بل تجده متشابهاً في عصور أخرى وأماكن أخرى.

فقد تجد تحالف الصليبين وأهل المذاهب الباطنية تتكرر كثيرا، وأيضاً قد ترى الصليبين في غدرهم للمواثيق بالمسلمين. ومن يقرأ عن طريقة ملك الصليبين في الحروب الصليبية يظن أنه يصف أحد رؤساء الدول الغربية في عصرنا.

ومن يقرأ عن أفعال الدول الباطنية في العصور السابقة يتفهم مايحصل في عصرنا الحديث.

وقد ترى الدول الإسلامية تتكرر تبدأ بقوة وعزة للمسلمين عند تحكيمها بالشريعة الإسلامية وتضعف عند الترف والطمع بين المسلمين والإنقسام والبعد عن هذا الدين.

ومن متابعتي القريبة للأخبار السياسية يومياً وإطلاعي على تاريخ الأمم السابقة وجدت أن التاريخ يتكرر على المسلمين من غدر أعدائهم،

ووجدت أن المسلمين وحكامهم يكررون نفس الأخطاء السابقة من غير تعلم، فقررت تأليف هذا الكتاب. وقد ذكرت معظم القصص مختصره لكي لايمل القارئ ولكن بشكل مفيد، والله المعين.

يقول رسول الله ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا". قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: "أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ". قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: "حُبُّ الْحَيَاةِ، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوت» رواه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٢٧٨.

ولعل القارئ يتساءل لماذا بدأت من الدولة العباسية وقد سبقتها خلافتان (الخلفاء الراشدون، والدولة الأموية) وذلك لأن الدولة العباسية تميزت بشيوع الإضطرابات والثورات طوال تاريخ الدولة تقريباً، وإن كانت هذه الاضطرابات تحدث في عصر خليفة قوي أحياناً، وفي عصور خلفاء ضعافٍ أحياناً أخرى كثيرة.

* * * *

الدولة العباسية

استمرت الخلافة العباسية من سنة ١٣٢ هـ إلى ٦٥٦هـ للهجرة أي لمدة ٥٢٤ سنة.



صورة للدولة العباسية باللون الفاتح واللون الغامق الأندلس وماتبقى للدولة الأموية.

الدولة العباسية أو الخلافة العباسية أو العباسيون هو الاسم الذي يُطلق على ثالث خلافة إسلامية في التاريخ، وثاني السلالات الحاكمة الإسلامية، استطاع العباسيون أن يزيحوا بني أُمية من دربهم ويستفردوا بالخلافة، وقد قضوا على تلك السلالة الحاكمة وطاردوا أبنائها حتى قضوا على أغلبهم ولم ينج منهم إلا من لجأ إلى الأندلس.

تأسست الدولة العباسية على يد المتحدرين من سلالة أصغر أعمام النبي ﷺ ألا وهو العباس بن عبد المطلب، وقد اعتمد العباسيون في تأسيس دولتهم على الشيعة الفرس الناقمين على الأمويين لاستبعادهم إياهم من مناصب الدولة والمراكز الكبرى وكانت الدولة الاموية مُحقة في ذلك حيث وجدنا أنهم من أكبر أسباب إنهيار الدولة العباسية.

فقد نقل العباسيون عاصمة الدولة، بعد نجاح ثورتهم، من دمشق، إلى الكوفة، ثم إلى الأنبار قبل أن يقوموا بتشييد مدينة بغداد لتكون عاصمة الخلافة الإسلامية، والتي ازدهرت فأصبحت إحدى أكبر مدن العالم وأجملها، وحاضرة العلوم والفنون.

تنوّعت الأسباب التي أدّت إلى إنهيار الدولة العباسية، ومن أبرزها: بروز حركات شعوبية ودينية مختلفة في هذا العصر، وقد أدّت النزعة الشعوبية إلى تفضيل الشعوب غير العربية على العرب، وقام جدل طويل بين طرفيّ النزاع، وانتصر لكل فريق أبناؤه. وإلى جانب الشعوبية السياسية، تكوّنت فرق دينية متعددة عارضت الحكم العبّاسي. وكان محور الخلاف بين هذه الفرق وبين الحكام العبّاسيين هو « الخلافة » أو إمامة المسلمين. وكان لكل جماعة منهم مبادؤها الخاصة ونظامها الخاص وشعاراتها وطريقتها في الدعوة إلى هذه المبادئ الهادفة لتحقيق أهدافها في إقامة الحكم الذي تريد. وجعلت هذه الفرق الناس طوائف وأحزابًا، وأصبحت المجتمعات العباسيّة ميادين تتصارع فيها الآراء وتتناقض، فوسّع ذلك من الخلاف السياسي بين مواطني الدولة العبّاسية وساعد على تصدّع الوحدة العقائدية التي هي أساس الوحدة السياسية[١].

ومن العوامل الداخلية التي شجعت على انتشار الحركات الانفصالية، إتساع رقعة الدولة العبّاسية، ذلك أن بعد العاصمة والمسافة بين أجزاء الدولة وصعوبة المواصلات في ذلك الزمن، جعلا الولاة في

---

١ المصور في التاريخ، الجزء السادس. تأليف: شفيق جحا، منير البعلبكي، بهيج عثمان، دار العلم للملايين، صفحة ٦-٨

البلاد النائية يتجاوزون سلطاتهم ويستقلون بشؤون ولاياتهم دون أن يخشون من الجيوش القادمة من عاصمة الخلافة لإخماد حركتهم الانفصالية والتي لم تكن تصل إلا بعد فوات الأوان، ومن أبرز الحركات الانفصالية عن الدولة العباسية: الحركه العُبيدية والبُويهية والأدارسة في المغرب العربي والقرامطة وغيرهم الكثير.

وخلال رحلة الدولة العباسية الطويلة في التاريخ، لم يجد المؤرخون بدًّا من تقسيم هذه الدولة إلى عصور ثلاثة: العصر الأول ١٣٢هـ / ٢٣٢هـ وفيه كانت السلطة للخلفاء ما عدا المغرب والأندلس. والعصر الثاني ٢٣٢هـ / ٥٩٠هـ وفيه ضاعت السلطة من الخلفاء لتكون في يد الأتراك والبويهيين ودولاً شيعية أخرى. والعصر الثالث ٥٩٠هـ / ٦٥٦هـ وفيه عادت السلطة إلى أيدي الخلفاء في حدود بغداد وما حولها، دون بقية أملاك الخلافة التي سطا عليها الطامعون.

وبالرغم من خطورة الفتنة الكبرى التي تمت بين الصحابة إلا أنها كانت أرحم بكثير من الفتنة التي صاحبت قيام الدولة العباسية، وذلك أنَّ الصحابة كانوا مجتهدين ؛ فمنهم من أصاب ومنهم من أخطأ ولكلٍّ أجره، ولكن هنا كانت الدنيا محرِّكة لأطراف كثيرة في الصراع إلى حد كبير في هذه الدولة.

* * * *

التطور والحركة الدينية والعلمية في عهد الدولة العباسية[1]

الحضارة الإسلامية هي جزء من دين ملؤه الرقي والسمو ويكون بالأخلاق الفاضلة والعادات والتقاليد المحترمة والعلوم المزدهرة، وهذا المفهوم عرفته الشعوب الإسلامية الأولى وطبقت دعوى الإسلام فحققت الازدهار والتطور في مختلف مجالات الحياة فأمنت للعالم الإسلامي عظمة وهيبة جعلته الرائد بلا منازع، وفتحت المجال أمام الأسماء الإسلامية بأن تبرز وتخرج لتُعرف بالعقل المسلم ولتَرفع عنه الاتهامات، فحقق عباقرتها انجازات خدمت البشرية مدى الدهر، وجعلت الاعترافات تقربها، فاكتشف العلماء واخترعوا وألفوا وبلغت أوجها في العهد العباسي، وحيث أنه كان يوجد فساد إداري وتدهور إقتصادي وضعف سياسي لكن كانت المساجد تغص بطلبة العلم، حيث ان مساحة الدولة كبير، من حق أي عالم الذهاب لأي بلد أو أي دولة من الدويلات وكان بين الملوك والأمراء منافسة في جلب العلماء والشعراء ليباهي به الحكام الآخرين.

ولكن كأية حضارة في الوجود لابد لها من الزوال عساها تفتح المجال أمام حضارة أخرى، وطبعا بعد انتشار الغرور، والضياع اللهو والفساد، والابتعاد عن المبادئ المرسومة. وقبل أن نغوص في خرابها ودمارها وكشف أخطائها.

---

١ ويكيبيديا مع التصرف

لما لا نتكلم عن فضائلها ومحاسنها ولنفخر كثيرا بأصلنا. ولعلنا نتطرق إلى عدة مواضيع منها:-

دين الإسلام

يعتبر الدين الإسلامي أحد المقومات الرئيسية التي قامت عليها الدولة العباسية، وقد شهد هذا الدين في كنفها تطوراً كبيرًا كان له الأثر السلبي في بعض الأحيان وأثر إيجابي في أحيان أخرى. فإن انتشار الإسلام بين الشعوب غير المسلمة وفهم هذه الأخيرة للإسلام بطريقتها الخاصة المتأثرة بفلسفاتها ومعتقداتها القديمة، فضلاً عن الاجتهادات الخاصة لبعض الفقهاء، أدى إلى نشوء طوائف ومذاهب عديدة داخل المؤسسة الإسلامية نفسها، بعضها اندثر والبعض الآخر لا يزال حتى اليوم.

من الطوائف الإسلامية التي نشأت خلال العهد العباسي المعتزلة والمرجئة والإباضية وغيرهم، كما نشأت عن الطائفة الشيعية عدة طوائف نتيجة اختلافات فقهية أو اختلاف حول وراثة منصب الإمام الشيعي فنشأت بذلك الطائفة الإسماعيلية والعلوية والدرزية. أيضًا فإن بدايات الصوفية نشأت في العصر العباسي وترعرعت فيه مدارسها وتقنياتها المختلفة وصيغت أدبياتها.

ولم تكن العلاقة جيدة بين مختلف الطوائف، رغم أن الباحثين يسوقون قيامها إلى الغنى الثقافي والتنوع الحضاري، إذ قامت العديد من الفتن والاقتتالات الطائفية بين مختلف الطوائف وبشكل متواتر طوال تاريخ الدولة ما أثر على وحدتها وولاء مواطنيها.

من أبرز تأثيرات العصر العباسي أيضًا، ظهور وتطور المذاهب والمدارس الفقهية التي حصرت بأربع مدارس كبرى هي الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية، وكانت هذه المدارس شكلاً من أشكال التنوّع في تفسير العقيدة. وغالبًا ما كان الخلفاء يحيطون أنفسهم بقضاة من المذاهب الأربعة كذلك الحال في الجامعات الكبرى المعنية بالشريعة كالجامعة المستنصرية. وتميّز العهد العباسي أيضًا بالاهتمام بجمع الحديث النبوي وغربلته بقصد التحقق من مدى دقته وصلته بالنبي محمد ﷺ، وإن أشهر جامعي الحديث قد برزوا خلال العصر العباسي، البخاري ومسلم والترمذي وأحمد وغيرهم، مما لا يزال فقهاء الإسلام يعتمدون عليهم إلى اليوم، ما يدلّ على التأثير العميق للعصر العباسي في العلوم الشرعية والفقهية. ونشأت عدة مدارس تختصّ بعلوم الحديث أشهر هذه المدارس مدرسة المدينة المنورة ومدرسة أهل الرأي في العراق، وظهر علم « قراءات القرآن » في العصر العباسي، منعًا لاختلاف القراءات بحكم تعدد اللهجات، واختير في سبيل ذلك سبعة قرّاء اشتهروا بعلمهم وفضلهم.

إن العباسيين حتى في الأزمنة التي كفوا فيها عن رعاية العلوم والفنون لم يكفوا قط عن رعاية المدارس الفقهية وتمويلها، وانطلاقًا من هنا فإن الغزو المغولي الذي دمر المدن الكبرى وأتلف محتويات المساجد والمكتبات في بغداد وحلب ودمشق ترك المسلمين في حال يوصف باليتيم،

ففقهاء العصر المملوكي لم يكونوا مهتمين بتطوير الفتاوي والاجتهادات الفقهية بقدر ما كانوا مهتمين بإعادة تجميع ما قد ضاع وفقد منها[١].

الحركة العلمية

شهدت الحركة العلمية في العصر العباسي ازدهارا كبيرا في شتى الميادين، يعود سببه إلى ظهور الكثير من العلماء والمفكرين في مختلف العلوم وانتشار حركة الترجمة واهتمام الخلفاء بها، إضافة إلى التوسع في التعليم العام وبناء المدارس والمؤسسات الثقافية مثل دور العلم فضلا عن المساجد.

ومن العلماء البارزين في اللغة والادب والشعر وعلم النحو الخليل بن أحمد الفراهيدي والجاحظ في الادب والبلاغة والاصمعي في الأدب واللغة، كما تميز الإمام بن ثابت الكوفي المعروف بأبي حنيفة والقاضي ابي يوسف في علم الفقه. أما شعراء هذا العصر فمن أبرزهم أبو العتاهية وعباس بن الأحنف وابو تمام الطائي والبحتري والمتنبئ والشريف الرضي وأبو العلاء المعري وأبو نواس ومن المؤرخين البارزين محمد بن جرير الطبري واليعقوبي وبرز في الجغرافية المسعودي وفي الرياضيات، الفلك، الفيزياء، الطب. ولم يعرف العرب علم الرياضيات إلا في العصر العباسي، عندما اضطروا إلى ترجمة العلوم، ومنها الحساب عن الأمم الأخرى. وقد

---

١ بعد سقوط الخلافه العباسية في بغداد لم يعد في العالم الإسلامي تجمع دولة إلا المماليك التي حكمت مصر والشام والحجاز وأصبحت أقوى دولة في ذلك الوقت مع وجود دويلات المغرب العربي مع ضعفها الشديد.

نقل العرب الحساب الهندي والأرقام الهندية من الهند وقيل من اليونان، أما علم الجبر فهم واضعوه بأنفسهم، وإلى العرب يعود الفضل في نقله إلى سائر أقطار العالم، كما إليهم يرجع الفضل في تطبيقه على علم الهندسة. ومن أشهـر علماء العرب في الرياضيات الخوارزمي، أما علم الفلك فهو العلم الذي يبحث في النجوم والكواكب من حيث مواضعها وحركاتها، وقد ورث الغرب هذا العلم عن العرب القدماء وأضافوا إليه ما نقلوه عن اليونان والفرس والهند والكلدان. وقد بلغ هذا العلم ذروته في العصر العباسي أيام عصر المأمون حيث كان في بغداد مركز هام لرصد النجوم ومباحث علم الفلك، ومن أبرز علماء الفلك في ذلك العصر البيروني.

قالوا عن البيروني:

المستشرق سخاو: "إن البيروني أكبر عقلية في التاريخ"، ويصفه عالم آخر بقوله: "من المستحيل أن يكتمل أي بحث في التاريخ أو الجغرافيا دون الإشادة بأعمال هذا العالم المبدع.

أما الفيزياء فان العرب ساهموا فيه بقسط كبيرو لكن أكثر الكتب التي أُلفت في هذا العلم قد ضاعت ولم يبق إلا بعض الكتب والرسائل لحسن ابن الهيثم، حيث نجد فيها فصولا دقيقة عن الحرارة وعن الرؤية، والمرايا العاكسة والظلال وشبه الظلال والانكسارات الضوئية، وكتابه المسمى (البصريات) يعتبر أول كتاب علمي ظهر في العالم القديم، وقد ترجم إلى لغات كثيرة ولا يزال يعتمد عليه الأوربيون في بحوثهم الضوئية حتى الآن.

ويُعَدُّ الخوارزمي من أكبر علماء العرب، ومن العلماء العالميين الذين كان لهم تأثير كبير على العلوم الرياضية والفلكية والجبر والهندسة، وفي هذا الصدد يقول ألدو ميلي: "وإذا انتقلنا إلى الرياضيات والفلك فسنلتقي، منذ البدء، بعلماء من الطراز الأول، ومن أشهر هؤلاء العلماء أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي.

يظهر اثر تطور العلم في هذا العصر في إنشاء المدارس وتعد من أقدم الجامعات في العالم ويدرس فيها علوم القرآن والفقه والفلسفة والحديث والعلوم التطبيقية كالطب والصيدلة والرياضيات وغيرها كالمدرسة المستصرية ومدارس أخرى.

الجيش

الجيش العباسي كان جيشًا دائمًا مستقراً، يقيم أغلب جنده في بغداد إلى جانب الخليفة مع وجود جيوش منفصلة في الولايات، ومن ثم للدول التي نشأت في كنف الدولة العباسية، كان الجيش خلال عهد القوة يأتمر بأمر الخليفة ثم بات خلال عهود الضعف يتحرك بأمر الولاة والسلاطين[1].

كان ينفق على الجيش من خزينة الدولة مباشرة، ولما زاد عدد الجند إلى درجة أثرت على الأسعار والاستقرار المعيشي في بغداد اضطر الخليفة المعتصم إلى نقل عاصمة الدولة إلى سامراء مسكنًا لكتائب جيشه فيها. وفي عهود الضعف اللاحقة لعب الجيش الدور البارز في إدارة دفة الحكم

١ عوامل سقوط الدوله العباسية (موقع طارق السويدان)

وشكل قادة الجيش جزءًا أساسيًا من الطبقة الحاكمة، بل إن مهمة الجهاد والدفاع عن حدود الدولة تركت لجيوش سلاطين الولايات أغلب الأحيان، في حين اهتمّ جيش الخلافة في بغداد بالحروب الداخلية وتعيين الخلفاء والسلاطين وعزلهم. على أن جيش بغداد قد تبع دومًا لإمرة السلطان مع وجود فصيل مستقل يدعى «حرس الخلافة » ويلقب قائده بـ« مؤتمن الخلافة » يتبع القصر مباشرة. وعمومًا فإن جيوش الولايات كانت أكبر وأقوى من جيش بغداد وحققت إنجازات أعمق كجيشي الدولة الزنكية والدولة الأيوبية.

أما أسلحة الجيش فقد كانت بالنسبة للجندي تقليدية ممثلة بالسيوف والدروع والهروات، وتمتع الجيش بأسلحة أخرى متطورة بمقاييس عصرها كالمنجنيق والمدقة والدبابة القديمة[1].

الفساد الإقتصادي وضعف الدولة

ومن أمثلة الفساد الإقتصادي

(من جمادى الآخرة ٣٣٤هـ حتى خلع في ذي القعدة ٣٦٣هـ)

وقد عانى الخليفه الفضل المطيع لله بن المقتدر من شغب الجند عليه فاضطر إلى استرضائهم بإقطاع القادة والجند إقطاعات السلطان وأصحاب الأملاك فخربت البلاد لذلك، وعم الغلاء والنهب.. ولم تمض سنة على بغداد حتى اشتد الغلاء فأكل الناس الميتة والكلاب، وأكل الناس خروب

١ الجيش العربي الإسلامي (موقع) الموسوعة العربية

الشوك، وكانوا يسلقون حبه ويأكلونه فلحق الناس أمراض وأورام في أحشائهم، وكثر فيهم الموت حتى عجز الناس عن دفن الموتى فكانت الكلاب تأكل لحومهم، وانحدر كثير من أهل بغداد إلى البصرة، فمات أكثرهم في الطريق وبيعت الدور والعقارات بالخبز.

فكان نظام الإقطاعات أول فساد بالعراق، لأنه أضعف همة الفلاحين الذين يقومون بزرع الأرض وإصلاحها[1].

النظام الإقطاعي: هو نظام اجتماعي اقتصادي سياسي حربي قائم على حيازة الأرض وينظم العلاقة بين السيد الإقطاعي والتابع.

وكانت تشكل غالبية المجتمع وكانت حياتهم صعبةً جداً. فكانت الأرض ملك السيد وقد كان الفلاح يتبع الأرض أينما ذهبت، بمعني أنه إذا بيعت الأرض تباع بمن عليها من الفلاحين، فالفلاح ليس له حق في الحياة سوى أن يخدم الأمير ويفلح الأرض.

* * * *

---

١ ضعف الخلافة العباسية وزوال البويهيين

فرق الباطنية وسبب التسمية

فإن الله تعالى قضى بالابتلاء، وابتلى هذه الأمة بأمور متعددة، تمحيصاً، واختباراً، وتمييزاً لأهل الجنة عن أهل النار، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ببعض هذه الابتلاءات، ومن ذلك: التغير الكبير الذي سيطرأ عليها بعد وفاة نبيها، وأخبر أنه من يعش منهم من بعده فسيرى اختلافاً كثيراً، فقال: ((وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، وأخبر أنها جميعاً في النار إلا واحدة وهي التي تتبع ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه)). وحذرنا من محدثات الأمور في مواجهة هذا الابتلاء، فقال: ((فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين)))[رواه أبو داود (٤٦٠٧).

وأوصانا أن نعظ عليها بالنواجذ، وأخبرنا أن كل بدعة ضلالة، وأن كل ضلالة في النار، وبين الله لنا سبيل الحق في كتابة، فقال:﴿ وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ سورة الأنعام:٥٥، ومن هؤلاء أهل البدع.

من الدين كشف الستر عن كل كاذب

وعن كل بدعي أتى بالعجائب

وكان من الفرق الخطيرة جداً؛ إن لم تكن هي أخطر الفرق على الإطلاق، التي ابتليت بها هذه الأمة؛ ولا تزال ترزح تحت الابتلاء بها ؛ الفرق الباطنية، بشتى أنواعها.

وقد سموا بذلك؛ لأنهم يظهرون شيئاً، ويبطنون آخر، ويزعمون أن نصوص الكتاب والسنة لها ظاهر وباطن، فدينهم مختلف عن دين الإسلام، بل هو متناقضات، فهي طائفة مخذولة، وفرقة مرذولة، ومأوى لكل من أراد هدم الإسلام، وكانوا أعوان اليهود، والنصارى، والمشركين، والذين جاءوا لغزو المسلمين، وقد أقاموا لهم كيانات في عدد من بلدان العالم الإسلامي في القديم والحديث.

وإليكم نبذة عن مجموعة من هذه الدول:

دولة القرامطة

ومما ينبغي ذكره دولة القرامطة فإنها دولة كان منها على الإسلام مصائب ما أصيبوا بمثلها، وكان ابتداء أمرهم من سنة ٢٧٨هـ في خلافة المعتمد على الله بن المتوكل بن المعتصم، وقوي أمرهم في سنة ٢٨٦هـ في خلافة المعتضد، واستمر أمرهم سنيناً متطاولة.

وهم فرقة من الزنادقه الملاحده أتباع الفلاسفه من الفرس، ويقال لهم الإسماعيلية نسبةً إلى إسماعيل الأعرج ابن جعفر الصادق. ويقال لهم القرامطة، نسبة إلى قرمط بن الأشعث البقار، ويقال لهم الباطنية لأنهم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض، ويقال لهم المحمرة نسبة إلى صبغ الحمرة شعاراً ومضاهاةً لبني العباس ومخالفة لهم، قيل لأن بني العباس يلبسون السواد.

فكان ابتداء أمرهم قدوم رجل من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة ومقامه بموضع منه يقال له النهرين يظهر الزهد والتقشف ويسف الخوص

ويأكل من كسبه ويكثر الصلاة فأقام على ذلك مدة فكان إذا قعد إليه إنسان ذكرهُ أمر الدين وزهده في الدنيا وأعلمه أن الصلاة المفترضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة حتى فشا ذلك عنه بموضعه ثم أعلمهم أنه يدعو إلى إمام من أهل بيت الرسول فلم يزل على ذلك يقعد إليه الجماعة فيخبرهم من ذلك بما تعلق قلوبهم.

وكان فيما حكوا عن هؤلاء القرامطة من مذهبهم أن جاؤوا بكتاب فيه وذُكر أن المسيح تصور له في جسم إنسان وهو محمد بن أحمد بن الحنيفيه وقال له إنك الداعية وإنك الحجة وإنك الناقة وإنك الدابة وإنك روح القدس وإنك يحيى بن زكرياء وعرفه أن الصلاة أربع ركعات ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها وأن الأذان في كل صلاة أن يقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله مرتين أشهد أن آدم رسول الله أشهد أن نوحا رسول الله أشهد أن إبراهيم رسول الله أشهد أن موسى رسول الله وأشهد أن عيسى رسول الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأن يقرأ في كل ركعة الاستفتاح وهي من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية والقبلة إلى بيت المقدس والحج إلى بيت المقدس ويوم الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء والسورة الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه المتخذ لأوليائه بأوليائه قل إن الأهلة مواقيت للناس ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام وباطنها أوليائي الذي عرفوا عبادي سبيلي اتقون يا أولي الألباب وأنا الذي أسأل عما أفعل وأنا العليم الحكيم وأنا الذي أبلوا عبادي وامتحن خلقي فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري ألقيته في جنتي وأخلدته في نعمتي ومن زال عن أمري وكذب رسلي أخلدته

مهانا في عذابي وأتممت أجلي وأظهرت أمري على ألسنة رسلي وأنا الذي لم يعل علي جبار إلا وضعته ولا عزيز إلا أذللته وليس الذي أصر على أمره وداوم على جهالته وقالوا لن نبرح عليه عاكفين وبه مؤمنين أولئك هم الكافرون، ثم يركع ويقول في ركوعه سبحان ربي رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون يقولها مرتين فإذا سجد قال الله أعلى الله اعلى الله أعظم الله أعظم.

ومن شرائعه أن الصوم يومان في السنة وهما المهرجان والنوروز وأن النبيذ حرام والخمر حلال ولا غسل من جنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة وأن من حاربه وجب قتله ومن لم يحاربه ممن خالفه أخذت منه الجزية ولا يؤكل كل ذي مخلب[1].

وقد تبعهم ناس لأنهم يرون السيف على أمة محمد إلا من بايعهم على دينهم.

ثم بعد هذا كله لهم مقامات في الكفر والزندقه، وهو مما فتحه إبليس عليهم من أنواع الكفر وأنواع الجهالات، كما قال شاعرهم:

وكنـــت امرأ من جند إبليس بـــرهـــة

من الدهر حتى صار إبليس من جندي

---

١ تاريخ الطبري ٥(/ ٦٠٢)

ظهور أبي سعيد الجنّابي رأس القرامطة

قدم رجل يقال له يحيى بن المهدي، فقصد القطيف ونزل على رجل يعرف بعلي بن المعلى، وكان من الغلاة فأظهر له يحيى أنه رسول المهدي وذكر له أنه خرج إلى أتباعه في البلاد يدعوهم إلى أمره وأن ظهوره قد قرب، فجمع له ابن المعلى أتباعه من أهل القطيف وأقرأهم كتاباً مع يحيى بن المهدي يزعم أنه من المهدي فأجابوه وقالوا إنهم خارجون معه إذا ظهر أمره، ووجه إلى سائر قرى البحرين يدعوهم لذلك فأجابوه.

وكان ممن أجابه أبو سعيد الجنَابي (بتشديد النون) ثم إجتمع على أبي سعيد الجنّابي خلق كثير من الأعراب والقرامطة فقتل من كان حوله من أهل القرى ممن لم يدخل تحت طاعته.

وخرج في سنة ٢٨٦هـ يريد البصرة فكتب عامل البصرة إلى الخليفة المعتضد فأمره ببناء سور على البصرة فبناه وأنفق في عمارته أربعة عشر ألف دينار، ثم رجع فأغار أبو سعيد بمن معه من الجيوش على نواحي هجر وقوي أمره فجهز المعتضد لقتاله الجيوش ووقع بينهم وبينه وقائع يطول ذكرها.

وكان لهم دعاة كثيرون منتشرون في أقطار الأرض حتى أحدثوا في كل موضع فتنة، ومن دعاتهم علي بن الفضل القرمطي الخارج في صنعاء واليمن، وكان يعاهد الناس على بيعة المهدي الذي بشر به النبي ﷺ، وتبعه خلق كثير وأحدث باليمن فتناً كثيرةٌ وقتل خلقاً كثيراً، وصار له ملك ضخم.

وامتد ملك القرامطة إلى نواحي الشام ومصر واليمن والحجاز وملكوا جانباً من العراق، وتوفي الخليفة المعتضد سنة ٢٨٩هـ وبويع بالخلافة ابنه المكتفي وبقي القتال بينه وبين القرامطة، وزاد أمرهم وانتشرت جيوشهم في أقطار الأرض، وتعرضوا للحُجاج ونهبوا الحج وقتلوا كثيراً من الحُجاج سنة ٢٩٤هـ، وبقى هذا الرجل الخبيث وقومه في قطع الطريق على الحجاج كل سنة حقداً على الإسلام وكفراً، وتوفي المكتفي سنة ٢٩٥هـ وبويع بعده أخوه المقتدر وبقي القتال بينه وبين القرامطة في مواضع كثيرة.

وفي سنة ٣٠١هـ قتل أبو سعيد الجنّابي رئيس القرامطة وقائد جيوشهم بالحمام قتلَه خادم له صقلبي، وكان أبو سعيد قد استولى على هجر والأحساء والقطيف والطائف وسائر بلاد البحرين، وعهد إلى ابنه سعيد فانتزع الأمر منه أخوه أبو طاهر وقام بأمر القتال وقيادة الجيوش والدعوة إلى مذهب القرامطة، وقد هاجم أبو طاهر البصرة في ألف وسبعمائة مقاتل حيث نصب سلالم الشعر على الأسوار ودخلها قهراً وفتحوا أبوابها وقتلوا من لقوة من أهلها وهرب أكثر الناس، فألقوا أنفسهم في الماء فغرق كثير منهم وبقي سبعة عشر يوما يقتل ويأسر من نسائها وذراريها ويأخذ مايختار من أموالها ثم عاد إلى هجر .

وكان لهذه الطائفة اعتقاد قبيح بل كفر صريح كانوا يستبيحون دماء المسلمين، ويرون ضلال كافة المسلمين وقام النجس الخبيث أبي طاهر القرمطي وبنى داراً في هجر وسماها دار الهجرة وأراد نقل الحج إليه، وكثر

فتكه بالمسلمين وسفكه دماءهم وأخذه أموالهم. واشتد الخطب في أيامه حتى انقطع الحج في أيامه خوفاً منه ومن طائفته الفاجرة.

وفي سنة ٣١٢هـ إعترض أبو طاهر بن أبي سعيد الجنّابي للحجيج وهم راجعون من بيت الله الحرام، وقد أدوا فرض الله عليهم فقطع عليهم الطريق فقاتلوه دفعا عن أنفسهم وأموالهم ونسائهم فقتل منهم خلقا كثيراً، وكان عدد من مع القرمطي ثمانمائة مقاتل[١].

وفي سنة ٣١٦ هـ عاث أبوطاهر الجنّابي القرمطي في الأرض فساداً حاصر الرحبه[٢] فدخلها قهراً، وقتل من أهلها خلقا حتى صار الناس إذا سمعوا بذكره يهربون من سماع إسمه، وعاث في نواحي الموصل فساداً وفي سنجار ونواحيها، وخرب تلك الديار وقتل وسلب ونهب، ورام في نفسه دخول الكوفة وأخذها فلم يطق ذلك ثم جهز الخليفة جيشاً كثيفاً، بقيادة مؤنس الخادم فأاقتتلوا مع القرامطة فقتلوا من القرامطة الكثير وأسروا منهم طائفة كثيرة ومن أشرافهم الكثير، ودخل بهم مؤنس ومعه أعلام من أعلامهم منكسة مكتوب عليها ﴿ وَنُرِيد أَنْ نَمُنّ عَلَى الَّذِينَ اُسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْض.... ﴾ ففرح الناس فرحا شديداً وانكسر القرامطة.

ففي أواخر سنة ٣١٧هـ لم يشعر الحجاج بمكة يوم الثامن من ذي الحجة إلا وقد وافاهم عدو الله أبو طاهر القرمطي في جيش ضخم فدخلوا بخيلهم وسلاحهم إلى المسجد الحرام ووضعوا السيف في الطائفين

١ تهذيب البداية والنهاية ٣٩١.

٢ في الشام

والمصلين والمحرمين إلى أن قتلوا في المسجد الحرام وفي مكة وشعابها نحو ثلاثين ألفاً وسبوا من النساء والذرية مثل ذلك. وتلك مصيبة ما أصيب الإسلام وأهله بمثلها. وركض عدو الله أبو طاهر عند الكعبة بسيفه مشهوراً بيده ـ قيل وهو سكران ـ وصفر لفرسه عند البيت الشريف فبال وراث، والحجاج يطوفون حول البيت والسيوف تنوشهم، وأحصي من قتل في المطاف فبلغوا ألفاً وسبعمائة.

وملؤوا برؤوس القتلى بئر زمزم وما بمكة من آبار وحفر، ودفنت الموتى بلا غسل ولا كفن ولا صلاة.

وطلع أبو طاهر إلى باب الكعبة وقلع بابها وصار يقول وهو على عتبة الباب: أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا.

وأراد قلع ميزاب الكعبة وكان من ذهب فأطلع قرمطياً على الكعبة فأصيب بسهم من جبل أبي قبيس فخر ميتاً، فأطلع آخر مكانه فخر من فوق إلى أسفل على رأسه فمات، فهاب الثالث الإقدام على القلع فترك ذلك أبو طاهر على رغم أنفه وقال اتركوه حتى يأتي صاحبه (يعني المهدي الذي يزعم أنه يدعو الناس إليه).

وقتل كثيراً من العلماء والعبّاد والزهاد يطول الكلام بذكرهم، ولم يسلم إلا من هرب من مكة أو صعد في جبالها، ونهبوا دور مكة حتى صار الناس بعد ذلك فقراء يستعطون الناس، ولم يحج في هذا العام أحد إلا من سمحوا بأرواحهم، وأخذ أبو طاهر خزانة الكعبة وما كان فيها من الأموال واقتلع الحجر الأسود وصار يقول:

فلو كان هذا البيت لله ربنـا لصب علينا من فوقنا صـبـا

لأنا حججنا حجة جاهليـة محللة لـم نبق شرقاً ولا غربا

وإنا تركنا بين زمزم والصفا جنائز لا تبغي سوى ربها ربا

وأقام بمكة ستة أيام وقيل أحد عشر يوماً ثم انصرف إلى هجر وحمل معه الحجر الأسود يريد أن يحول الحج إلى مسجد الضرار الذي بناه وسماه دار الهجرة، وعلق الحجر في الاسطوانة السابعة مما يلي صحن ذلك المسجد من الجانب الغربي.

وبقي موضع الحجر الأسود خالياً يضع الناس أيديهم فيه ويلمسونه تبركاً بمحله، واستمر الحجر الأسود عندهم اثنتين وعشرين سنة يستجلبون به الناس طمعاً أن يتحول الحج إلى بلدتهم ويأبى الله ذلك. وهذه مصيبة من أعظم مصائب الإسلام فسبحان من لا يسأل عما يفعل.

ولما رجع القرمطي إلى بلاده ومعه الحجر الأسود وتبعه أمير مكه هو وأهل بيته وجنده وسأله وتشفع إليه أن يرد الحجر الأسود ليوضع في مكانه وبذل إليه جميع ماعنده من أموال فلم يلتفت إليه فقاتله امير مكه، فقتله القرمطي وقتل أكثر أهل بيته وأهل مكة وجنده واستمر ذاهبا إلى بلاده ومعه الحجر وأموال الحجيج وقد ألحد في المسجد الحرام إلحاداً عظيماً.[١]

وعندما أقدم أبو طاهر إلى فعلته في مكة وبلغ ذلك عبيدالله المهدي[٢] كتب إليه ينكر عليه ذلك ويلومه يقول: ((قد حققت على شيعتنا ودعاة

١ الصفحتان السابقتان من البداية والنهاية ١١/ ١٧٩-١٨٢.

٢ يُعتَبرُ مؤسسَ سلالةِ الدولة العُبيدية (الفاطمية) كما سيأتي لاحقاً.

دولتنا اسم الكفر والإلحاد بما فعلت "))[1].

ثم ابتلي أبو طاهر الخبيث بالآكلة فصار يتناثر لحمه بالدود وتقطعت أوصاله وطال عذابه، ومات أشقى ميتة ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

قال السيد أحمد زيني دحلان:

ولما يئست القرامطة من تحول الحج إلى هجر ردوا الحجر الأسود إلى محله سنة ٣٣٩هـ.

ولما أخذوا الحجر مات تحته أربعون جملاً، ولما أعادوه حمل على جمل هزيل فسمن وذلك من آيات الله.

ووقائع القرامطة في مشارق الأرض ومغاربها طويلة مبسوطة في التواريخ، وما زالوا مستمرين على البغي والإفساد إلى سنة ٣٧٥هـ فاختل أمرهم وظهر الضعف في دولتهم فوقعت واقعة بينهم وبين صمصام الدولة ابن عضد الدولة ابن بويه في العام المذكور، فهزمهم هزيمة قبيحة وقتل كثيراً منهم وزال من حينئذ ناموسهم.

وفي سنة ٣٧٨هـ جمع إنسان يسمى الأصغر من بني المنتفق[2] جمعاً كثيراً وقاتلهم قتالاً شديداً وقتل مقدم القرامطة فعدل إلى القطيف فأخذ ما كان فيها من عبيدهم وأموالهم ومواشيهم وسار بها إلى البصرة.

وبعد هذه الواقعة لم يزل أمر القرامطة في انحلال وضعف، وأيضاً تمدد الدولة السلجوقية وضعف البويهيون والدولة العُبيدية حتى اضمحلوا

---

١ كتاب أيعيد التاريخ نفسه ص ٥٥.

٢ من قبائل جنوب العراق.

ولم تبق لهم دولة لكن آثارهم وعقائدهم لم تنتهي فقد ظهر في إيران الحشاشون مثل معتقدهم بقيادة الحسن بن الصباح[1]. فمدة دولة القرامطة تقرب من مائة سنة.

صلة القرامطة بالعُبيدين

لما سمع المعز العُبيدي بغزو مصر، كتب إليهم كتاباً يذكرهم بفضل نفسه وأهل بيته، وأن الدعوة واحدة، وأن القرامطة إنما كانت دعوتهم إليه وإلى أبائه، لكن الحسن بن أحمد بن أبي سعيد وكان رئيس القرامطة، لم يستمع إلى هذا الكلام وهاجم مصر لكن أخفق ورجع مهزوماً، وهلك بمدينة الرملة في فلسطين، وهذا طبيعي وإن كانت الدعوة واحدة فالنفوس صغيرة والتكالب على الدنيا والمناصب هو السائد[2].

* * * *

١ كتاب أيعيد التاريخ نفسه ص ٧٠.

٢ كتاب أيعيد التاريخ نفسه ص ٧١-٧٠.

الدولة البويهية

وهم ثلاثة إخوة: علي، والحسن، وأحمد أولاد أبي شجاع بويه بن الديلمي الفارسي وكان فقيرا يصطاد السمك ويحتطب بنوه الحطب على رءوسهم وكان من العجائب أنهم اصبحوا ملوكا. حيث عين علي على منطقة صغيرة من قِبل أحد ملوك الديلم حيث أُشتهر بين الناس والبلاد المجاورة بلطفه وإحسانه إلى الناس فنزلوا على طاعته وخضعوا له وساعده إخوانه حتى إستولى على إقلم فارس، وفي سنة ٣٣٤هـ زحف أحمد إلى بغداد ودخلها دون قتال وأظهروا الطاعة للخليفة واخذوا ألقابهم منه فلقب أحمد بمعز الدولة وكان حاكم على العراق ولقب علي بعماد الدولة ولقب الحسن بركن الدولة وكان حاكم أصبهان وماجاورها.

وقد حكمت الدولة البويهية العراق وفارس٣٢١هـ/ ٤٤٧هـ وكانت مدة ولايتهم قريب المائة والعشرين عاماً، وكان الخليفة العباسي في بغداد ضعيفا، حيث كانوا في بعض الأحيان يعينون بعض الخلفاء ويسجنون أو يقتلون آخرين[١].

يقول المؤرخ ابن الاثير وفي بداية أمرهم حينما استولى معز الدولة على العراق ٣٣٤هـ / ٩٤٥م ونودي في الناس بالأمان ونشر العدل وبدأ في اصلاحات كثيرة، فقد أنشأ أول مستشفى في بغداد وأرصد لها أوقافاً جزيلة وتصدق بمعظم أمواله الخاصة وأعتق عبيده ورد كثيرا من الاموال التي صودرت من أصحابها في العهد السابق.

---

١ تهذيب البداية والنهاية (٣/ ٤١١)

وفي نهاية عمره لم يُخفِ البويهيون تشيعهم، بل شجعوا أصحاب مذهبهم في بغداد للقيام بالأعمال الإستفزازية ضد أهل السنة، فكانت لاتمر سنة دون شغب واصطدام تقع بين السنة والشيعة، تذهب فيها الأرواح والممتلكات وتحرق الدور والأسواق[1].

وكان أهل بغداد قبل أن يحكم البويهيون العراق، يحترمون جميع الصحابة، ويفضلون الشيخين على سائرهم ولا يقدحون في معاوية، ولا غيره من سلف المسلمين، فلما جاءت هذه الدولة وهي متشيعة: نما مذهب الشيعية ببغداد، حتى إنه أمر بالكتابة على المساجد سنة ٣٥١هـ: " لعن الله معاوية بن أبي سفيان، ولعن من غصب فاطمة رضي الله عنها، ومن منع أن يُدفن الحسن عند قبر جده...". فلما كان الليل مسحه بعض الناس[2].

وفي عام ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م أمر معز الدولة بن بويه أن تغلق الأسواق وأن يلبس النساء المسوح من الشعر وأن يخرجن في الأسواق حاسرات عن وجوههن ناشرات شعورهن يلطمن وينحن على الحسين بن علي فسارت العادة بينهم حتى يومنا.

وحصلت حروب بين معز الدولة البويهي وناصر الدولة الحمداني[3]، لم تهدأ الحروب بين الطرفين فاشتغلا بها عن كل مصلحة،وكان ذلك سببًا فيما يأتي ذكره من الضعف أمام الروم.

توفي معز الدولة ١٣من ربيع آخر سنة ٣٥٦هـ، وحكم من بعده

١ ايعيد التاريخ نفسه ٦٣
٢ موقع قصة الإسلام
٣ حاكم الدولة الحمدانية في حلب

أبناءه وأبناء أخوانه فكانوا فاسدين فقد أقبلوا على النساء واللهو واللعب وكانت بداية ضعف دولتهم [1].

ومنهم ابنه عز الدولة بختيار بن أحمد بن بويه ظل في السلطة حتى خلعه ابن عمه سنة ٣٦٧هـ. وكانت مدته عبثًا واشتغالاً باللهو والنساء، ولم يحسن معاملة من حوله حتى استوحشوا منه. وفي هذه الفترة، استطاع الروم أن يستردوا جميع الثغور الإسلامية الكبرى، وصارت لهم الهيبة في قلوب المسلمين من أهل الجزيرة والشام، بينما بنو بويه وبنو حمدان يغزو بعضهم بعضًا، وعن عدوهم منشغلون.

سنة اربعين وأربعمائة ٤٤٧ هـ/ ١٠٥٥ م

وفيها تأكدت الوحشيه بين الخليفة العباسي (القائم بأمر الله) وأرسلان التركي المعروف بالبساسيري وهو من مماليك بهاء الدولة ابن عضد الدولة وقد أخبر الخليفة العباسي رجل من بني بويه أن البساسيري يريد قتله فعند ذلك كاتب الخليفه طغرلبك اول حاكم سلجوقي يستنهضه على المسير للعراق، فسار السلطان طغرلبك إلى بغداد، وقد إستقبله أثناء الطريق الأمراء والوزراء والحجاب، ودخل بغداد في أبهة عظيمة وإنفض أكثر من كان مع البساسيري وكان آخر قادة بني بويه، وفر البساسيري إلى بلاد الرحبه[2]،وقام السلاجقة بنصرة السنة، وإخماد الرفض وأهله، ولكن

---

١ تهذيب البداية والنهاية ٤٦٩.

غربي جنوب مدينة الميادين على بعد (٤٠) كم فوق تلة مرتفعة كانت تطل على نهر الفرات الذي غير مجراه إلى المنطقة الشرقية منها بواسطة كوع مقطوع فوق السهل الفيضي (سهل الزور) في سوريا ولا تزال عناصر الرحبة المعمارية شامخة تتحدى صروف الدهر.

هذه الدولة السنية لم تسلم من خيانات الشيعة وغدرهم[1]، ففي سنة ٤٥٠هـ جاء البساسيري بجيوش إلى بغداد مقر السلطان السلجوقي طغرلبك وكان يعلم أن السلطان طغرلبك في همذان يقاتل أخوه إبراهيم لأنه كان عاصي عليه فأستغل البساسيري الفرصة وهاجم بغداد وعلى رأسه أعلام بيضاء مكتوب عليها اسم المستنصر بالله ابوتميم، فتلقاه أهل الكرخ[2] الرافضة، وسألوه أن يجتاز من عندهم، فدخل الكرخ وخرج إلى مشرعة الزوايا فخيم بها والناس إذ ذاك في مجاعة وضُر شديد. ونهب أهل الكرخ الروافض دور أهل السنة بالبصرة وتملك أكثر السجلات والكتب الحكمية، بعد ما نهب دار قاضي القضاة الدامغاني، وبيعت للعطارين، وأعادت الروافض الآذان بحيى على خير العمل في نواحي بغداد، وخطب ببغداد للمستنصر بالله العبيدي، وضربت له السكة وحوصرت دار الخلافة ثم نهبت والروافض في غاية السرور.

وانتقم البساسيري من أعيان أهل السنة ببغداد فأخذ الوزير ابن المسلمة الملقب برئيس الرؤساء وعليه جبة صوف، وطرطور من لبد أحمر، وفي رقبته مخنقة، وأُركب جملاً أحمر وطيف به البلد وخلفه من يصفعه بقطعة من جلد، وحين مر على الكرخ نثروا عليه خلقان المداسات، وبصقوا في وجهه، ولعنوه وسبوه.. ثم لما فرغوا من التطوف به جيء به إلى المعسكر؛ فألبس جلد ثور بقرنيه وعلق بكلوب في شدقيه، ورفع إلى الخشبة فجعل يضرب إلى آخر النهار؛ فمات رحمه الله وكان آخر كلامه "الحمد الله

---

٢ البداية والنهاية ٦١٦

٢ هو أحد قسمي مدينة بغداد على الجانب الغربي لنهر دجلة

الذي أحياني سعيدًا، وأماتني شهيدًا"، وفي آخر السنة، انتصر طغرلبك على أخيه وفرح الناس وتباشروا بذلك، وسار طغرلبك إلى العراق وتلاقوا مع السباسيري بأرض واسط، وإنهزم البساسيري ونجا بنفسه على فرس، فتبعه بعض الغلمان، فرمي فرسه بنشابة، وأسره واحد منهم يقال له كمسكين فحز رأسه، وحمله إلى السلطان، وأخذ من جيش البساسيري من الأموال ماعجزوا عن حمله، ولم ينج من أصحابه إلا القليل. وأما الخليفة، فإنه حين عاد إلى دار الخلافة، جعل لله عليه ألا ينام على وطاء، ولا يأتيه أحد بطعام إذا كان صائما، ولا يخدمه في وضوئه وغسله أحد، بل يتولى ذلك بنفسه لنفسه، وعاهد الله أن لا يؤذي أحدا ممن أذاه، وأن يصفح عن من ظلمه[1]. .

* * * *

---

[1] الكامل ٩/ ٢٩٥

الدولة العُبيدية

سحابة مظلمة أطلت على القرن الرابع الهجري، إنه عصر التدهور السياسي المحزن فذاك القرن ومعه بداية القرن الخامس قد يكون من أسوأ الحقب التي مرت على المسلمين، وذلك حين استولى البويهيون على الخلافة في بغداد وأضعفوها وفتحوا الباب لكل المذاهب الضالة، وحين استولى القرامطة على شرقي الجزيرة العربية وجنوب العراق، وقاموا بالغارات على الشام ومصر والحجاز ورافق ذلك أيضا التدهور المالي، لأن هذه الفرق وهذه الدول لا يهمها إصلاح الأوطان بقدر ما يهمها العيث والفساد في الأرض وتنفيذ آرائهم الباطنية. وقد بلغت ذروة تمكن هذه الفرق في قيام الدولة العبيدية الملقبة بـ(الفاطمية).

في قيام الدولة العبيدية الملقبة بـ(الفاطمية) ٢٩٧هـ / ٥٦٧هـ وكانت نشأتها في منطقة شمال أفريقيا (تونس) وقد أخذ دعاة هذه الدولة البيعة لعبيد الله الملقب بالمهدي في القيروان ثم بنى مدينة (المهدية) في الساحل الشمالي الشرقي من (تونس) وانتقلت إلى مصر سنة ٣٦٢هـ واستقرت بها وامتدت إلى أجزاء هامة من العالم الإسلامي، حيث شمل سلطانها الشام، والجزيرة العربية، وحاولت الوصول إلى بغداد، وكان عهد هذه الدولة عهد اضطراب، وفتن، وإيذاء لأهل السنة، وتمكين لأهل الذمة، وتخلل هذه الفترة أوضاع اقتصادية سيئة مثل الشدة العظمى زمن المستنصر التي أكل الناس فيها الكلاب والبشر، وإحراق القاهرة زمن الحاكم، والمصادرات التي كانت تتم على فترات متفرقة، والتعاون مع الصليبيين على

المسلمين، والمتأمل في تاريخ هذه الدولة ينتابه العجب مما يرى من الاختلاف في حال هذه الدولة وكثرة الكتابات حولها حيث انقسم الكتاب حولها إلى قسمين[1]:

القسم الأول: ذام شاتم بل مكفر لها وهو موقف غالبية المؤرخين والأئمة مثل الباقلاني، وأبي حامد الغزالي، وابن خلكان، وعبدالجبار الهمذاني، وابن ظافر الأزدي، وأبي شامة، والذهبي، وابن كثير، وابن تيمية، وابن تغري بردي، وابن حجر، والسيوطي.

القسم الثاني: مادح ممجد لها مصحح لنسبها معتذر لها مثل ابن خلدون، والمقريزي وهو موقف عجيب وخاصة موقف الأخير؛ حيث يصحح النسب مع أنه يتتبع مخازي وأخبار الدولة، ويحاول بكل ما أوتى من جهد الدفاع عنها وتصحيح نسبها.

موقف العلماء من نسب هذه الدولة:

هذه الدولة تدعّي الانتساب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق والحقيقة أن الغموض يلف هذه الدعوة، فلا يوجد أي خبر صحيح أو صادق عن سلسلة النسب ما بين مؤسس هذه الدولة (عبيد الله بن ميمون القداح) وقد طعن علماء السنة وكثير من المؤرخين في نسب هذه الأسرة، وكتبوا محضراً في ذلك في بغداد، وكان من الموقعين عليه الشريف الرضي وكثير من المؤرخين يُرْجِعون نسب عبيد الله إلى أصل فارسي وقضية التشيع لآل البيت إنما هي ستار لأهدافهم الباطنية ومنها التوسع على حساب الدولة

١ المقريزي، الخطط ط/ الفرقان، ١٠٤-١٠٥

العباسية أو القضاء على هذه الدولة والاستيلاء على العالم الإسلامي ولذلك لم تكن استراتيجتهم البقاء في شمال أفريقيا بل كان الهدف دائما هو الشرق، واختاروا مصر بالذات لموقعها المهم والمتوسط بين الشرق الإسلامي والغرب الإسلامي. ولذلك نجدهم تخلوا عن الشمال الأفريقي بعد الانتقال إلى مصر، وتركوه لأسرة صنهاجية تحكمه وتدين لهم بالولاء[1].

وعندما كتب العزيز العبيدي يهجو ويسب الأموي صاحب الأندلس التي رد فيها الأندلسي:" أما بعد، فإنك قد عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك ".

كما ذكر كلام ابن خلكان وغيره: « أكثر أهل العلم لايُصحِّحون نَسبَ المهدي جد خلفاء مصر، حتى إنَّ العزيز في أول ولايته صَعِدَ المنبر يوم جمعة، فوجد هناك رقعة فيها [2]:

إنا سمعنا نسبا منكرا   يتلى على المنبر في الجامع

إن كنت فيما تدعي صادقا   فاذكر أبا بعد الأب الرابع

وإن ترد تحقيق ما قلته   فإنسب لنا نفسك كالطائع

أودّع الأنساب مستورة   وادخل بنا في النسب الواسع

فإن أنساب بني هاشم   يقصر عنها طمع الطامع

ومما يؤكد أن لانسب لهم قول أحد أتباعهم الذين اختلف معهم فأكد هذه الحقيقة وهو الحسن ابن الأعصم القرمطي الذي حارب المعز ولعنه على

---

١ موقع المسلم

٢ السير، ١٥/ ١٦٨

منبر دمشق وراسله فقال::«هؤلاء من ولد القداح، كذابون ممخرقون، أعداء الإسلام ونحن أعلم بهم، ومن عندنا خرج القداح ».

موقف العلماء من الدولة العبيدية من حيث المعتقد:

ومن أفعال حكام تلك الدولة واعتقادهم: ادعاء علم الغيب، وادعاء النبوة والألوهية، وطلب السجود من رعاياهم وأتباعهم، وسب الصحابة.

* ادعاء الألوهية والربوبية:

نقل الذهبي رحمه الله أن الفقهاء والعبَّاد ناصروا الخارجين في حربهم على الدولة العبيدية لما عندهم من كفر وزندقة، فعندما أراد أبو يزيد مخلد بن كيداد الخارجي حرب بني عبيد قال الذهبي رحمه الله:

تسارع الفقهاء والعبَّاد في أهبَّة كاملة بالطبول والبنود، وخَطبهم في الجمعة أحمد بن أبي الوليد، وحرَّضهم، وقال: جاهدوا مَن كفر بالله، وزعم أنه رب من دون الله،... وقال: اللهم إن هذا القرمطي الكافر المعروف بابن عبيد الله المدعي الربوبية جاحدٌ لنعمتك، كافر بربوبيتك، طاعن على رسلك، مكذب بمحمد نبيك، سافك للدماء، فالْعنه لعناً وبيلاً، وأخزه خزياً طويلاً، واغضب عليه بكرةً وأصيلاً، ثم نزل فصلى بهم الجمعة[1].

وممن حرض الحاكم على هذا الادعاء: " حمزة بن علي الزوزني " وهو من دعاة تأليه الحاكم، ومؤسس المذهب الدرزي ببلاد الشام.

قال الذهبي – رحمه الله – عنه:

١ سير أعلام النبلاء " ١٥ / ١٥٥

(وقد قُتل الدرزي الزنديق ؛ لادعائه ربوبية الحاكم، وكان قوم من جهلة الغوغاء إذا رأوا " الحاكم " يقولون: يا واحد يا أحد، يا محيي يا مميت[1]).

وفي قصيدة يبالغ ابن هانيء في مدح المعز فيشبهه بالخالق سبحانه وبالنبي ﷺ. ويشبه أشياعه بأنصار النبي حيث يقول[2]:

فاحكم فأنت الواحد القهار ... ما شئتَ لا ما شاءت الأقدار !

وكأنما أنت النبي محمد ... وكأنما أنصارك الأنصار

هذا الذي تُجدي شفاعته غداً ... حقاً وتَخْمُدُ ان تراه النار

فليس هذا في القبح إلا كقول فرعون " أنا ربكم الأعلى ".

وعندما ادعى "عبيد الله" الرسالة أحضر فقيهين من فقهاء القيروان، وهو جالس على كرسي ملكه، وأوعز إلى أحد خدمه فقال للشيخين: أتشهدا أن هذا رسول الله ؟ فقالا: والله لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره يقولان: إنه رسول الله: ما قلنا ذلك، فأمر بذبحهما[3].

وكان يُسجد لهم، ويأمرون الناس بالسجود لهم، قال الذهبي رحمه الله: ففي سنة ٣٩٦ هـ خُطب بالحرمين لصاحب مصر " الحاكم "، وأُمَر الناس عند ذكره بالقيام، وأن يسجدوا له[4].

---

١ " السير " ١٥ / ١٨٠، ١٨١.

٢ تاريخ الدولة الفاطمية ٣٢٩

٣ السير " (١٤ / ٢١٧).

٤ دول الإسلام " (١ / ٣٥٠)

قال الباقلاني رحمه الله عن القداح جد عبيد الله: " كان باطنياً، خبيثاً، حريصاً على إزالة ملة الإسلام، أعدم العلماء، والفقهاء ؛ ليتمكن من إغواء الخلق، وجاء أولاده على أسلوبه، أباحوا الخمور، والفروج، وأفسدوا عقائد الخلق[1].

فقد أمر العزيز بسَبِّ الصّحابة على أبواب المساجد والشّوارع، وأمر العمال بالسب في سنة خمسٍ وتسعين وثلاث مئة[2].

وقال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله في "الرد على البكري": العبيديون، وهم ملاحدة في الباطن، أخذوا من مذاهب الفلاسفة والمجوس ما خلطوا به أقوال الرافضة، فصار خيار ما يظهرونه من الإسلام دين الرافضة، وأما في الباطن فملاحدة شر من اليهود والنصارى.

ولهذا قال فيهم العلماء: ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض، وهم من أشد الناس تعظيما للمشاهد، ودعوة الكواكب، ونحو ذلك من دين المشركين، وأبعد الناس عن تعظيم المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وآثارهم في القاهرة تدل على ذلك" انتهى.

وقال رحمه الله في "الرد على المنطقيين":

العبيديون كانوا يتظاهرون بالإسلام ويقولون إنهم شيعة، فالظاهر عنهم الرفض لكن كان باطنهم الإلحاد والزندقة، كما قال أبو حامد الغزالي في كتاب "المستظهري": ظاهرهم الرفض، وباطنهم الكفر المحض. وهذا

١ انظر: تاريخ الإسلام (٢٣/ ٢٤).

٢ " تاريخ الإسلام " حوادث سنة ٣٩٥، ص ٢٨٣

الذي قاله أبو حامد فيهم هو متفق عليه بين علماء المسلمين، انتهى.

وقال رحمه الله في "منهاج السنة":

وأخبارهم (يعني حكام الدولة العبيدية) مشهورة بالإلحاد والمحادة لله ورسوله والردة والنفاق" انتهى.

وقال ابن كثير: كان إذا ذكر الخطيب الحاكم يقوم الناس كلهم إجلالاً له، وكذلك فعلوا بديار مصر مع زيادة السجود له، وكانوا يسجدون عند ذكره، يسجد من هو في الصلاة ومن هو في الأسواق يسجدون لسجودهم، لعنه الله وقبحه" انتهى[1].

فالذي يقول ذلك يريد إعادة نشر الزندقة والكفر والإلحاد وسب الصحابة وقتل العلماء !

كان بعض دعاة بني عبيد يقول عن المهدي هو الخالق الرازق قال الشاعر القيرواني أبو القاسم الغماري ت٣٤٥هـ عن بني عبيد:

عبـــدوا ملوكهم وظنوا أنهم   نالوا بهم سبب النجاة عُموما

قال حسن إبراهيم حسن: وعقيدة تأليه الحاكم أثارت سخط الأهلين وأمثالها، إذا كان لايزال هناك كثيرون يناوئون سياسة الفاطميين، فقد كتب أحد الشعراء بيتين من الشعر في ورقة على المنبر، فوقعت في يد العزيز وقرأها فإذا فيها[2]:

بالظلم والجور قد رضينا   وليــس بالكفر والحـمـاقـة

---

١ "البداية والنهاية" ١١/ ٣٨٦

٢ تاريخ الدولة الفاطمية ٣٤٩

إن كنت أُعطيت عـلــم غيب فقل لنا كاتب البطاقة

وكان عبيدالله المهدي يسخر من النبي ﷺ ومن موسى ﷺ -في رسالة بعثها إلى داعيه أبي طاهر القرمطي – فيقول: ولاتكن كصاحب الأمة المنكوسة حين سألوه عن الروح فقال: « الروح من أمر ربي » لما لم يعلم ولم يحضره جواب المسألة.

وكان لعن الأنبياء من شعائرهم فقد ذكر القاضي عبد الجبار المتكلم: أن القائم أظهر سب الأنبياء وكان مناديه يصيح إلعنوا الغار وما حوى ولا شك أن الغار كان فيه النبي ﷺ وأبو بكرﷺ. وذكر الهمذاني أيضا أن القائم جاهر بشتم الأنبياء وكان يلعنهم جميعا[1].

حال أهل السنة أيام الدولة العبيدية :-

وكان أهل السنة بالقيروان أيام زمن هذه الدولة الفاطمية في حال شديد من الهضم، والتستر، والإستضعاف ؛ كأنهم أهل ذمة في بلاد المسلمين.

وقد عُلقت رؤوس الأكباش، والحمير على أبواب الحوانيت، وعليها قراطيس معلقة، مكتوب عليها أسماء الصحابة، وأشتد الأمر على أهل السنة فغلا بعض دعاتهم في عبيد الله المهدي حتى أنزله منزلة الإله، وأنه يعلم الغيب، وأنه نبي مرسل، وهكذا قام من هؤلاء العبيديين من ادعى الألوهية[2].

وكانوا يقتلون العلماء ممن لايقول بقولهم: قال أبو الحسن القابسي

---

١ السير ١٥/ ١٥٢

٢ للإستزادة كتاب الدولة العُبيدية الفاطمية د. علي محمد الصلابي.

صاحب الملخص: « إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه أربعة آلاف في دار النحر في العذاب من عالم وعابد ليردهم عن الترضي عن الصحابة[1] ».

العبيديون أصحاب تسلط، وجور، فقد سجنوا من المسلمين من سجنوا، وحرموا الإفتاء بمذهب مالك رحمه الله، ومن يتجرأ على ذلك يضرب، ويسجن، ويقتل أحياناً، وأجبروا الناس على الفطر قبل رؤية الهلال.

ومن القصص التي حدثت قصة الإمام الشهيد قاضي مدينة برقة محمد بن الحُبلى، أتاه أمير بُرقة من جهة العبيديين فقال: غداً العيد، قال القاضي: نرى الهلال، ولا يفطِّر الناس وأتقلد إثمهم، قال: بهذا جاء كتاب الحاكم العُبيدي، وكان ممن يفطر بالحساب ولا يعتبر الرؤيا، فلم يُر الهلال، فأصبح الأمير بالطبول، والبنود، وأهبة العيد، فقال القاضي: لا أخرج، ولا أصلي، فأمر الأمير رجلاً فخطب، وكتب الأمير إلى الحاكم العُبيدي بما حصل، فطلب القاضي إليه، وقال: تنصل واعف عنك، فإمتنع، فعُلق في الشمس، وكان يستغيث من العطش فلا يُسقى، وصلبوه على خشبة حتى مات رحمه الله[2].

ومن ضحاياهم الإمام أبو بكر النابلسي رحمه الله تعالى، فإن المعز العُبيدي أحضره بين يديه وقال له: بلغني عنك أنك قلت لو أن معي عشرة أسهم لرميت الروم بتسعة، ورميتنا بالعاشر، قال ما قلت هذا، فظن

---

١ السير ١٥/ ١٥٤

٢ السير ١٥/ ١٤٩ – ١٥٥

العبيدي أن الإمام أبو بكر النابلسي قد رجع عن قوله، قال: فكيف قلت ؟ قال: قلت ينبغي أن نرميكم بتسعة ونرميهم بالعاشر، قال: ولم ؟ قال: لأنكم غيرتم دين الأمة، وقتلتم الصالحين، وأطفأتم نور الإلهية، وادعيتم ما ليس لكم، فأمر بأن يضرب ضرباً مبرحاً بالسياط، ثم أمر بسلخه، وجاء بيهودي ليسلخه، وجعل الإمام أبو بكر يقرأ القرآن، قال اليهودي: فأخذتني رقة عليه، فلما بلغت في سلخه تلقاء قلبه طعنته بالسكين، وهذا شهيد نابلس عليه رحمة الله تعالى[1].

يقول الامام الذهبي ومن هؤلاء العلماء الشهداء الذين يجب أن لا ننساهم إذ جهروا بعقيدتهم السنية محمد بن خيرون المعافري، الذي قُتِل دوساً بالأرجل والعبيد يقفزون عليه من مكان عال، حتى فاضت روحه إلى بارئها، وهذا بأوامر من عبيد الله القداح المسمى بـ (المهدي).

فهذا بعضٌ من جرائمهم، نسأل الله أن يرد كيد الحاقدين على الإسلام، وأن ينصر المسلمين، وأن يعز الدين، إنه قوي متين.

مكانة اليهود والنصارى عندهم:

وكان لليهود والنصارى حظوة ومكانة عند بني عُبيد، فقد كانوا يقدمون اليهود على المسلمين. فمن اليهود الذين عملوا معهم يعقوب بن كلس، ومنشا، وبلغ اليهود المكانة العالية وتسلطوا حتى قال الشاعر[2]:

ياأهل مصر إني قد نصحت لكم   تهودوا، قد تهود الـمـلك

١ البداية والنهاية ١١/ ٢٨٤

٢ كتاب الدولة الفاطمية ص ٢٠٢-٢١٦

أما النصارى فمنهم فهد بن إبراهيم، وأبو سعيد التستري، وأم المستنصر كانت مولاة للتستري، وصدقة بن يوسف الفلاحي، وأبو نصر التستري، عيسى بن نسطورس، وسهل بن معَشر النصراني طبيب الحاكم، ومنصور بن عبدون وزير الحاكم سنة ٤٠٠هـ، وزرعة بن نسطورس، وأبو نجاح الراهب ت٥٢٣هـ، وبهرام الأرمني ت٥٣٥هـ، وقد حزن عليه بنو عبيد. ووالي قوص الباساك. قال رجل يوم الجمعة مبينا تمكن النصارى في رقاب الناس: ياأهل مصر ! انظروا عدل مولانا الآمر في تمكينه النصراني من الناس.

وقال الشاعر يوضح مابلغ النصارى في هذا العهد[1]:

إذاحكم النصارى في الفروج   وغالوا بالبغال وبالسروج

وذلت دولة الإسلام طراً   وصار الأمر في أيدي العلوج

فقل للأعور الدجال هذا   زمانك إن عزمت على الخروج

قال قاسم عبده قاسم: ويعتبر العصر العُبيدي (الفاطمي) هو العصر الذهبي لأهل الذمة. والغريب أن الدولة الفاطمية لم تتبع سياسة التسامح الديني إزاء المصريين المسلمين أتباع المذهب السني في الوقت الذي حظي فيه أهل الذمة بمثل هذه الحريات[2].

ويصح قول حسن إبراهيم حسن: ذهب السنيون إلى أن عبيدالله كان يعمل على هدم الإسلام متستراً بالتشيع.

---

١ كتاب الدولة الفاطمية ص ٢٠٢-٢١٦

٢ السير ٢٠/ ٥٩٦.

ومن العجيب أنك لاتجد واحداً من خلفاء الدولة العبيدية أدى فريضة الحج رغم التبجح بخلافة النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه[1].

نهاية الدولة العُبيدية:

بعد غدرهم للمسلمين في الحروب الصليبية وتحالفهم مع الصليبين وهو ماسيأتي ذكرهُ في المواضيع القادمة أرسل نور عماد الدين زنكي[2] أسد الدين شيركوه ومعه صلاح الدين الأيوبي أن يدخل القاهرة، ويقتل الخائن شاور، الذي تَحالف مع الصليبيين مرارًا حتى سقط القدس في أيدي الصليبين وسقطت الدولة العُبيديه بيد الأيوبيين.

* * * *

١ تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٢٨.

٢ من سلاطين الدوله الأيوبيه.

الدولة الحمدانية

الدولة الحمدانية[1] هي دولة عربية شيعية قامت في الموصل وحلب، واستقلت عن الدولة العباسية في عصور ضعفها. وينتسب الحمدانيون إلى " حمدان بن حمدون " من قبيلة تغلب العربية الأصل التي قامت بضواحي مدينة الموصل.

بدايةً ثار الحمدانيون على الدولة العباسية، ولكن عَفت الدولة العباسية عنهم عندما انتصر الحسين بن حمدان على هارون الشاري الخارجي وأسره وجاء به إلى المعتضد. وقد كان الحمدانيون يمثلون القوة التي تلجأ إليها الخلافة إذا ضاقت بها الأحوال في بغداد ؛ فقد لجأ إليهم الخليفة المتقي فارًّا من قوات البريدي التي زحفت على العراق، وعجز أمير الأمراء ابن رائق عن الصمود لها، فناصرالحمدانيون الخلافة، وقتلوا ابن رائق وطردوا البريديين، وأعادوا الخليفة إلى عاصمته، مما جعل الخليفة المتقي يلقِّب الحسن بن حمدان ناصرَ الدولة، ولقَّب أخاه عليًّا سيف الدولة، وذلك في شهر شعبان سنة ٣٣٠هـ، وتولى إمرة الأمراء في بغداد ناصر الدولة أمير الموصل وفي حلب امتاز عهد سيف الدولة بكثرة حروبه مع البيزنطيين، وكان جهاد الحمدانيين ضد الروم من أبرز الأعمال التي خلدت ذكرى هذه الدولة. وكان ممن خلدوا ذكر الحمدانيين: أبو الطيب المتنبي، وأبو فراس الحمداني.

---

١ راجع تاريخ الإسلام ٣/ ١٢١

وعندما أراد سيف الدولة أن يوسّع ملكه بالشام ليتمكّن من تقوية جبهته أمام الروم، امتد بنفوذه إلى دمشق، الأمر الذي أدى إلى حرب مع الإخشيد[1]، انتصر فيها الإخشيد، وتوصلا أخيرًا إلى صلح يدفع بموجبه الإخشيد جزية سنوية للحمدانيين مقابل احتفاظه بدمشق. ولعل الإخشيد كان يرمي من وراء إبرام الصلح على هذه الصورة، أن يُبقي الدولة الحمدانية حصنًا منيعًا يكفيه مئونة محاربة البيزنطيين. وعندما مات الإخشيد نقض سيف الدولة الصلح، فتصدى له كافور وهزمه، وتم الصلح على بنود الصلح الأول ما عدا دفع الجزية السنوية.

بدأت الدولة الحمدانية في التفكك بعد سيف الدولة، ووقعت في صراعات داخلية أسرية أدت إلى أن يستعين بعضهم على بعض بالروم والعبيديين (الفاطميين). ثم سقطت أخيرًا تحت الضغط العُبيديّ المتعاظم في مصر، والنفوذ البويهيّ من جهة العراق، فورثها العبيديون في النهاية.

****

١ حاكم دمشق

نشوء الدول السنية وهجوم الصليبين على العالم الإسلامي

السلاجقة[1]

لقد كانت أول دولة وقفت في وجه الحملات الصليبية، وأفشلت كثيراً من خطط الغرب في السيطرة على بلاد المسلمين.

وقد استطاعت الحفاظ على الخلافة العباسية من السقوط السريع، واستطاعت تنظيف بلاد الإسلام من كثير من الأوبئة الفكرية والعقدية المنحرفة التي انتشرت كأورام سرطانية في جسد الأمة، وأعادت إلى الأمة بعض صحتها وقوتها بعد أن كانت كياناً مريضاً ينهشه الأعداء من كل جانب.

بجهود الدولة السلجوقية استمرت راية الجهاد مرفوعة خفاقة رغم محاولات إسقاطها في الداخل والخارج(الصليبيون – والدويلات الداخلية).

السلاجقة.. أصولهم ومواطنهم:

ينحدر السلاجقة من التركمان، وتُمثل مع ثلاث وعشرين قبيلة أخرى مجموعة القبائل التركمانية المعروفة بـ " الغز ". استوطنت عشائر

١ مختصر من كتاب علي محمد الصلابي: دولة السلاجقة

الغز وقبائلها الكبرى منطقة ما وراء النهر التي تسمى اليوم " تركستان " والتي تمتد من هضبة منغوليا وشمال الصين شرقاً إلى بحر الخزر (بحر قزوين) غرباً، ومن السهول السيبيرية شمالاً إلى شبه القارة الهندية وفارس جنوباً، وعرفوا بالترك أو الأتراك.

ثم تحركت هذه القبائل في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي في الانتقال من موطنها الأصلي نحوآسيا الصغرى في هجرات ضخمة، وذكر المؤرخون مجموعة من الأسباب التي ساهمت في هجرتهم، فالبعض يرى أن ذلك بسبب عوامل اقتصادية فالجدب الشديد وكثرة النسل، جعلت هذه القبائل تضيق ذرعاً بمواطنها الأصلية، فهاجرت بحثاً عن الكلأ والمراعي والعيش الرغيد، والبعض الآخر يعزو تلك الهجرات لأسباب سياسية، حيث تعرضت تلك القبائل لضغوط كبيرة من قبائل أخرى فاضطرت إلى ترك أراضيها، بحثاً عن نعمة الأمن والاستقرار، واضطرت تلك القبائل المهاجرة أن تتجه غرباً، ونزلت بالقرب من شواطئ نهر جيحون ثم استقرت بعض الوقت في طبرستان، وجرجان، فأصبحوا بالقرب من الأراضي الإسلامية التي فتحها المسلمون بعد معركة نهاوند وسقوط الدولة الساسانية في بلاد فارس سنة ٢١هـ - ٦٤١م.

حكمهم

ولما تولى المعتصم العباسي الخلافة فتح الأبواب أمام النفوذ التركي، وأسند إليهم مناصب الدولة القيادية وأصبحوا بذلك يشاركون في تصريف شؤون الدولة، وكانت سياسة المعتصم تهدف إلى تقليص النفوذ الفارسي، الذي كان له اليد المطلقة في إدارة الدولة العباسية منُذ عهد الخليفة المأمون،

وقد تسبب اهتمام المعتصم بالأتراك من نقمة الناس عليه، فأسس مدينة جديدة هي (سامراء)، تبعد عن بغداد حوالي ١٢٥كم، وسكنها هو وجنده وأنصاره، وهكذا بدأ الأتراك منُذ ذلك التاريخ في الظهور في أدوار مهمة على مسرح التاريخ الإسلامي حتى أسسوا لهم دولة إسلامية كبيرة كانت على صلة بخلفاء الدولة العباسية عرفت بالدولة السلجوقية.

استولى أحد أحفاد سلجوق وهو طُغْرُل بك على إقليم خراسان سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م. ولما ضعف البويهيون في بغداد وكان قد اشتد ظلمهم للخلفاء، استنجد الخليفة العباسي القائم بأمر الله بالسلطان السلجوقي طغرلبك لإنقاذه من البويهيين، فانتهز السلطان هذه الفرصة، وسار بجيوشه إلى بغداد، ودخلها في عام ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م، واعترف الخليفة به سلطانًا على جميع المناطق التي تحت يده، وأمر بأن يُذكر اسمه في الخطبة.

دخول السلاجقة بغداد

حين شارف السلاجقة على العراق، كان أبو الحارث أرسلان البساسيري، أحد قادة بني بويه المتشيعين يسيطر على بغداد وما جاورها، ويتمتع بنفوذ كبير لدرجة أنه أضحى يخطب له على المنابر في العراق والأهواز، ولم يعد بإمكان أي من الخليفة العباسي أو الملك البويهي اتخاذ أي قرار يتعلق بأمور الدولة إلا بعد موافقته، وقد شكل هذا القائد خطرًا حقيقيًا على الخلافة العباسية.

أما خطره على الخلافة العباسية فقد تجلى في عام ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م، حين نشب الخلاف بينه وبين الخليفة القائم مما دفعه للاتجاه نحو الفاطميين.

في هذا الجو المضطرب استنجد الخليفة بالسلطان السلجوقي طغرلبك طالبًا مساعدته ضد البساسيري، حيث انتهز السلطان هذه الفرصة، وسار بجيوشه إلى بغداد، ودخلها في عام ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م، واعترف الخليفة به سلطانًا على جميع المناطق التي تحت يده وأمر بأن يذكر اسمه في الخطبة، وهكذا دخل العراق ضمن دائرة نفوذ السلاجقة.

لقد استطاع طغرل بك الزعيم السلجوقي أن يسقط الدولة البويهية وأن يقضي على الفتن، وأزال من على أبواب المساجد سب الصحابة، وقتل شيخ الروافض أبا عبد الله الجلاب لغلوه في الرفض.

لقد كان النفوذ البويهي الشيعي مسيطراً على بغداد والخليفة العباسي، فبعد أن أزال السلاجقة الدولة البويهية من بغداد ودخل سلطانهم طغرل بك إلى عاصمة الخلافة العباسية استقبله الخليفة العباسي القائم بأمر الله استقبالاً عظيماً وخلع عليه خلعة سنية وأجلسه إلى جواره، وأغدق عليه ألقاب التعظيم، ومن جملتها أنه لقب بالسلطان ركن الدين طغرل بك، كما أصدر الخليفة العباسي أمره بأن ينقش اسم السلطان طغرل بك على العملة، ويذكر اسمه في الخطبة في مساجد بغداد وغيرها، مما زاد من شأن السلاجقة.

ومُنذ ذلك الحين حل السلاجقة محل البويهيين في السيطرة على الأمر في بغداد، وتسيير الخليفة العباسي حسب إرادتهم.

وأطلق المؤرخون على الفترة التي دخل فيها السلاجقة العراق اسم عصر نفوذ السلاجقة، حيث كانت بيدهم مقاليد الأمور، ولم يبق للخليفة العباسي سوى بعض المظاهر والرسوم.

وبعد وفاة طغرل بك استطاع خليفته ألب أرسلان أن يوسّع نفوذه على حساب الدولة الفاطمية، فانتزع منها حلب ثم مكة والمدينة، وتقدم إلى بلاد الروم وانتصر عليهم في معركة ملاذكرد، وضم إليه شطرًا من بلادهم في آسيا الصغرى.

معركة ملاذكرد

أعد المسلمون العدة للمعركة الفاصلة (وكان عدد الجيش الإسلامي خمسة عشر ألفا وعدد الجيش البيزنطي مايقارب المئتين ألف كما ذكر ابن كثير) واجتمع الجيشان يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧١م، فلما كان وقت الصلاة من يوم الجمعة صلى السلطان بالعسكر، ودعا الله تعالى وابتهل وبكى وتضرع، وقال لهم: نحن مع القوم، وأريد أن أطرح نفسي عليهم في هذه الساعة التي يُدعى فيها لنا وللمسلمين على المنابر، فإما أن أبلغ الغرض وإما أن أمضي شهيداً إلى الجنة، فمن أحب أن يتبعني منكم فليتبعني، ومن أحب أن ينصرف فليمض، فما هاهنا سلطان يأمر ولا عسكري يؤمر، فإنما أنا اليوم واحد منكم، وغاز معكم، فمن تبعني ووهب نفسه لله تعالى فله الجنة أو الغنيمة، ومن مضى حقت عليه النار والفضيحة.

فقالوا: مهما فعلت تبعناك فيه وأعنّاك عليه، فبادر ولبس البياض وتحنط استعداداً للموت، وقال: إن قتلت فهذا كفني، ثم وقع الزحف بين الطرفين ونزل السلطان ألب أرسلان عن فرسه ومرغ وجهه بالتراب، وأظهر الخضوع والبكاء لله تعالى، وأكثر من الدعاء، ثم ركب وحمل على

الأعداء.

وصدق المسلمون القتال وصبروا وصابروا حتى زلزل الله الأعداء وقذف الرعب في قلوبهم، ونصر الله المسلمين عليهم، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا منهم جموعاً كبيرة، كان على رأسهم ملك الروم نفسه الذي أسره أحد غلمان المسلمين فأُحضر ذليلاً إلى السلطان، فقنعّه بالمِقرعة، وقال: ويلك ألم أبعث أطلب منك الهدنة ؟، قال: دعني من التوبيخ. قال: ما كان عزمك لو ظفرت بي ؟ قال: كل قبيح: قال: فما تؤمِّل وتُظُن بي ؟ قال: القتل أو تُشهّرني في بلادك، والثالثة بعيدة: العفو وقبول الفداء وتعيدني. قال: ما عزمت على غير العفو، فاشترى نفسه بألف ألف دينار وخمس مائة ألف دينار، وإطلاق كل أسير في بلاده، فخلع عليه، وبعث معه عدة وأعطاه نفقة توصله. فقام بين يدي الملك وقبل الأرض بين يديه.

وأما الروم فبادروا وملَّكوا آخر، فلما قرب أرمانوس شعر بزوال ملكه، فلبس الصوف، وترهب.

لقد غزا ألب أرسلان بلاد الروم مرتين، وافتتح قلاعاً، وأرعب الملوك، ثم سار إلى أصبهان ومنها إلى كرمان وذهب إلى شيراز ثم عاد على خراسان، وكاد أن يتملك مصر.

وقد حافظ ملكشاه على ما تركه أبوه ألب أرسلان، واستطاع القضاء على الثورات التي حدثت في بداية عهده، ونشر العدل والأمن والطمأنينة في البلاد. وكان مما يميز ملكشاه أنه كان مولعًا بالفلك، وشجع دراسة العلوم الدينية والعقلية بمعونة وزيره المشهور (نظام الملك) الذي أسس المدرستين العظميتين اللتين تعرفان باسمه في بغداد ونيسابور.

كان من مآثر السلاجقة تمسكهم الشديد بالإسلام، وميلهم القويّ إلى أهل السُّنة والجماعة. ووصل المسلمون في عهدهم إلى درجة عظيمة من التقدم في كثير من علوم الحضارة، وازدهرت في عهدهم الفنون بجميع أنواعها. فيا للفرق بين الدول.

دروس وفوائد:

تظهر مجموعة من الفوائد والدروس والعبر من معركة ملاذكرد منها:

* أهمية الإخلاص لله والاستعداد للموت في سبيله واللجوء إليه في تحقيق انتصارات المسلمين في معاركهم.

* دور العلماء في تثبيت القادة والجنود وتذكيرهم بالله واليوم الآخر، وأثر الوعظ والتذكير في شجاعة الجنود واندفاعهم، وخصوصاً عندما يكون العلماء في ميادين النزال وساحات المعارك.

* من أسباب النصر وجود القائد الخبير المحنك والجيش القوى المنظم.

* أهمية الصبر عند مواجهة الأعداء في المعارك تلك الصفة الربانية التي أمر الله بها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران: ٢٠٠. فالجيوش الإسلامية التي تتحلى بهذه الصفة يحالفها نصر الله تعالى.

اهتمامهم بالعلم والعلماء

كان يُوجد اهتمام كبير بالعلم والعلماء خلال فترة ازدهار الدولة السلجوقية في عهدي السلطان ألب أرسلان والسلطان ملكشاه، حيث كان

الوزير نظام الملك يَعمل في الدولة خلال حكمهما، والذي قام بجهود كبيرة لدعم العلم والأدب.

أعطى نظام الملك رواتب منتظمة للعلماء في جميع أنحاء الدولة لتشجيعهم على عملهم، وقد بلغ عدد من يَصرف لهم المال ١٢٠٠٠ عالم وأديب، كما اهتم بمجالسة أهل العلم فكانت مجالسه تعج بهم. واهتم أيضاً بإنشاء المدارس النظامية، فأسس العديد منها خلال عهد ألب أرسلان في أنحاء العراق وفارس من بغداد والبصرة إلى نيسابور وهراة، وأسس المكتبات أيضاً وملأها بكتب من مختلف مجالات العلم. حتى أن ابن الجوزي قال عنه إنه " كانت سوق العلم في أيامه قائمة والعلماء في عهده مرفوعي الهامة ".

أشهر علماء الدولة السلجوقية

- أبو إسحاق الشيرازي.
- الإمام الغزالي.
- عبد الملك الجويني.

عهد التفكك والضعف وانهيار الدولة السلجوقية:

وبعد وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، تفككت الدولة السلجوقية وبدأت عوامل الضعف والانهيار تدب في أوصالها، وذلك لتنافس الأمراء على عرش السلطنة، فضعفت بالتالي سيطرت الدولة على مختلف أقاليمها، مما جعلها عاجزةً عن التصدي للحملات الصليبية. هذا إضافةً إلى الحركة الباطنية التي أعاقت جهاد السلاجقة، وعملت على التصفية المستمرة باغتيال سلاطين السلاجقة وزعمائهم وقادتهم.

الحروب الصليبية[1]

أطلق على الحملات العسكريه الصليبة المنظمة بشكل رئيسي للاستيلاء على فلسطين بين القرنين الخامس والسابع الهجريين، الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين، وذلك لأهمية موقعها الجغرافي بوصفها حلقة وصل بين الشرق والغرب، ولرغبة استعمارية في السيطرة على الأماكن المقدسة. كما أنها كانت رد فعل لفتوحات المسلمين وانتصاراتهم التي جسَّدت التسامح الديني بين مختلف الأديان السماوية. وقد نظم الغزاة القادمون من أوروبا الغربية ثماني حملات رئيسية، فيما بين ٤٩٠ هـ و٦٦٩هـ ١٠٩٦ م و١٢٧٠م. وتعد تلك الفترة فترة توسع اقتصادي لأوروبا الغربية وزيادة قواتها المسلحة. وكان الصـليبيون جزءاً من الحركات التوسعية الصليبية الواسعة.

كسب الصليبيون بعض المعارك، وأسسوا ممالك صليبية على طول الساحل الشرقي للبحر المتوسطة وفي القدس وعكا والكرك وغيرها من المدن العربية.

بالمحصلة فشلت هذه الحملات والحروب فيما بعد وتم تحرير كل الاراضي العربية على يد ألب أرسلان ونور الدين زنكي وصلاح الدين الايوبي وغيرهم من القادة العظام ومن العجيب أنهم لم يكونوا من العرب.

---

١ جميع الحملات الصليبيه ملخصه من الموسوعة الشاملة في الحروب الصليبية سهيل زكار – ماهية الحروب الصليبية قاسم عبده قاسم، ويكيبيديا

الحملة الصليبية الاولى

وفي عام ٤٩١هـ/ ١٠٩٧م؛ تجمعت قوات الصليبيين في القسطنطينية، وبعد أن تم إعدادها عبرت البسفور إلى الشام، ودارت بينهم وبين السلاجقة معركة عام ١٠٩٧هـ / ٤٩١ م، عند " ضورليوم "، ولكن هزم فيها السلاجقة، ثم استولى الصليبيون على أنطاكية في شمالي الشام، وأسسوا بها أول إمارة لهم، ثم استولوا على الرها في إقليم الجزيرة الشمالي، وأسسوا إمارتهم الثانية واتجهوا إلى مدينة القدس وبها بيت المقدس.

فأسرع الصليبيون الخطوات لكي يُسقطوا المدينة المقدسة قبل أن يتعرضوا للمشاكل التي عانوا منها في حصار أنطاكية، وصنع الصليبيون بُرجين خشبيين للارتفاع فوق أسوار المدينة، وقد تم صنع هذين البرجين باستخدام خشب الأسقف من المنازل ببيت لحم بعد هدمها، وبدأ الهجوم باستخدام الأبراج، وأحرق المسلمون البرج الأول باستخدام السهام المشتعلة، غير أن الصليبيين استطاعوا الضغط على المدينة باستخدام البرج الثاني، وعبر الجنود الصليبيون فوق الأسوار إلى داخل المدينة.

استطاع الصليبيون فتح أبواب المدينة من الداخل، ومن ثَمَّ تدفَّق الصليبيون بغزارة داخل المدينة المقدسة!! وكان ذلك في يوم الجمعة ٢٢ من شعبان سنة ٤٩٢هـ الموافق ١٥ من يوليو سنة ١٠٩٩م، وهو من الأيام المحزنة التي لا تُنْسَى في تاريخ الأُمَّة.

ولم يكن للمسلمين المحاصرين في داخل القدس من هَمٍّ إلاَّ الفِرار

من وجه الجنود الصليبيين الذين كانت تبدو عليهم علامات الوحشيَّة والبربريَّة.

وتساؤل مهمٌّ: أين كانت الحامية العسكريَّة العُبيديَّة، وقائد المدينة العُبيديّ افتخار الدولة؟

لقد تركوا الشعب وذهبوا إلى محراب داود واعتصموا به ثلاثة أيام، ثم في ظروف غامضة تم إخراجهم بواسطة الصليبيين في أمان تامٍّ، حيث نُقلوا إلى عسقلان ومنها إلى مصر دون أن يلحقهم أذى!! مما يؤكِّد أنهم اتفقوا مع الصليبيين على تسليم المدينة مقابل الأمان لهم.

وأقاموا فيها مذبحة قضوا على سكانها جميعًا رجالا ونساءً وأطفالا وكهولا، واستباحوا مدينة القدس أسبوعًا يقتلون ويدمرون حتى قتلوا في ساحة الأقصى فقط سبعين ألفًا من المسلمين.

ويذكر أن ريموند القائد الصليبي احتل "مَعَرَّة النعمان"، وقتل بها مائة ألف، وأشعل النار فيها، ثم أقاموا دولتهم الكبرى المعروفة باسم مملكة القدس. وفي هذه الحملة، ظلت بعض مدن الشام الهامة مثل حلب ودمشق في أيدي المسلمين.

لقد تم الاستيلاء على القدس، وشعر الصليبيون أنهم حققوا واجبهم الديني باستعادة المدينة المقدسة.

****

الدوله الأيوبية وتوحيد الأمة

في هذه الدولة المحبوبه إلى قلبي وقلوب المسلمين حيث أنها أقامت العدل والإسلام وحاربت الصليبين وأنهت الدوله العُبيديه (الفاطمية) وإستعادت القدس، أعاده الله للمسلمين.

وقد كان منها مجددون في هذه الأمة رحم الله حكامها وجيشها رحمة الأبرار فمنها نور الدين محمود زنكي وصلاح الدين عليهم رحمة الله.

((إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها))

صحيح: أخرجه أبو داود في سننه (بشرح عون المعبود).

عماد الدين زنكي

عماد الدين زنكي، قائد عسكري وحاكم مسلم، حكم أجزاء من بلاد الشام وحارب الصليبيين.

كان أبوه مملوك السلطان ملكشاه السلجوقي، ولاه الخليفة المسترشد سنة ٥١٦ هـ على الموصل بعد موافقة السلطان محمود ابن السلطان محمد بن ملكشاه ففي عام ٥٢٢هـ / ١١٢٨م استطاع عماد الدين زنكي ضم حلب، وفي العام التالي استولى على حماة، ثم توالت فتوحاته وتوسعاته حتى استولى على حمص سنة ٥٣٢هـ / ١١٤٣م، وبذلك صار الطريق ممهدًا أمامه لتوجيه ضربة قوية للصليبيين، وجاءت هذه الضربة سنة ٥٣٩هـ حين استطاعت قوات عماد الدين زنكي أن تستولي على الرها بعد حصار دام ثمانية وعشرين يومًا فقط، وكانت الرها ذات مكانة كبيرة لدى

الصليبيين، إذ كانت أول إمارة صليبية تقوم على أرض الشرق العربي الإسلامي، وكان سقوطها صدمة نفسية مؤلمة وعنيفة للصليبيين ترددت أصداؤها في كل مكان، إذ إن المدينة كانت ترتبط بتراث المسيحية الباكر[1] حيث كان لها خصوصية عند البيزنطيين لأنها إحدى المدن الدينية عندهم وكانت تنتشر بها الكنائس والصوامع، وأيضا لها خصوصية عند المسلمين لكونها على حدود الدولة الإسلامية المشتركة مع الدولة البيزنطية، وكان الخلفاء دائمي الاهتمام بهذه المنطقة، ولكن مع ضعف الخلافة العباسية وخروج كثير من أجزاءها عن سيطرتها تعرضت منطقة الرها للعدوان المتكرر من البيزنطيين.

بعد الانتصار في الرها ضاقت السبل على أعداء الإسلام وأصبح كيانهم الصليبى بالشام والذي بنوه في خمسين سنة في خطر حقيقى في ظل وجود هذا الأسد الرابض، وبعد أن أعيتهم الحيل في ميادين القتال وصار ينتصر الأسد عماد الدين زنكى عليهم في كل موطن من الجزيرة الفراتية والشام، قرروا اللجوء إلى سلاح الغدر والخيانة والأيدى القذرة التي لا تعمل إلا في الظلام وهي إستخدام حيلة لقتله.

وفاة عماد الدين زنكي:

إن الأسود لا يقتلون إلا في الظلام وإن الأبطال لا يُنالون إلا بالغدر والخيانة، وتلك هي المأساة الكبيرة التي عانت منها أمة الإسلام على مر عصورها، فكلما ظهر فيها بطل أو قائد أو داعية أو عالم في الشرع أو في فرع من فروع العلوم أو نبغ أحد في أى مجال من المجالات التي ستحقق خيراً

١ قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية ص١١٣،١١٢.

ونفعاً للمسلمين فإن أعداء الأمة والدين يعملون على إزاحة هذا النابغة بشتى الوسائل إما بالإغراء والاستقطاب أو بالسجن والنفى أو بالقتل والغدر وإنا نراها حتى في وقتنا الحاضر.

في عام ٥٤١هـ توجه إلى قلعة (جعبر) على نهر الفرات في بلاد الشام وحاصرها وأصبح في إحدى الليالي مقتولا، قتله خادمه وهو نائم على فراشه ليلا، ودفن بصفين، فكان شديد الهيبة على جنده ورعيته. عظيم السياسة، يحمي الضعفاء، ويخافه الأقوياء. عمر البلاد وكانت قبله خرابا، وأشاع الأمن وقطع دابر اللصوص، كان الناس في زمانه بأنعم عيش، توفي عن ٦٤ عاما[١].

إستطاع عماد الدين زنكي أن يؤسس خلال مدة قصيرة نسبيًّا دولة قوية متماسكة شملت حدودها ما بين شهرزور شرقًا إلى سواحل بلاد الشام غربًا، ومن آمد وديار بكر وجبال الأكراد شمالاً إلى الحُديثة جنوبًا

ولعل أكثر ما تميز به عماد الدين زنكى عن قادة زمانه هو فهمه لحقيقة المشكلات التي تعانى منها الأمة الإسلامية وإحساسه بالمسئولية تجاه أمته وإيثاره لمصلحتها على مصلحته الخاصة وعمله بمقتضى ما يجب عليه وقتها، لذلك فاق ملوك زمانه وعلا ذكره عنهم، ويكفيه فخراً أنه قد خلف ورائه بطلاً عظيماً مثله وزياده، هو نور الدين محمود.

فقد خلّف سيف الدين غازي في الموصل وابنه نور الدين محمود في حلب ثم في دمشق.

* * * *

١ د/ طقوش: تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، ص١٥٩.

الحملة الصليبية الثانية

بدأت الحملة الثانية عام ٥٤٢هـ / ١١٤٧م وانتهت عام ٥٤٤هـ / ١١٤٩م. دُعي إليها كردِ فعل على سقوط مملكة الرها وقد كانت الحملة الصليبية الثانية إلى الشرق هزيمة للصليبين ونصراً للدولة الإسلامية.

النتائج التي ترتبت علي الحملة الصليبية الثانية ؟

١ - الفشل في استعادة الرها أو الاستيلاء علي دمشق.

٢ - انحطاط هيبة ومكانة الصليبيين في بلاد الشام.

٣- تقوية الوحدة بين صفوف المسلمين وارتفاع الروح المعنوية وكانت الحملة سبباً في إستعادة القدس.

* * * *

نور الدين محمود زنكي

لقد تقطعتْ أوصالُ الأمة الإسلامية، وذهبت ريحُها بين الأُمراء والإمارات، وعاث الصليبيون في أرضِ الإسلام الفساد، وتسلَّط الفاطميون على بلاد المسلمين سنينَ ينشرون الكُفْرَ والإلحاد، وتعاون خونةُ الأمراء مع الفرنجة لإسقاط بعضهم، وبين كل ذلك ضاع المسلمون وعانَوْا الظلمَ والقهر على يد الفرنجة تارة، وعلى يد الأمراء الفاسقين تارة.

وفي هذا الظلام الحالك أشرقتْ شمسُ يوم الأحد ١٧ من شهر شوال عام ٥١١هـ، وأشرق معها نورُ الدين محمود على الأمة الإسلامية، ليكمل ما بدأه أبوه عماد الدين زنكي، لقد ورث نورُ الدين مِن والده حبَّ الجهاد والسَّعي المستمر لتخليص الأُمَّة من الصليبيين، وقد مَنَّ الله على نور الدين بصفات حميدة أهَّلته ليكون كما يطلق عليه كثيرٌ من أهل العلم - سادسَ الخلفاء الراشدين.

لقد وضع بطلُنا سيرةَ الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبدالعزيز أمام عينه وجعله قُدوته ؛ قال ابن الأثير: "قد طالعت تواريخَ الملوك المتقدمين قبل الإسلام وفيه إلى يومنا هذا، فلم أرَ بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبدالعزيز أحسنَ سيرةً من الملك العادل نورِ الدين، ولا أكثر تحرِّيًا للعدل والإنصاف منه، قد قصر ليله ونهاره على عدلٍ ينشُره، وجهادٍ يتجهز له، ومظلمةٍ يزيلها، وعبادةٍ يقوم بها، وإحسانٍ يوليه، وإنعامٍ يسديه ".

نشأته:

نشأ نور الدين في كفالة والده، وتعلم القرآن والفروسية والرمي،

وكان شهماً شجاعاً ذا همة عالية، وقصد صالح، وحرمة وافرة وديانة بينة.

حبه للسنة:

كان نور الدين محباً للسنة حريصاً على اتباعها، قال عنه ابن عساكر: "ولقد حكى عنه من صحبه في حضره وسفره أنه لم يكن يسمع منه كلمة فحش في رضاه ولا في ضجره، وإن أشهى ما إليه كلمة حق يسمعها أو إرشاد إلى سنة يتبعها "[1].

وكان نور الدين يتَّسم بالجدية والذكاء، فقد كان سريعًا لسد أي فَتْقٍ أو اعتداء من الصليبين، فلما سمع أنَّ جوسلين حاصر الرها، هَبَّ مسرعًا لنجدتها، وسبى أهلَها، وأجلى منها النصارى، وذلك لأنَّهم خانوا أباه مرتين قبل ذلك، لذا كان يجب الرد الحاسم وعدم الرِّفق بأهلها.

ولما اعتدى الصليبيون على قاربين للمسلمين، غَضِبَ نور الدين وطلب من الصليبيِّين رد القوارب والأمتعة فرفضوا، فقام بحصار حصن عرقه وتخريب ربضه، والاستيلاء على حِصْنَي صافيتا، فاضطر الصليبيون إلى ردِّ القاربين والمهادنة، فقبل نور الدين ؛ لحاجته يومئذٍ لذلك.

لقد تربى نورُ الدين على الشعور بالمسؤولية وحمل همّ المسلمين، وقد كان وَرِعًا تقيًّا يعد نفسه مسؤولاً عن المسلمين أمام الله -عزَّ وجلَّ - ويَظهر هذا جليًّا في رسالته إلى زعماء دمشق ؛ قال: إنني ما قصدتُ بنُزولي هذا المنزل محارَبَتكم ؛ وإنَّما دعاني إلى هذا الأمر كثرةُ شكاية المسلمين بأن الفلاحين أُخِذَت أموالهم، وشُتّتَتْ نساؤهم وأطفالهم بِيَد الفرنج، وعدم

[1] تأريخ دمشق لابن عساكر.

الناصر لهم، فلا يسعُني مع ما أعطاني الله - وله الحمد - من الاقتدار على نصرة المسلمين وجهاد المشركين، وكثرة المال والرجال، ولا يحلُّ لي القعود عنهم، وتركُ الانتصار لهم، مع معرفتي بعجزكم عن حفظِ أعمالكم والذبِّ عنها، والتقصير الذي دعاكم إلى الاستصراخ بالفرنج على مُحاربتي، وبَذْلكم لهم أموالَ الضُّعفاء والمساكين من الرعية ؛ ظلمًا لهم وتعديًا عليهم، وهذا ما لا يُرضي الله تعالى ولا أحدًا من المسلمين.

وقد كان نور الدين مَهِيبًا موقرًا، مع ما فيه من الحلم والرَّحمة واللين ؛ قال ابن الأثير: كان مهيبًا مخوفًا مع لينه ورحمته، كانت إليه النهاية في الوقار والهَيْبة، شديدًا في غير عُنف، رقيقًا في غير ضعف[1].

وقال الحافظ ابن عساكر الدمشقي: "كنَّا نحضر مجلس نور الدين، فكنَّا كما قيل: كأنَّ على رؤوسنا الطير، تعلونا الهيبةُ والوقار، وإذا تكلم أنصتْنا، وإذا تكلمنا استمع لنا ".

وقال ابن كثير: "لم يسمع منه كلمة فُحْش قطُّ في غضب ولا رضا، صَمُوتًا وَقورًا ".

ومع هذه الهيبة كان رفيقًا بالضعفاء والمساكين، يقوم لهم، ويُقبِل عليهم، ويجلسهم بجانبهم، ويقول: "هؤلاء جندُ الله، وبدُعائهم ننتصر على الأعداء، ولهم في بيت الله حقٌّ أضعاف ما أعطيهم، فإذا رضوا منا ببعض حقِّهم، فلهم المنة علينا ".

ولذلك؛ فقد كان محبوبًا من الرعية، مُعظَّمًا عندهم ؛ قال ابنُ كثير: "

١ كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية

لما مرض نورُ الدين، فمرض الشامُ بمرضه، ثم عوفي ففرح المسلمون بذلك فرحًا شديدًا ".

ولا عجبَ، إنَّه الحب الصافي العاري عن النفاق والمصالح، وإخلاص الملك لشَعبه وخدمته والسَّعي في مصالحه، فنشأت تلك المحبة والثقة، والشعوب إذا أحبتْ قائدَها صنع بها المعجزات.

وأنا مقدر لهم إهتمامهم بعد ما رأوا العدل بعد الظلم من الدول السابقة من النصارى والشيعة.

لقد عَلِم المِلِك العادل أنَّ هذه الدنيا فانية، وأن المرء لن يخرج منها إلا بصالح العمل، فلم يَغُرَّه المُلكُ والسُّؤْدَد، فكان زاهدًا ورعًا - رحمه الله - مُتفكرًا، قال ابن الأثير: " وحَكَى لنا الأميرُ بهاء الدين علي بن الشكري قال: كنت معه في الميدان بالرُّها والشمس في ظهورنا، فكلَّما سرنا تقدَّمَنا الظل، فلما عُدنا، صار ظلُّنا وراء ظهورنا، فأجرى فرسَه وهو يلتفت وراءه، وقال لي: أتدري لأي شيء أُجري فرسي وألتفت ورائي ؟ قلت: لا قال: قد شبهت ما نحن فيه بالدُّنيا، تهرب ممن يطلبها وتطلب من يهرب منها، قلت: رضي الله عن مَلِكٍ يفكر في مثل هذا ".

وكان من ورعه -رحمه الله - أنه كان ينفق على أهل بيته من ماله الخاص من سَهمه في الغنيمة، قال ابن كثير: "كان نورُ الدين عفيفَ البطن والفرج، مقتصدًا في الإنفاق على أهله وعياله في المطعم والملبس، حتى قيل: إنَّه كان أدنى الفقراء في زمانه أعلى نفقةً منه، من غير اكتناز ولا استئثار بالدُّنيا ".

وكان نور الدين محبًّا للشهادة، مُقبلاً عليها، يطلبها في مظانِّها

ويتمنَّاها، وقد غادر الموصل يومًا وهو يُحبُّها، فسأله أصحابه: إنَّك تحب الموصل والمقام بها، ونراك أسرعت العود ؟ فيجيب: قد تغيَّر قلبي فيها، فإن لم أفارقها ظلمت، ويمنعني أيضًا أنني ها هنا لأكون مُرابطًا للعدو وملازمًا للجهاد.

كان بطلنا يضع قولَ الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِّ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُّ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ آل عمران: ١٦٩-١٧٠ نُصْبَ عينه، فظلَّ حياته يبحث عن الشهادة ويطلبها.

وقال ابن عساكر: "كان كثير المطالعة للعلوم الدينية، متبعاً للآثار النبوية، مواظباً على الصلوات في الجماعات، مراعياً لأدائها في الأوقات، مؤدياً لفروضها ومسنوناتها، معظماً لفقدها في جميع حالاتها، عاكفاً على تلاوة القرآن على الأيام، حريصاً على فعل الخير من الصدقة والصيام، كثير الدعاء والتسبيح، راغباً في صلاة التراويح، عفيف البطن والفرج، مقتصداً في الإنفاق والخرج، متحرياً في المطاعم والمشارب والملابس، متبرياً من التباهي والتماري والتنافس، عرياً عن التجبر والتكبر، بريئاً من التنجم والتطير، مع ما جمع الله له من العقل المتين، والرأي الصويب الرصين، والاقتداء بسيرة السلف الماضين، والتشبه بالعلماء والصالحين، والاقتفاء لسيرة من سلف منهم في حسن سمتهم والاتباع لهم في حفظ حالهم ووقتهم" .

وقد علم نورُ الدين أنَّ الاجتهادَ في العبادة من شروط التمكين ؛ قال - تعالى -: ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ النور: ٥٥.

وقد علم - رحمه الله - شَرَّ البدعة وفضل السُّنة، فأقام دولته على السنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال عنه ابنُ كثير: أظهرَ نورُ الدين ببلاده السنةَ، وأمات البدعةَ، وأمر بالتأذين بحيَّ على الصلاة حيَّ على الفلاح، ولم يكن يؤذَّن بهما في دولتي أبيه وجده، وإنَّما كان يؤذَّن بحي على خير العمل، لأن شعار الرَّفض كان ظاهرًا.

وقد أنشأ المدارس لمحاربة الأفكار المنحرفة - وفي مقدمتها الفكر الشيعي - في كلٍّ من حلب ودمشق ومصر، ونصر المذهبَ السني، وعلى الرَّغم من أنه كان حنفيَّ المذهب إلا أنه أنشأ الكثير من المدارس للشافعية، تأكيدًا منه لعدم التعصُّب، وجهود أهل السنة من المذهب الشافعي المسلحين بدراسة الجدل وعلم الكلام، ليواجهوا الشيعة مواجهة فكرية.

رؤياً عجيبة تدل على توفيق الله له:

فقد رأى السلطان الملك العادل نور الدين محمود زنكي عام ٥٥٧ هـ النبي ﷺ في نومه، وهو يشير إلى رجلين أشقرين يقول: أنقذني أنقذني من هذين يا محمود، فاستيقظ فزعاً منزعجاً، ثم توضأ وصلى ونام، فرأى نفس الرؤيا، فلما استيقظ في الثالثة دعا وزيراً له من الصالحين العارفين يقال له : جمال الدين الموصلي، وحدثه بما رأى، فقال : هذا أمر حدث بالمدينة المنورة

فأخرج فوراً إلى المدينة النبوية، واكتم ما رأيت، فتجهز في باقي ليلته، وخرج على رواحل خفيفة في عشرين نفراً من رجاله ومعهم وزيره المذكور، ومال كثير فقدم المدينة من الشام في ستة عشر يوماً وليلة إلى المدينة، ودخل المسجد النبوي الشريف، فصلى بالروضة الشريفة وزار وسلم على النبي ﷺ، وصاحبيه رضي الله عنهما، ثم جلس لا يدري ماذا يصنع ؟ فقال الوزير للسلطان: أتعرف الشخصين إذا رأيتهما ؟ قال: نعم فقال الوزير وقد اجتمع أهل المدينة في المسجد فقال: إن السلطان قد أحضر معه أموالاً كثيرة للصدقة فاكتبوا من عندكم من المحتاجين وأحضروهم معكم، وكان كل من حضر ليأخذ نصيبه كان السلطان يتأمله، ويتفحصه ليجد فيه الصفة والشكل التي رآهم في رؤيته بالمنام. فلم يجد تلك الصفة في أحد منهم حتى انتهى الناس جميعاً، ولم يبق منهم أحد، فقال السلطان: هل بقي أحد لم يأخذ شيئاً ؟ قالوا: لا فقال: تفكروا وتأملوا: فقالوا: لم يبق أحد إلا رجلين مغربيين صالحين، لا يأخذان من أحد شيئاً وهما غنيان يكثران الصدقات والإنفاق على المساكين والفقراء والمحتاجين. ففرح في نفسه وقال : عليّ بهما فوراً، فلما أحضرا له فإذا هما الرجلان اللذان أشار النبي ﷺ إليهما في نومه، ويقول: أنجدني أنقذني من هذين فقال لهما: من أين أنتما ؟ فقالا: من بلاد المغرب جئنا حاجين فاخترنا المجاورة في هذا العام عند رسول الله ﷺ، فقال لهما: اصدقاني القول وشدد عليهما فأصرا على قولهما: فقال: أين منزلهما ؟ فأخبر بأنهما في رباط بقرب الحجرة الشريفة فتركهما عند مكانه بالمسجد تحت حراسة، وذهب هو وبعض أهل المدينة إلى مكان سكنهما الذي يقيمان فيه، فرأى فيه مالاً كثيراً، ومصحفين، وكتاباً فوق

الأرفف، ولم يجد شيئاً آخر ولقد أثنى عليهما أهل المدينة بخير كثير، وقالوا: إنهما صائما الدهر ملازما الصلوات مع الجماعة بالروضة الشريفة، وزيارة النبي ﷺ. ولا يردان سائلاً ولا محروماً قط، فقال السلطان: سبحان الله ولم يُظهر لهم شيئاً مما رآه. وأخذ السلطان يطوف ويتجول في البيت، ثم ألهمه الله سبحانه وتعال، يرفع حصيراً في البيت، فوجد تحتها لوحاً من الخشب فرفعه فرأى سرداباً محفوراً ومتجهاً اتجاه الحجرة الشريفة، ومخترقاً جدارالمسجد، فارتاعت الناس لذلك، وذهل أهل المدينة لهذا الحدث العجيب، وكانوا يعتقدون فيهما الصلاح والتقوى، والإيمان . وقال السلطان لهما: اصدقاني حالكما، وضربهما ضرباً شديداً، فاعترفا أنهما نصرانيان بعثهما النصارى في زي حجاج مغاربة، وأعطوهما أموالاً كثيرة وعظيمة وأمروهما بالتحايل والجدل والخبث والمكر والدهاء في أمر عظيم خيلته لهم أنفسهم وشياطينهم بأنه من السهل الوصول إلى جسد الحضرة النبوية الشريفة ﷺ في إخراج الجسد الكريم من قبر المعصوم ونقله إلى بلادهم، فلما ظهر حالهما واعترافهما بجريمتهما البشعة، وظهر حالهما على يديه، وأكرمه الله تبارك وتعالى لذلك العمل العظيم دون غيره من السلاطين في عهده، فبكى بكاءاً شديداً شكراً لله تعالى على هذا العطاء العظيم . ثم أمر بعد ذلك بضرب عنقهما فقتلا تحت الشباك في شرقي الحجرة النبوية الشريفة، ثم أمر السلطان نور الدين بإحضار رصاص عظيم، وأمر بحفر خندق عظيم وصل إلى الماء حول الحجرة الشريفة كلها ثم أذابوا الرصاص وملأ به هذا الخندق فصار حول الحجرة الشريفة سوراً منيعاً وحصناً حصيناً من الرصاص حتى منسوب المياه وبمسطح كامل

الحجرة الشريفة بما فيها حول القبور الشريفة، حتى لا يصل إلى هذا المكان الطاهر العظيم أي يد من الأيدي مهما كانت، ولله الأمر من قبل ومن بعد، ثم عاد السلطان نور الدين إلى ملكه بالشام[1].

شجاعته

يقول الإمام ابن عساكر: "بلغني أنه في الحرب رابط الجأش، ثابت القدم، شديد الانكماش، حسن الرمي بالسهام، صليب الضرب عند ضيق المقام، يقدُم أصحابه عند الكرّة، ويحمي منهزمهم عند الفرّة، ويتعرض بجهده للشهادة لما يرجو بها من كمال السعادة "[2].

وقال ابن الأثير: " وأما شجاعته وحسن رأيه فقد كانت النهاية إليه فيهما، فإنه كان أصبر الناس في الحرب، وأحسنهم مكيدة ورأياً، وأجودهم معرفة بأمور الأجناد وأحوالهم، وبه كان يضرب المثل في ذلك، سمعت جمعاً كثيراً من الناس لا أحصيهم يقولون: إنهم لم يروا على ظهر الفرس أحسن منه، كأنه خلق منه لا يتحرك ولا يتزلزل"[3].

وعند حصن الأكراد عام ٥٥٨هـ هاجم الصليبيون معسكر نور الدين رحمه الله على حين غفلة وهو في قلة من أصحابه، فانسحب بسرعة إلى حمص وأخذ ما يحتاجه من خيام وتجهيزات عسكرية، وعاد فعسكر على بحيرة (قدس) على بعد أربعة فراسخ فحسب من مكان الهجوم، يقول ابن

---

١ كتاب الحجرات الطاهرات بيت النبوة عبد الرحيم محمود الخولي ص ٢٧

٢ تاريخ دمشق لابن عساكر.

٣ التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية: ١٦٨

الأثير: " فكان الناس لا يظنون أنه يقف دون حلب، فكان رحمه الله أشجع من ذلك وأقوى عزماً "، وعلى بحيرة (قدس) اجتمع إليه كل ناجٍ من المعركة فقال له بعض أصحابه: ليس من الرأي أن تقيم هاهنا، فإن الفرنج ربما حملهم الطمع على المجيء إلينا ونحن على هذه الحال، فوبخه واسكته وقال: " إذا كان معي ألف فارس لا أبالي بأعدائي قلّوا أم كثروا، والله لا أستظل بجدار حتى آخذ بثأر الإسلام وثأري "، وأرسل إلى حلب يطلب مزيداً من الأموال والعدد، وكان في نية الصليبيين الهجوم على حمص باعتبارها أقرب المواقع إليهم، فلما بلغهم مقام نور الدين رحمه الله قريباً منها قالوا: إنه لم يفعل هذا إلا وعنده من القوة ما يمنعنا [١].

لقد كان نور الدين يسعى لتحرير جميع أراضي المسلمين من يد الصَّليبيين، وخاصة بيت المقدس، وتطهير المنطقة منهم للأبد، وعلم نور الدين أنَّه لن يتأتي له ذلك إلا بتوحيد بلاد المسلمين لمواجهة العدو، وتخليص البلاد من الأمراء الخونة المتعاونين مع الصليبيِّين.

وكان من أكبر العوائق أمامه دمشق، إذ إنَّها البوابة الشرقية لبيت المقدس، وبضمها تتَّحد بلاد الشام تحت إمارة نور الدين، وقد ظلتْ عائقًا أمامه لحماية المدن الجنوبية مثل عسقلان، وبالفعل استطاع الصَّليبيون أن يحتلوها، وبذلك أصبح الطريق مفتوحًا أمامهم إلى مصر.

وقد قال:

إنِّي لأستحيي من الله تعالى أن يراني مبتسمًا، والمسلمون محاصرون بالفرنج!".

---

١ نور الدين محمود وتجربته الإسلامية د. عماد الدين خليل: ٣٠.

هكذا لَخَّصَتْ تلك العبارةُ منهجَ وهِمَّةَ هذا البطلِ العظيم، إنَّه الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي.

أدرك نورُ الدين أن اعتماد العنف سيستفز حكامها، ويدفعهم إلى مراسلة الصَّليبيِّين والاستعانة بهم، فعمَد إلى إعمال الحيلة والسياسة، فأخذ يُراسِل صاحبَها مجير الدين ويستميله ويبعث إليه بالهدايا الموصولة، ويظهر له المودة، حتى وَثِق به، وأخذ نور الدين يُكاتبه مشكِّكًا بنيات عدد من أمرائه، وأنَّهم بصدد الاتصال به ضد ملكهم، وذلك دفع مجير الدين إلى إبعاد واعتقال عددٍ من أبرز أصحابه، فلما خلتْ دمشق من زهرة أُمرائها، انتقل نورُ الدين خُطوةً أخرى، فاتصل بأحداث دمشق (أي: حَرَسها الشعبي) وجماهيرها واستمالهم، فأجابوه إلى تسليم البلد، وعند ذاك تقدم لحصار دمشق وتَمكَّن بمعونة أهلها أنفسِهم من دخولها بسهولة بالغة ودونما إراقة للدِّماء، فحقق بذلك الهدف الكبير الذي طالما سعى له أبوه.

ومن أعظم فتوحات نور الدين أيضًا فتحُ مصر وتخليصها من الدولة الفاطمية العبيدية الإسماعيلية، التي نشرت الكُفْرَ والإلحاد مئات السنين بمصر، ولطالما تحالفت مع أعداء الأمة ضدَّها، كما كانت مصر هي البوابةَ الغربية لبيت المقدس.

وقد ضعفت الدولة الفاطمية فيها، وسادها حالةٌ من الفوضى، فطمع بها الصليبيون، وقاموا بحملات عليها، فهب نور الدين مُسرعًا إليها قبل أن يسبقه الصَّليبيون، وقام بهجومٍ مُكثَّف على حصونهم وقلاعهم، ليشغلهم عنها، وظل يرسل الحملاتِ المتتابعة يقودها قائدُه المقرب أسد الدين شريكوه بصُحبة ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي، واستطاع أسد

الدين أن يدخل القاهرة، ويقتل الخائن شاور، الذي تَحالف مع الصليبيين مرارًا، ومنع أسد الدين من دخول مصر ثلاث مرات.

وبذلك اجتمع لنور الدين حكمُ مصر والشام، وأصبح يطوق الصَّليبيِّين من كل جهة، وراسل الخليفةَ العباسي مُبشِّرًا إياه بفتح مصر قائلاً: وبقيت مائتين وثمانين سنة ممنوعة بدعوة المبطلين، مملوءة حتى أَذِنَ الله لغُمَّتِها بالانفراج، وأقدمنا على ما كُنَّا نؤمله من إزالة الإلحاد والرَّفض، وتقدمنا إلى من اسْتَنَبْنَاهُ أن يستفتح باب السَّعادة، ويقيم الدعوة العباسية هنالك، ويورد الأدعياء ودُعاة الإلحاد بها المهالك.

وكانت عينُ البطل على بيت المقدس، وقد أمر أمهرَ الصُّنَّاع بصناعة منبر ما زال التاريخ يتحدَّث عنه، ليضعَه في المسجد الأقصى، ولكن وافتْه المنية يومَ الأربعاء الحادي عشر من شوَّال سنة تسع وستين وخمسمائة، ودفن بقلعة دمشق، ثُمَّ نقل إلى تربة تُجاور مدرسته التي بناها لأصحاب أبي حنيفة.

رحل البطل الجَسُور بعدما فتح الطريقَ إلى بيت المقدس، وقد فُتِحَت على يد أحد تلاميذه، صلاح الدين الأيوبي رحمه الله[1].

كما روى ابن الأثير عن عدل نور الدين بعد موته وهو من أعجب ما يحكى أن إنساناً كان بدمشق غريباً استوطنها وأقام بها لما رأى من عدل نور الدين ـ رحمه الله ـ فلما توفى تعدى بعض الأجناد على هذا الرجل فشكاه فلم ينصف، فنزل من القلعة وهو يستغيث ويبكي، وقد شق ثوبه وهو

---

١ كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية

يقول: "يا نور الدين لو رأيتنا وما نحن فيه من الظلم لرحمتنا، أين عدلك؟ وقصد تربة نور الدين ومعه من الخلق ما لا يحصى وكلهم يبكي ويصيح فوصل الخبر إلى صلاح الدين فقيل له: احفظ البلد والرعية وإلا خرج عن يدك، فأرسل إلى ذلك الرجل وهو عند تربة نور الدين يبكي والناس معه وطيب قلبه ووهبه شيئاً وأنصفه، فبكى أشدّ من الأول، فقال له صلاح الدين: لم تبكي ؟ قال: أبكي على سلطان عَدَل فينا بعد موته فقال صلاح الدين: هذا هو الحق، وكل ما ترى فينا من عدل فمنه تعلمناه.

تلك هي سيرة الملوك العظماء، ملوك الإسلام، مَن عَلَّموا الدُّنيا معنى التجرُّد والعدل والإقدام، وتلك آثارهم شاهدة على صحة منهجهم، ففي عهدهم نُصِرَ الإسلام، وفتحت البلاد، وارتاح العباد، ونُصرت السُّنة، وقُمعت البدعة، ولا يزالون يذكرون بالمجد وأطيب الثناء[1].

وتوفي السلطان نور الدين محمود زنكي بحلب عام ٥٨٨ فرحمة الله عليه.

* * * *

١ كتاب الحجرات الطاهرات بيت النبوة عبد الرحيم محمود الخولي ص

صلاح الدين الأيوبي[1]

بعد وفاة نور الدين محمود خلفه ابنه الملك الصالح إسماعيل الذي لم يكن على مستوى الأحداث بفعل صغر سنه،وافتقاره إلى الخبرة والتجربة.

وبرز من جهة أخرى صلاح الدين الأيوبي كَوَارِثٍ طبيعيٍّ، استطاع أن يملأ الفراغ القيادي الذي ظهر بعد وفاة نور الدين محمود، وبوفاة الملك الصالح إسماعيل زال هذا القسم من الدولة الزنكية، ودخل في حُكْمِ صلاح الدين بعد صراع دامٍ مع دولة الموصل.

وصلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - كان من هذا الطراز، رجلٌ أُمَّة، وهو إحدى معجزات الإسلام الباهرة، وإحدى آياته الظاهرة.. ولكن لماذا الحديث عن صلاح الدين؟ أهو تغنٍّ بالماضي أم بكاء على الأطلال ؟ أم أنه تحسر على الواقع المرير؟

صنع الرجال أعظم صنعة، وبناء الإنسان أشد من بناء ناطحات السحاب، وهناك رجال الواحد منهم بألف، كما أن هناك ألوفًا لا يساوون رجلاً واحدًا.

وفي وسط الظلام الدامس، والأيام الحالكة، والليالي المفعمة بالسواد، يتراءى للناس شعاع من نور الله، فيبعث الله لهم من يجدِّد لهم أمر دينهم، وشئون حياتهم، فيقيض الله لهذه الأمة رجالاً يحملون همَّ هذا الدين، فيتركون الدنيا وزينتها، ويجعلون زخرفها وراءهم ظهريًّا.

---

١ موقع صلاح الدين الأيوبي أبو الحسن الندوي

صلاح الدين الأيوبي.. الأصل والنشأة

لم يكن صلاح الدين - رحمه الله - من الأصل العربي الذي يتغنى به كثير من أدعيائه، والحق إن صلاح الدين - رحمه الله - كان من عائلة كردية، كريمة الأصل، عظيمة الشرف، ولد في تكريت، وهي بلدة قديمة تقع بين بغداد والموصل، وكان أبوه حاكمًا لقلعة تكريت. والحق إن عراقة النسب لا تشفع لسوء الخلق، ورفعة الحسب لا تغني عن ضعف الدين، وهل كان أكثر عظماء هذه الأمة وبُناة هذه الحضارة إلا من مسلمي غير العرب ؟! وسَلْ عن ذلك التاريخ يخبرك بأسماء لامعة مثل البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم من أهل العلم وقادة الجيوش.

ومن غريب ما وقع، أن ولادة صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن شادي، صادفت إجبار أبيه على الخروج من تكريت، فتشاءم أبوه منه، فقال له أحد الحضور: فما يدريك أن يكون لهذا المولود ملكٌ عظيم له صيت ؟!

ولما هاجر نجم الدين أيوب من تكريت، كان نزوله إلى الموصل عند عماد الدين زنكي، فأكرمه، ونشأ الطفل صلاح الدين نشأة مباركة، درج فيها على العز، وتربى فيها على الفروسية، وتدرب فيها على السلاح، ونما فيها على حب الجهاد، فقرأ القرآن الكريم وحفظ الحديث الشريف، وتعلم من اللغة ما تعلم.

صلاح الدين الأيوبي وزيرا في مصر

كانت مصر قبل قدوم صلاح الدين مقر الدولة الفاطمية، ولم يكن

للخليفة الفاطمي سوى الدعاء على المنابر، وكانت الأمور كلها بيد الوزراء، وكان وزير الدولة هو صاحب الأمر والنهي، ومن ثَم فقد كانت مصر نهبًا للثورات الداخلية بين الطوائف المختلفة، من مماليك أتراك وسودانيين ومغاربة. ولما رأى القائد نور الدين محمود هذه الخلافات، وبدا له طمع ملك بيت المقدس أموري الصليبي في دخول مصر، أرسل نور الدين محمود من دمشق إلى مصر جيشًا بقيادة أسد الدين شيركوه، يساعده ابن أخيه صلاح الدين، فلما علم الصليبيون بقدوم أسد الدين شيركوه، تركوا مصر، ودخلها أسد الدين، وقربه الخليفة الفاطمي، ثم لم يلبث أن عُيِّن وزيرًا بعد ذلك، ولم تستمر له الوزارة سوى شهرين، فاختار الخليفة ابن أخيه صلاح الدين وزيرًا خلفًا له.

حيكت المؤامرات من أرباب المصالح، وأصحاب المطامع، ولكن صلاح الدين الأيوبي تغلب عليها كما تغلب على الفتن الخارجية، وبدا لصلاح الدين ظهور التشيع في مصر، فأسس مدرستين كبيرتين هما المدرسة الناصرية، والمدرسة الكاملية حتى يحوِّل الناس إلى مذهب أهل السنة، تمهيدًا للتغيير الذي يريده، وكان نور الدين محمود في دمشق يكثر من إلحاحه على صلاح الدين الأيوبي لتغيير خطبة يوم الجمعة وجعلها باسم الخليفة العباسي " المستضيء "، بدلاً من الحاكم الفاطمي " العاضد ". وما كان ذلك طلب نور الدين وحده، بل كان طلب الأمة كلها، لكن صلاحًا - رحمه الله - كان يتريث ويتحين الوقت المناسب، فلما مرض الحاكم الفاطمي مرض موته المخوف خطب الجمعة باسم الخليفة العباسي، وأصبح صلاح الدين الأيوبي سيد مصر، ليس لأحدٍ فيها كلمة سواه.

صلاح الدين الأيوبي وبيت المقدس

كان صلاح الدين - رحمه الله - مفعمًا قلبه بحب الجهاد شغوفًا به، قد استولى على جوانحه. وقد هجر - رحمه الله - من أجل ذلك أهله وولده وبلده، ولم يكن له ميل إلا إليه، ولا حب إلا لرجاله.

يقول القاضي بهاء الدين بن شداد: "وكان الرجل إذا أراد أن يتقرب إليه يحثه على الجهاد، ولو حلف حالف أنه ما أتفق بعد خروجه إلى الجهاد دينارًا ولا درهمًا إلا في الجهاد أو في الأرفاد، لصدق وبرّ يمينه".

إن لكل رجل همَّه، وهمُّ الرجل على قدر ما أهمه، وكأني بابن القيم - رحمه الله - يصف صلاح الدين الأيوبي حين قال: "النعيم لا يدرك بالنعيم، وبحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا فرحة لمن لا همَّ له، ولا لذة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له ".

وإذا كانت النفوس كبارًا   تعبت في مرادها الأجسام

وهكذا كان صلاح الدين - رحمه الله - كانت حياته كلها جهاد، وكان يعود من غزو إلى غزو، ومن معركة إلى معركة، وكانت معركة حطين من معاركه التي كتبت له بأقلام من نور على صفحات من ذهب، وسطرت على جبين التاريخ شاهدة له بكل معاني الجهاد والتضحية. وكان من كلامه - رحمه الله -: "كيف يطيب لي الفرح والطعام ولذة المنام وبيت المقدس بأيدي الصليبيين ؟!!".

يقول بهاء الدين بن شداد واصفًا صلاح الدين: " كان -رحمه الله-

عنده القدس أمر عظيم لا تحمله إلا الجبال". وقال أيضًا: "وهو كالوالدة الثكلى، يجول بفرسه من طلب إلى طلب، ويحث الناس على الجهاد، ويطوف بين الأطلاب بنفسه وينادي: يا للإسلام، وعيناه تذرفان بالدموع، وكلما نظر إلى عكا، وما حلَّ بها من البلاء، اشتد في الزحف والقتال، ولم يطعم طعامًا ألبتة، وإنما شرب أقداح دواء كان يشير بها الطبيب، ولقد أخبرني بعض أطبائه أنه بقي من يوم الجمعة إلى يوم الأحد لم يتناول من الغذاء إلا شيئًا يسيرًا لفرط اهتمامه ".

إن صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- كانت له غاية، وهو في غايته لا يرضى بدونها، إنه يتمثل قول القائل:

ونحن أناس لا توسط عندنا   لنـا الصدر دون العالمين أو القبر

تهون علينا في المعالي نفوسنا   ومن خطب الحسناء لم يغله المهر

ولقد أراد صلاح الدين الجنة ورضي بها مقرًّا بدلاً عن الدنيا، وقدم لها المهر غاليًا رحمه الله.

وما أن أكرم الله "صلاح الدين" في حطين، حتى جاءته رسالة على لسان المسجد الأقصى

جاء فيها:

يا أيـهـا الملك الـــذي   لمعـالم الصلبـان نـكـــس

جاءت إليك ظـلامة   تسعى من البيت المُقَدَّس

كل المساجد طـهرت   وأنـــا عـلى شرفي أُدنـــس

معركة حطين

قال ابن كثير: (برز السلطان من دمشق يوم السبت مستهل محرم في جيشه، فسار إلى رأس الماء فنزل ولده الأفضل هناك في طائفة من الجيش، وتقدم السلطان ببقية الجيش إلى بصرى فخيم على قصر أبي سلام، ينتظر قدوم الحجاج ليسلموا من معرة برنس الكرك، فلما جاز الحجيج سالمين سار السلطان فنزل على الكرك وقطع ما حوله من الأشجار، ورعى الزرع وأكلوا الثمار، وجاءت العساكر المصرية وتوافت الجيوش المشرقية، فنزلوا عند السلطان على رأس الماء، وبعث الأفضل سرية نحو بلاد الفرنج فقتلت وغنمت وسلمت ورجعت، فبشر بمقدمات الفتح والنصر.

وجاء السلطان بجحافله فالتفت عليه جميع العساكر، فرتب الجيوش وسار قاصداً بلاد الساحل، وكان جملة من معه من المقاتلة اثني عشر ألفاً غير المتطوعة، فتسامعت الفرنج بقدومه فاجتمعوا كلهم وتصالحوا فيما بينهم، وصالح قومس طرابلس وبرنس الكرك الفاجر، وجاءوا بحدهم وحديدهم، واستصحبوا معهم صليب الصلبوت يحمله منهم عباد الطاغوت وضلال الناسوت، في خلق لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل، يقال: كانوا خمسين ألفاً، وقيل: ثلاثاً وستين ألفاً، وقد خوفهم صاحب طرابلس من المسلمين فاعترض عليه البرنس صاحب الكرك، فقال له: لا أشك أنك تحب المسلمين وتخوفنا كثرتهم، وسترى غب ما أقول لك، فتقدموا نحو المسلمين.

وأقبل السلطان ففتح طبرية وتقوى بها فيها من الأطعمة والأمتعة

وغير ذلك، وتحصنت منه القلعة فلم يعبأ بها، وحاز البحيرة في حوزته ومنع الله الكفرة أن يصلوا منها إلى قطرة، حتى صاروا في عطش عظيم، فبرز السلطان إلى سطح الجبل الغربي من طبرية عند قرية يقال لها حطين، التي يقال إن فيها قبر شعيب عليه الصلاة والسلام، وجاء العدو المخذول، وكان فيهم صاحب عكا وكفر نكا وصاحب الناصرة وصاحب صور وغير ذلك من جميع ملوكهم، فتواجه الفريقان وتقابل الجيشان، وأسفر وجه الإيمان واغبر وأقتم وأظلم وجه الكفر والطغيان، ودائرة دائرة السوء على عبدة الصلبان، وذلك عشية يوم الجمعة، فبات الناس على مصافهم.

وأصبح صباح يوم السبت الذي كان يوماً عسيراً على أهل الأحد (النصارى) وذلك لخمس بقين من ربيع الآخر، فطلعت الشمس على وجوه الفرنج واشتد الحر وقوي بهم العطش، وكان تحت أقدام خيولهم حشيش قد صار هشيماً، وكان ذلك عليهم مشؤوماً، فأمر السلطان النفاطة أن يرموه بالنفط، فرموه فتأجج ناراً تحت سنابك خيولهم، فاجتمع عليهم حر الشمس وحر العطش وحر النار وحر السلاح وحر رشق النبال، وتبارز الشجعان، ثم أمر السلطان بالتكبير والحمل الصادقة فحملوا وكان النصر من الله عز وجل، فمنحهم الله أكتافهم فقتل منهم العدد الكثير، وأسر أيظا من شجعانهم وفرسانهم، وكان في جملة من أسر جميع ملوكهم سوى قومس طرابلس فإنه انهزم في أول المعركة، واستلبهم السلطان صليبهم الأعظم، وهو الذي يزعمون أنه صلب عليه المصلوب، وقد غلفوه بالذهب واللآلئ والجواهر النفيسة، ولم يسمع بمثل هذا اليوم في عز الإسلام وأهله، ودمغ الباطل وأهله، حتى ذكر أن بعض الفلاحين رآه

بعضهم يقود نيفاً وثلاثين أسيراً من الفرنج، وقد ربطهم بطنب خيمة، وباع بعضهم أسيراً بنعل ليلبسها في رجله، وجرت أمور لم يسمع بمثلها إلا في زمن الصحابة والتابعين، فلله الحمد دائماً كثيراً طيباً مباركاً).

وأكرم الله بيت المقدس بصلاح الدين كما أكرم صلاح الدين ببيت المقدس ففتحه في ٢٧ رجب عام ٥٨٣هـ، وقام القاضي محيي الدين بن زكي الدين ليخطب أول جمعة بعد قرابة مائة عام، وكان مما قال مخاطبًا صلاح الدين وجيشه: " فطوبى لكم من جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية، والوقعات البدرية، والعزمات الصديقية، والفتوحات العمرية، جددتم للإسلام أيام القادسية، والوقعات اليرموكية، والمنازلات الخيبرية، والهجمات الخالدية، فجزاكم الله عن نبيكم ﷺ أفضل الجزاء ".

لماذا انتصر صلاح الدين الأيوبي؟

لم يكن صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - ممن يبحث عن ألقاب زائفة، أو دنيا زائلة، لكنه كان داعية حق، ورجل معركة، وصاحب عقيدة، ومن ثَم فلم يكن انتصاره - رحمه الله - صدفة واتته، أو حظًّا أدركه، وإنما كان قدر الله بعد الأخذ بالأسباب، ومن هذه الأسباب:

١ - تقوى الله والاحتراس من المعاصي:

يقول واصفوه: إنه - رحمه الله- كان خاشع القلب، غزير الدمعة، إذا سمع القرآن الكريم خشع قلبه ودمعت عينه، ناصرًا للتوحيد، قامعًا لأهل البدع، لا يؤخر صلاة ساعة عن ساعة، وكان إذا سمع أن العدو داهم المسلمين خرَّ ساجدًا لله قائلاً: "إلهي قد انقطعت أسبابي الأرضية في دينك

ولم يبق إلا الإخلاد إليك، والاعتصام بحبلك، والاعتماد على فضلك، أنت حسبي ونعم الوكيل". ومن جميل ما ذكر عنه أنه كان يواظب على سماع الحديث، حتى سمع جزءًا من الحديث وهو واقف بين الصفين، وقال في ذلك – رحمه الله –: "هذا موقف لم يسمع أحد في مثله حديثًا ".

٢- الإعداد الكامل والاهتمام البالغ بقضية التحرير:

وقد بلغ من اهتمامه ألا يجعل لنفسه سكنًا، بل خيمة تضرب بها الرياح يمنة ويسرة، وقيل في وصفه: " كان رحمه الله عنده من القدس أمر عظيم لا تحمله إلا الجبال ". كما ظهر اهتمامه بصناعة الأسلحة، وبناء السفن، وتركيب الألغام والمجانيق، وغيرها من أدوات القتال.

٣- توحيد البلاد:

وهذا ما صنعه صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- من يوم أن ولي وزارة مصر، وأسندت إليه سلطنتها، حيث رفض المذهب الشيعي، وأبطل الدعاء للخليفة الفاطمي وجعله للخليفة العباسي.

٤- هدفه من القتال:

لم يكن هدفه – رحمه الله – إعلاء صيته، أو تصيد الثناء من الناس، وإنما كان إعلاء كلمة الله. واسمع إليه حين يقول: "في نفسي أنه متى ما يسَّر الله تعالى فتح بقية الساحل، قسَّمتُ البلاد، وأوصيتُ، وودعت، وركبتُ هذا البحر إلى جزائره، أتبعهم فيها حتى لا أُبقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت!!!".

الحملة الصليبية الثالثة

كان لهذه الانتصارات وعلى رأسها سقوط القدس صدى مؤلم في أوربا أدى إلى إثارة الحماس مرة أخري، وتصاعدت صيحات إنقاذ الأراضي المقدسة تتردد في أرجاء أوربا. واتجهت الكنيسة إلى جمع الضرائب للحروب الصليبية، وشجعت الناس على الخروج لقتال المسلمين، وأعلن البابا أن من لم يستطع أن يخرج بنفسه وتبرع بالمال غُفرت له ذنوبه، ثم تطور هذا الأمر إلى إصدار صكوك الغفران لكل من يتبرع لهذه الحرب، أو يخرج فيها، وتم تعبئة عدد من الحملات يقودها ملك إنجلترا "ريتشارد" الملقب بقلب الأسد، و"فيليب أوغسطس" ملك فرنسا، و"فريدريك بربوسا" ملك الألمان.

لقد كانت الحملة التى قادها فردريك فاشلة، وذلك لأن قائدها نفسه قد غرق في نهر بأرمينية، فعاد معظم جيشه من حيث أتي، ولم يصل منه إلى الأراضي المقدسة سوى عدد قليل. وهكذا وقع عبء الحرب على ريتشارد وفيليب.

وقبل وصول هذين الأخيرين، أخذ الصليبيون يجمعون قواتهم، ويحاولون القيام بعمل مضاد لحركات صلاح الدين.. فوجهوا قواتهم لتحاصر عكا من البر، وأساطيلهم لتحاصرها من البحر، وكان في استطاعة صلاح الدين أن يقضي على الجيش الصليبي لولا وصول ريتشارد وجيوشه في ذلك الوقت.

وقد طال الحصار البحري البري مدة عامين كاملين من سنة ٥٨٦-

٥٨٨هـ/ ١١٨٩-١١٩١م لتسقط عكا اخيرا بايدي الصليبيين.

وجرت مذبحة بأمر ريتشارد وتحت قيادته في عكا. بعدها تمت محاولاته لاحتلال مدن اخرى. لكنها باءت كلها بالفشل، وفي عام٥٨٨هـ - ١١٩٢م.عقد الصلح مع صلاح الدين، واحتفظ الصليبيون بشريط ساحلي يمتد من صور إلى يافا، وسمح صلاح الدين للحجاج والتجار بزيارة مدينة القدس والأماكن المقدسة.

وتوصل الجانبان إلى اتفاق يطلق بمقتضاه الصليبيون سراح حامية عكا، شريطة أن يدفع صلاح الدين ٢٠٠ ألف قطعة ذهبية. وقد حدث أن تأخر دفع المبلغ المتفق عليه، فأمر ريتشارد بإعدام كل أسراه، وعددهم ٢٧٠٠ أسير،

صلح الرملة :

استمرت المناوشات البسيطة بين الفريقين، ولكن ريتشارد مَلَّ الحرب، وخاف على ملكه في أوربا، فجرت بينه وبين صلاح الدين مشاورات ومراسلات، ومن أهم ما جاء في هذه المراسلات ماكتبه ريتشارد إلى صلاح الدين يقول: إن المسلمين والفرنج قد هلكوا وخربت ديارهم، وتلفت الأموال والأرواح، وليس هناك حديث سوى القدس والصليب، والقدس مُتَعَبَّدُنا ما ننزل عنه، والصليب خشبة عندكم لا مقدار له، وهو عندنا عظيم؛ فيَمُنّ به السلطان علينا ونستريح من هذا العناء. فأجاب صلاح الدين: القدس لنا كما هو لكم، وهو عندنا أعظم مما هو عندكم، فإنه مسرى نبينا ومجتمع الملائكة، فلا تتصور أن ننزل عنه، وأما البلاد فهي لنا

واستيلاؤكم كان طارئًا عليها لضعف المسلمين، وأما الصليب فهلاكه عندنا قُربة عظيمة فلا يجوز أن نفرط فيه إلا لمصلحة أوفي منه.

وقد أدت هذه المفاوضات إلى عقد اتفاق بين الجانبين وهو صلح الرملة سنة ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م، وشروطه: ترك أراضي الساحل للصليبيين، ومنها صور وعكا ويافا وعسقلان، في حين أصبح داخل البلاد لصلاح الدين على أن يسمح للمسيحيين بالحج إلى بيت المقدس، وأن يتعهد بحمايتهم.

وفاة صلاح الدين الأيوبي

مات صلاح الدين -رحمه الله- كما مات من سبقه من البشر من الأنبياء والمرسلين والدعاة والمصلحين، إذ مرض رحمه الله- في ١٦ صفر ٥٨٩هـ، ووافته المنية في ٢٧ صفر ٥٨٩هـ. ولئن كانت روحه قد فارقت جسده، وانتقل بجسده وروحه عن دنيا الناس، إلا أن أعماله الخالدة حيّة يذكره الناس بها في كل آنٍ، ويتطلع الناس إلى مثلها في كل مكان.

والآن.. أليس الوضع هو الوضع والحال هو الحال؟!

تالله ما أشبه الليلة بالبارحة! وما أشبه اليوم بالأمس! أمة ممزقة إلى أجزاء، ومجزأة إلى أوصال، ومتقطعة إلى دويلات، في كل دولة ودويلة حاكم وسلطان، وفي كل محلة راية وأعلام، وفي كل زاوية رأي وفقيه، مع اعتزاز كل ذي موقف بمكانه، وإعجاب كل ذي رأي برأيه.. كل ذلك مع ضياع القدس وانتهاب فلسطين، وانتهاك الحرمات وهتك الأعراض، وقتل الأطفال، ودك البيوت. فهل للمسلمين من صلاحٍ جديد يصلح الدنيا بالدين، ويجدِّد للناس دينهم؟! نسأل الله ذلك.

الحملة الصليبية الرابعة

دعا اليها البابا في ١٢٠٢م. وكانت خطة الصليبيين الاولية تتلخص في دفع القوات إلى مصر، لضرب القوة الاسلامية الكبري في المنطقة ثم شن الحرب منها باتجاه القدس لكن البندقيين الذين تولوا امر توجيه وتوفير وسائل النقل والغذاء للحملة مقابل ٨٥ الف مارك ذهبي، اثّروا في مسار الحملة ووجهوها إلى القسطنطينية عمداً. لأن الصليبيين لم يوفروا المبلغ المتفق عليه. واسفرت الحملة عن تخريب وتدمير القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ومركز الثقافة الإغريقية العريقة، ولم تتخذ البابوية اجراءات فعلية تجاه هذا الحدث. وكانت تلك الحملة تمثل انحطاط الحملات الصليبية التي اصبحت فيما بعد بحاجة إلى تبرير مقنع، بعدما كانت امرا إلهيا باسم الكنيسة .

الحملة الصليبية الخامسة

تحركت قوات مجرية وجنوب المانية بقيادة اندارش الثاني وقوات نمساوية ووصلت إلى عكا وتوقفت هناك حتى انضمت اليها قوات المانية وهولندية فتوجهوا إلى مدينة دمياط في شمال شرق الدلتا بمصر علي النيل واستولوا عليها واستكمل الهجوم نحو المنصورة في مصر وفي ذلك الوقت بالذات بدأ فيضان النيل وفتح المصريون السد علي النهر وقطع المسلمون طريق التراجع على الصليبيين وحاصرت قوات المسلمين الصليبيين باعداد كبيرة وغرق المئات بمياه الفيضان وأُسر الملك لويس التاسع بدار ابن لقمان

بالمنصورة فطلب الصليبيون الصلح واطلاق سراح الملك لويس وقبلت الملكة شجر الدر زوجة السلطان الكامل الأيوبي الصلح ادراكا منها بخطر المغول في المشرق وكان الكامل قد مات ليلة معركة المنصورة ووقع الصلح في ٣٠ اغسطس ١٢٢١ لمدة ٨ سنوات، وكان على الصليبيين مغادرة دمياط، ونفذوا ذلك في اوائل سبتمبر من نفس العام ومنيت الحملة الصليبية الخامسة بالفشل الذريع.

الحملة الصليبية السادسة

قادها الامبراطور فريدريك الثاني هوهنشتاوفن الالماني الذي اراد ان يحقق مقاصده دون ان يسحب سيفه من غمده في صيف ١٢٢٨م، ولم تحظ هذه الحملة بمباركة البابوية بل حرم الامبراطور من الكنيسة لتأخره في تنفيذ نذره بأخذ الصليب.تفاوض فيها فريدريك مع السلطان الكامل مما اسفر في فبراير ١٢٢٩م عن صلح لمدة ١٠ سنوات تنازل بمقابله السلطان عن القدس باستثناء منطقة الحرم، وبيت لحم والناصرة وقسم من دائرة صيدا وطورون (تبنين حاليا) وكانت الحملة الاولى التي لا تبارك انطلاقها البابوية.

الحملة الصليبية السابعة

كان الهزيمة التي لحقت بقصائل الصليبيين عام ١٢٤٤م وخسارتهم التامة للقدس ادت إلى ترتيب الحملة الصليبية السابعة، فقادها الملك

الفرنسي لويس التاسع وتوجه بها إلى مصر واستمرت الحملة بين عامي ١٢٤٨م و١٢٥٤م، فسيطروا في البدء على دمياط ثم المنصورة، ولكن المسلمين بقيادة الملك المعظم طوران شاه نجحوا في تدمير قواتهم وفي حصر بقاياها في المنصورة حتى استسلموا، ووقع لويس في الاسر حتى تم فديه عام ١٢٥٠م فعاد إلى عكا وبقي فيها ٤ سنوات قبل العودة إلى فرنسا بخفي حنين.

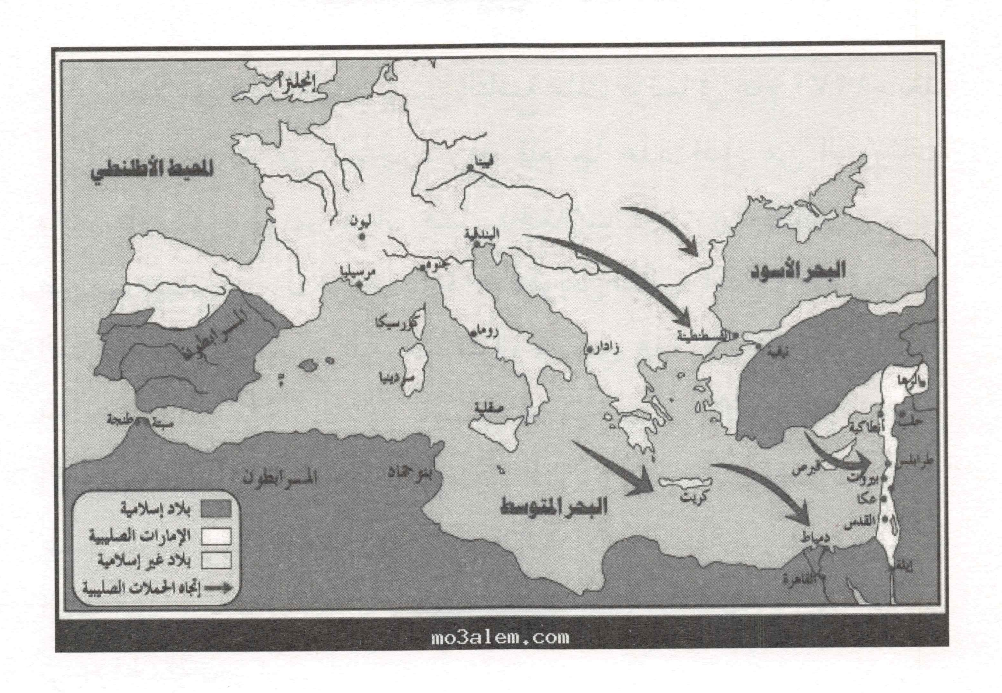
الحملة الصليبية الثامنة

انطلق في هذه الحملة لويس التاسع ملك فرنسا في عام ١٢٧٠م بعد حوالي ٣ سنوات من التأخير، وقد قام بها عدد قليل من البارونات والفرسان الفرنسيون، اذ ان فشل الحملات الجلي وانحطاط سمعتها صدهم عنها، حتى ان مؤرخ سيرة حياة لويس التاسع الذي رافقه في حملته السابقة رفض الانضمام اليه هذه المرة، ويروي هذا المؤرخ ان نبأ الحملة الجديدة كان مفاجئا للغاية بالنسبة له شخصيا وبالنسبة للاشخاص الآخرين المقربين من الملك، وانه اذهل البارونات، وكانت المعارضة مجمع عليها تقريبا واضطر الملك إلى شراء حماسة الاسياد بالمال، ونذر مع الملك النذر الصليبي ابناءه الثلاثة وبعض تابعي الملك الآخرين، واتفق على ان توجه الحملة نحو تونس .

بدأت المفاوضات مع المستنصر امير تونس ولما نزل الصليبيون في تونس وصلت المفاوضات إلى طريق مسدود، وعندها انضم شارل الاول كونت انجو، الاخ الاصغر للويس وملك مملكة نابولي. واستولوا على قلعة قرطاج القديمة، ولكن وباء دب في صفوف الفرسان، وتوفي على اثره الملك

وافراد العائلة المالكة المرافقة باستثناء فيليب الابن البكر للملك الذي شفي، وفي نفس يوم وفاة الملك وهو ٢٥ اغسطس١٢٧٠م وصل اخاه شارل الاول، وخاضت قواته برفقة قوات لويس بقيادة خلفه فيليب بضع معارك ناجحة ضد قوات أمير تونس، وفي أول نوفمبر ١٢٧٠م وقعت معاهدة صلح مع المستنصر الزمته بدفع جزية مضاعفة إلى ملك الصقليتيين، كما شملت حقوقا تجارية متبادلة، وبعد ١٧ يوما من التوقيع، ركب الصليبيون السفن وغادرو تونس.

خريطة قديمة تبين الحملات الصليبية في الشرق



نهاية الخلافة العباسية[1]

إن ما حصل من الناحية العملية يُعد كارثة إنسانية من كل وجهة، فإن ذاكرة الأمة الإسلامية لا تزال مثقلة بالآلام وهي تستعيد الصور المريرة لسقوط بغداد عام ٦٥٦هـ، ونذكر ما فعله الوزير الشيعي "ابن العلقمي" الذي وَثَقَ فيه الخليفة المستعصم، لكنه قابل ذلك بالخيانة وتعاون مع التتار سراً لغزو بغداد وتدميرها.

وقد قضى ابن العلقمي الباطني على خلافة المسلمين، وكان جيش المسلمين قرابة مائة ألف، فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف، فكاتب التتار، وأطمعهم في أخذ بلاد المسلمين، فنزل هولاكو على بغداد في الجانب الشرقي منها، وهكذا جعل يتواصل مع ابن العلقمي الخبيث حتى أقنع الخليفة المستعصم أن يخرج إليه بمن معه من الأماثل، والأفاضل، والفقهاء، وأشراف الناس، ووجوههم على أن يعطى الأمان، فلما وصلوا إليه واستكملوا قتلوهم جميعاً رحمهم الله.

وقال ابن كثير رحمه الله: " وقد اختلف الناس في كمية من قُتل ببغداد من المسلمين في هذه الواقعة، فقيل: ثمانمائة ألف، وقيل: ألف ألف وثمانمائة ألف... (مليون وثمانمائة ألف) والقتلى في الطرقات كأنها التلول، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد، حتى تعدى وسرى إلى بلاد الشام فمات خلق

---

١ موقع صيد الفوائد

كثير من تغير الجو وفساد الريح فاجتمع على الناس الغلاء، والوباء، والفناء، والطعن، والطاعون فإنا لله وإنا إليه راجعون ".[1]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الرافضة أعظم ذوي الأهواء جهلاً وظلماً يعادون خيار أولياء الله تعالى من بعد النبيين من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، ويوالون الكفار والمنافقين من اليهود والنصارى والمشركين والملحدين كالنصيرية والإسماعيلية وغيرهم من الضالين. فتجدهم أو كثيرا منهم إذا اختصم خصمان في ربهم من المؤمنين والكفار واختلفت الناس فيما جاءت به الأنبياء فمنهم من آمن ومنهم من كفر سواء كان الاختلاف بقول أو عمل كالحروب بين المسلمين وأهل الكتاب والمشركين، تجدهم يعاونون المشركين وأهل الكتاب على المسلمين أهل القرآن، كما قد جربه الناس منهم غير مرة في مثل إعانتهم للمشركين من الترك وغيرهم على أهل الإسلام بخرسان والعراق والجزيرة والشام وغير ذلك. وإعانتهم للنصارى على المسلمين بالشام ومصر وغير ذلك في وقائع متعددة، فإنه لما قدم كفار الترك إلى بلاد الإسلام وقتل من المسلمين مالا يحصي عدده إلى رب الأنام كانوا من أعظم الناس عداوة للمسلمين ومعاونة الكافرين هكذا معاونتهم لليهود أمر شهير حتى جعلهم الناس لهم كالحمير.

ويقول:

الشيعة ترى أن كفر أهل السنة أغلظ من كفر اليهود والنصارى لأن

---

١ البداية والنهاية ١٣/ ٢٠٢-٢٠٣.

أولئك عندهم كفار أصليون وهؤلاء كفار مرتدون وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي ولهذا السبب يعاونون الكفار على الجمهور من المسلمين فيعانون التتار على الجمهور وهم كانوا من أعظم الأسباب في خروج جنكيز خان ملك التتار إلى بلاد الإسلام وفي قدوم هولاكو إلى العراق وفي أخذ حلب ونهب الصالحية وغير ذلك بخبثهم ومكرهم ولهذا السبب نهبوا عساكر المسلمين، لما مر عليهم وقت انصرافه إلى مصر في النوبة الأولى.

ولهذا السبب يقطعون الطرقات على المسلمين، وظهر فيهم من معاونة التتار والإفرنج على المسلمين، والكآبة الشديدة بانتصار الإسلام ما ظهر، وكذلك فتح المسلمين لعكا وغيرها وظهر فيهم من الانتصار للإفرنج والنصارى، وتقديمهم على المسلمين، ما قد سمعه الناس منهم، وكل هذا الذي وصفت بعض أمورهم، وإلا والأمر أعظم من ذلك. وقد اتفق أهل العلم بالأحوال أن أعظم السيوف التي سلت على أهل القبلة ممن ينتسب إلى أهل القبلة إنما هو من الطوائف المنتسبة إليهم منهم أشد ضررا على الدين وأهله وأبعد من شرائع الإسلام من الخوارج الحرورية.

في القرن السابع، يوم تهاوت دولهم وممالكهم وإماراتهم تحت سنابك خيل التتار، ودمرت ممالك الحضارة الإسلامية في الشرق الأقصى، وسرى ذلك الدمار الأسود نحو الغرب الإسلامي، يأكل الأخضر واليابس، والمسلمون في غفلة ورقادٍ، حتى استيقظوا على تدمير الخلافة العباسية، وسحل الخليفة، واغتصاب عشرات الآلاف من الحرائر أمام عيون آبائهن وإخوانهن.

عندها أفاق المسلمون على نكبة عظيمة لم يشهد لها تاريخ البشرية مثال، كما نص على ذلك أكثر من مؤرخ ممن شهد وعيان تلك الوقائع التاريخية فقد ذكر المؤرخ "قطب الدين اليونيني البلعبكي" أن ابن العلقمي كاتب التتار وأطمعهم في البلاد وأرسل إليهم غلامه وأخاه بذلك.

وذكر " الإمام الذهبي " أن ابن العلقمي استطاع أن يقطع أخبار الجند الذين استنجد بهم المستنصر، وأنه بذل جهده في أن يزيل دولة بني العباس ويقيم علوياً، وأخذ يكاتب التتار ويراسلونه.

ثم ذكر " اليافعي " أن الوزير ابن العلقمي خدع الخليفة وأوهمه أن التتار يريدون عقد الصلح معه، وحثه أن يخرج إليهم بأولاده ونسائه وحاشيته، فخرجوا فضربت رقاب الجميع، وصار كذلك يخرج طائفة بعد طائفة، فتضرب أعناقهم حتى بقيت الرعية بلا راع، وقتل خير العلماء في العراق.

ويقول المؤرخ الشيعي "نور الله الششتري المرعشي" ما نصه عن حقيقة الدور الذي لعبه ابن العلقمي: (إنه كاتب هولاكو والخواجه نصيرالدين الطوسي، وحرضهما على تسخير بغداد للانتقام من العباسيين بسبب جفائهم لعترة سيد الأنام ﷺ).

وهنا نصٌ خطيرٌ للغاية، لأحد كبار علماء الشيعة وهو العلامة "الخوانساري"، حيث تحدث بفرح عظيم، ونشوة كبيرة، عندما تحدث عن مصيبة بغداد على يد المغول، واعتبرها فتحًا وانتصارًا، وإصلاحًا للنظام، وأثنى على المحتل المغتصب المجرم "هولاكو"، واعتبر أن الدماء الطاهرة البريئة التي سالت من أطفال العراق، ونساء العراق، وشيوخ العراق

ليست إلا دماء قذرة وعفنة!!

يقول "ابن طاووس" من أئمة الشيعة: (ولم نزل في حمى السلامة الإلهية، وتصديق ما عرفناه من الوعود النبوية، إلى أن استدعاني ملك الأرض - هولاكو- إلى دركاته المعظمة جزاه الله بالمجازات المكرمه في صفر، وولاني على العلويين والعلماء والزهاد، وصحبت معي نحو ألف نفس ومعنا من جانبه من حمانا إلى أن وصلت " الحلة " ظاهرين بالآمال).

وأن هولاكو سألهم بها معناه: لماذا تركتكم خليفتكم ؟ ولماذا تخونونه؟ ألا تخافون منه إذا انتصر عليَّ!

فأجابه والد " ابن مطهر الحلي " بأن رواياتهم الشيعية تحثهم على مبايعة المغول وترك الدولة العباسية، وأنك يا هولاكو المنصور الظافر!

النتائج:

بَيْدَ أن أخطر العوامل التي أسقطت خلافة العباسيين، إهمالهم لركن مهم من أركان الإسلام.. وهو " الجهاد "، فبعد المعتصم المتولي أمور الدولة سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣م لم نسمع عن معارك ذات شأن قامت بها الدولة، ولم يكن مبدأ " الجهاد الدائم " - حمايةً لهذه الدولة المترامية الأطراف - أحدَ أركان السياسة العباسية.

لقد تقوقعوا في مشاكل الدولة الداخلية.. فحصرتهم مشاكلها.. وماتوا ببطء، ولو أنهم وجَّهوا طاقة الأمة نحو " الجهاد " ضد الصليبيين، لتغيَّر أمر الحركات الهدَّامة التي قدر لها أن تظهر وتنتشر، وذلك أن هذه الحركات لا تنتشر إلا في جو مليء بالركود والفساد، والمناخ الوحيد الصالح

للقضاء عليها هو المناخ القتالي الذي يكشف المعادن النقية ويذيب المعدن الرخيص.

لقد كانت الحاجة الإسلامية ملحة في ضرورة رفع راية الجهاد، وكانت الدولة الإسلامية التي تعرضت للانشقاق والتمزق تحتاج إلى هذا الصمام ليحميها من جو السكون والاستسلام.

لكن العباسيين غزوا في عقر دارهم.. فذلوا، ولم يرفعوا راية الجهاد ضد العدو الخارجي.. فارتفعت رايات العصيان الداخلي.

قال شيخ الإسلام في منهاج السنة في الشيعة: "وأن أصل كل فتنة وبلية، ومن انضوى إليهم، وكثير من السيوف التي سلت في الإسلام - يعني إراقة الدماء - إنما كانت من جهتهم، وبهم تسترت الزنادقة "[١]، وكانوا يعظمون القبور، والمشاهد، والأضرحة، وكانوا يتلبسون بآل البيت تلبساً، كما أظهر ذلك جدهم، وكبيرهم، ومؤسس مذهبهم الكلبي السبأي، الذي أعلن عقيدته بعد ذلك، وكان يتخفى في ما شرع لهم من التخفي والتستر ويقول: إن علياً لم يمت، وإنه راجع إلى الدنيا، وقد نشروا الإباحية، والتحلل، وجعلوا الصحابة شراً من إبليس ".

* * * *

---

١ منهاج السنة (٦/ ٣٧٠) وما بعدها.

تاريخ الأندلس[1]

التاريخ والواقع

إن لله سننًا ثابتة في تغيير الأمم وتبديل أحوالها، سواء كان هذا التبديل من الضعف إلى القوة، أو كان من القوة إلى الضعف، فبحسب الطريق الذي تسلكه كل أُمَّة تكون خاتمتها، ونحن حينما نقرأ في التاريخ ونُقَلِّب في صفحاته نُشاهد سنن الله في التغيير والتبديل، فالتاريخ يُكَرِّر نفسه بصورة عجيبة، حتى والله! لَكَأَنَّك وأنت تقرأ أحداثًا حدثت منذ ألف عامٍ أو يزيد تشعر وكأنها الأحداث نفسها التي تتمُّ في هذا الزمن، مع اختلاف في الأسماء والتفاصيل فحسب.

فأنت حين تقرأ تاريخ الماضي فكأنك تقرأ أحداث المستقبل بتفصيلاتها، ذلك أن أحداث المستقبل هذه لن تتمَّ إلاَّ على هذه السنن الثابتة، التي جعلها الله في تبديل الأمم وتغيير أحوالها، فانظر في أي طريق تسير الآن لتعرف إلى أي مصير ستصل، والمؤمن العاقل هو الذي لا يبدأ من الصفر فيُكَرِّر كل ما فعل السابقون، وإنما يقف أمام تاريخهم فيسير على درب مَنْ أصاب فأفلح، ويبتعد عن طريق المخطئين الخاسرين.

وفي تاريخ الأندلس خير دليل على هذا، لذلك فنحن نحاول تحليل هذا التاريخ تحليلاً دقيقًا، نحاول أن نُقَلِّب صفحاتٍ ونُظهر أحداثًا قد

---

١ موقع فلسطين أون لاين، موقع قصة الإسلام، ويكيبيديا.

علاها التراب أعوامًا وأعوامًا، نحاول أن نُظهر ما حاول الكثيرون أن يطمسوه، أو يُخرجوه لنا في صورة باطلٍ وهو حقٌّ، أو في صورة حقٍّ وهو باطلٌ، فكثيرٌ يحاولون أن يُزوِّروا تاريخنا الإسلامي، وهي جريمة خطيرة جدٌّ خطيرة، يجب أن يُتصدَّى لها.

لماذا تاريخ الأندلس؟

لأن تاريخ الأندلس يشمل أكثر من ثمانمائة سنة كاملة من تاريخ الإسلام، وتحديدًا من عام ٩٢ هـ / ٧١١م إلى ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م، أي ثمانمائة وخمس سنين (هجريًّا)، هذا إذا أغفلنا التداعيات التي أعقبت ما بعد عام ٨٩٧هـ، فهي فترة ليست بالقليلة من تاريخ الإسلام، فمن غير المقبول إذًا ألاَّ يعرف المسلمون تفاصيل فترة شغلت في الزمن أكثر من ثلثي التاريخ الإسلامي، هذا أمر.

والأمر الآخر أن تاريخ الأندلس لطول فترته، مرَّ فيه كثير من دورات التاريخ التي اكتملت ثم انتهت، فسنن الله في تاريخ الأندلس واضحة للعيان، فقد قام فيه كثير من الدول وارتفع نجمها، وسقط فيه - أيضًا - كثير من الدول وأفل نجمها، كثير من الدول أصبحت قوية، ومن ثَمَّ راحت تفتح ما حولها من البلاد، وكثير منها أصبحت ضعيفة، وأصبحت لا تستطيع حماية أرضها، أو تعتمد على غيرها في حمايتها، مثلما يحدث الآن، وظهر - أيضًا - في تاريخ الأندلس المجاهد الشجاع، وظهر الخائف الجبان، ظهر التقيُّ الورع، كما ظهر المخالف لشرع ربه، ظهر في تاريخ الأندلس الأمين على نفسه وعلى دينه وعلى وطنه، وكذلك الخائن لنفسه ودينه ووطنه، ظهرت كل هذه النماذج، وتساوى فيها الجميع، حاكم

ومحكوم، عالم وأمِّيٌّ.

وما من شكٍّ أن دراسة مثل هذه الأمور يُفيد كثيرًا في استقراء المستقبل للمسلمين.

أحداث في تاريخ الأندلس

إن في تاريخ الأندلس أحداث يجب أن نعرفها:

من الضروري أن نعرف موقعة وادي برباط، تلك الموقعة التي تُعَدُّ من أهمِّ المعارك في التاريخ الإسلامي، ليس لأنها الموقعة التي فُتحت فيها الأندلس فقط، ولكن لأنها تُشَبَّه في التاريخ بموقعتي اليرموك والقادسية، ومع ذلك فإن الكثير من المسلمين لا يسمع من الأساس عن وادي بَرْبَاط.

ومن الضروري أيضًا أن نعلم هل قصة حرق السفن التي يُقال: إنها حدثت في عهد طارق بن زياد - رحمه الله - حقيقة أم من نسج الخيال ؟ كثير من الناس لا يعلم حقيقة وتفاصيل هذه القصة، وكيف حدثت، إنْ كانت قد حدثت ؟ وإذا لم تكن حدثت في الأصل فلماذا انتشرت بين الناس؟!

ثم يجب أن نعرف مَنْ يكون عبد الرحمن الداخل - رحمه الله - ذلك الرجل الذي قال عنه المؤرخون: لولا عبد الرحمن الداخل لانتهى الإسلام بالكلية من بلاد الأندلس.

كما يجب أن نعرف مَنْ هو عبد الرحمن الناصر، أعظم ملوك أوربا في القرون الوسطى على الإطلاق، ويجب أن نعرف كيف وصل إلى هذه الدرجة العالية ؟ وكيف أصبح أكبر قوة في العالم في عصره ؟

وقد أصبحت هذه الدولة في خلافة عبد الرحمن الناصر من أكثر دول العالم علمًا وتحضراً ورقيًا وقوة وتقدمًا، وعاش بها المسلمون في رغد من العيش، حيث الأرض الخصبة، والمياه العذبة، والجنان الخضرة، والمناخ المعتدل، وقد عبر عن ذلك أحد شعرائهم فقال:

يا أهـل أندلس للـه دركـمُ ... مـاء وظـل وأنـهـار وأشـجـارُ
ما جنةُ الخلدِ إلا في دياركمُ ... ولـو تـخـيـرتُ هذا كنتُ أختارُ
لا تحسبوا في غدٍ أن تدخلوا سقرًا ... فليس تُدخلُ بعد الجنةِ النارُ

وكيف كان أولاد الأثرياء في أوربا يتوجهون للدراسة في مدارسها وجامعاتها، وعندما يعودون إلى بلدانهم يفخرون بأنهم تتلمذوا على أيدي علمائها العرب المسلمين، ويتعمدون استعمال كلمات عربية حتى يقال: إنهم متعلمون مثقفون، وكان ملوك وأمراء الممالك النصرانية في شمال أسبانيا يستنجدون بحكام الأندلس في صراعاتهم على الحكم، فتتدخل الجيوش الإسلامية، وتغيِّر واقعهم السياسي، مقابل حصون وأراضٍ يتنازل عنها من تمت مساعدته، مثلما تفعل أمريكا اليوم.

وكذلك يوسف بن تاشفين - رحمه الله- القائد الرباني، صاحب موقعة الزلاقة، يجب أن نعرِفه ونعرف كيف نشأ ؟ وكيف ربَّى الناس على حياة الجهاد ؟ وكيف تمكَّن من الأمور؟ بل وكيف ساد دولةً ما وصل المسلمون إلى أبعادها في كثير من فتراتهم ؟

وأبو بكر بن عمر اللمتوني.. هذا المجاهد الذي دخل الإسلامَ على يده أكثرُ من خمس عشرة دولة إفريقية.

ومن المهم أيضًا أن نتعرَّف على أبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي،

صاحب موقعة الأركِ الخالدة، تلك التي دُكَّت فيها حصون النصارى، وانتصر فيها المسلمون انتصارًا ساحقًا.

كما يجب أن نعرف دولة المرابطين وكيف قامت ؟ ودولة الموحدين وكيف قامت؟

ومن الضروري أن نعرف مسجد قُرْطُبَة، ذلك المسجد الذي كان يُعَدُّ أوسع مساجد العالم، وكيف حُوِّل إلى كنيسة ما زالت قائمة إلى اليوم ؟!

وكذلك مسجد إِشْبِيلِيَة ينبغي أن نعرفه.

وينبغي أن نعرف جامعة قُرْطُبَة والمكتبة الأموية، وقصر الزهراء ومدينة الزهراء..

ينبغي أن نعرف قصر الحمراء، وغيرها من الأماكن الخالدة التي أمست رسومًا وأطلالاً، وهي اليوم في عِدَاد أفضل المناطق السياحية في إسبانيا، وتُزار من عموم الناس؛ سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين.

موقعة العقاب تلك التي مُنِيَ فيها المسلمون بهزيمة ساحقة، رغم تفوُّقهم على عدوِّهم في العدد والعُدَّة، وكأنَّ موقعة حُنَيْن عادت من غابر التاريخ، لتروي أحداثها في موقعة العقاب، تلك الموقعة التي قال عنها المؤرخون: بعد موقعة العقاب لم يُرَ في الأندلس شابٌّ صالحٌ للقتال.

كما يجب أن نعرف كيف سقطت الأندلس ؟ وما عوامل السقوط ؟ التي إن تكرَّرت في أُمَّة من المسلمين سقطت لا محالة بفعل سنن الله الثابتة.

ثم كيف وأين سطعت شمس الإسلام بعد سقوط الأندلس ؟ كيف جاء غروب شمس الإسلام في الأندلس - في غرب أوربا - متزامنًا مع

إشراقها وسطوعها في القسطنطينية شرق أوربا ؟

كما يجب ألاَّ ننسى مأساة بَلَنْسِيَة، وكيف قُتِل ستون ألف مسلم في يوم واحد ؟ وما أحداث مأساة أُبَّذَة ؟ وكيف قُتل ستون ألف مسلم آخرون في يوم واحد ؟

ثم يجب أن نذكر دائمًا مأساة بَرْبُشْتَر، وكيف قُتل أربعون ألف مسلم في يومٍ واحدٍ، وسُبيت سبعة آلاف فتاة بِكْر من فتيات بَرْبُشْتَر ؟! وقد شاهدنا هذه الأحداث الغابرة تُعِيد التحدُّث عن نفسها في البوسنة والهرسك وغيرها من بلاد المسلمين.

لو عرفنا هذا كله، وعرفنا ردَّ فعل المسلمين، وكيف قاموا من هذه المآسي المفزعة، لعرفنا كيف ننهض الآن ونقوم.

تساؤلات في التاريخ الأندلسي

نعلم أن كثيرًا من التساؤلات، بعد قراءة هذه الأسئلة ستظل في حاجة إلى إجابة.. إن اتساع مساحة الفترة التاريخية التي نتناولها تجعل من العسير - إن لم يكن من المستحيل - أن نستوعب كل ما يمكن أن يُكتب فيها في مثل هذه الكتاب، لذا فلقد حاولنا قدر الاستطاعة أن نذكرها كملامح عامة لهذه الفترة التاريخية الثريَّة، كي تكون في ثوبها المختصر ماثلة في الأذهان قريبة من أكبر عدد من شرائح القراء، ولا سيما الشباب الذين هم عدة الحاضر وبشارة المستقبل. ولكي يبحثوا ويقرأوا عن هذا لتاريخ المفقود.

إن تاريخ الأندلس بصفحاته الطويلة أكثر من ثمانمائة عام يُعَدُّ ثروةً

حقيقية.. ثروة ضخمة جدًّا من العلم والخبرة والعِبرة، ومن المستحيل في هذه الدراسة أن نُلِمَّ بكل أحداثه وتفصيلاته، بل لا بُدَّ وأن نُغفِل منه بعض الجوانب، ليس تقليلاً من شأنها وإنما اختصارًا للمساحة.

ومن الواجب على الجميع أن يبحث في تاريخ الأندلس - تاريخ ثمانمائة عام - إذ هو يحتاج أكثر وأكثر مما أفردنا له.

* * * *

سقوط الأندلس

خرج الملك أبو عبد الله محمد الثاني عشر لتسليم مفاتيح الحمراء إلى ملكي قشتالة وأرغون. وتقلصت تدريجيًّا حتى انحصرت في مملكة غرناطة، ثم سقطت سنة ١٤٩٢م، بتوقيع آخر ملوكها أبي عبد الله الصغير معاهدة استسلام مهينة مع الملكين الكاثوليكيين فرديناند وإيزابيلا، ثم قضى على الوجود الإسلامي في الأندلس نهائيًّا، بسبب محاكم التفتيش التي كانت تحرق كل من يثبت أنه لا يزال مسلمًا.

والسؤال المهم الذي ينبغي الإجابة عنه هو: لماذا سقطت الأندلس وقضي على الوجود الإسلامي فيها بعد ذلك العز والتمكين ؟

وأختصر الإجابة عن هذا السؤال بالنقاط الموجزة الآتية:

أولاً: الانحراف عن شرع الله تعالى ومنهجه الإسلامي الصحيح، فقد شاع فيها شرب الخمر، حتى إنه لم تُقَم الحدود على شاربيه، كما انتشر اللهو والغناء والطرب والموسيقى والجواري، وكان الأمراء يتنافسون في تقريب المغنين والمغنيات، ويبنون لهم قصورًا قرب قصورهم، ويقيمون لهم المدارس لتعليم الغناء والموسيقى، في الوقت الذي كانت فيه المدن الأندلسية تتساقط وأهلها يُقتلون، ونساؤها يُسبين.

ثانيًا: الترف: أصاب الترف أهل الأندلس وحكامها، فبالغوا في الإنفاق على المسكن والملبس والمأكل، وشغلهم ذلك عن الدفاع عن أرضهم وعرضهم، فهانوا على عدوهم. ويؤكد ابن خلدون أن الترف من أهم أسباب سقوط الدول، لأنه يؤدي إلى حب الدنيا والتمسك بالحياة،

والعزوف عن الجهاد، ومن يحرص على الحياة لا يدافع عن أرض أو عرض أو دين أو كرامة، فتضيع أرضه وتسقط دولته.

يُروى أن ألفونسو ملك الأسبان أنه قال لرسول ابن عباد إليه: "كيف أترك قومًا مجَّانين، تَسَمّى كلُّ واحدٍ منهم باسم خلفائهم وملوكهم وأمرائهم المعتضد والمعتمد والمعتصم والمتوكل والمستعين والمقتدر والأمين والمأمون، وكل واحد منهم لا يَسُلُّ في الذّبِّ عن نفسه سيفًا، ولا يرفع عن رعيته ضيمًا ولا حيفًا، قد أظهروا الفسوق والعصيان واعتكفوا على المغاني والعيدان ؟ ". ويُروى أن وزيرًا دخل على أحد ملوك الطوائف فوجده حزينًا مغضبًا، فظنَّ أنه غاضب بسبب ما حلَّ بالدويلة المسلمة المجاورة له التي احتلها النصارى فقتلوا رجالها وسبوا نساءها، فقال له: ليس ذلك ما يغضبني، بل المهندس المكلف ببناء قصري الذي لا يلتزم بأمري.

ثالثًا: موالاة أعداء الأمة من الصليبيين، وإحسان الظن بهم ؛ فقد أقام حكام الأندلس في عهد الطوائف علاقات حسنة مع الصليبيين، وجاملوهم واستعانوا بهم بعضهم على بعض، ووثقوا بعهودهم. والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها: أن ابن رزين حسام الدولة صاحب شنتمرية حمل الهدايا النفيسة وتوجه بها إلى الملك الإسباني ألفونسو ليهنئه على احتلاله لطليطلة، فجازاه ألفونسو بإعطائه قردًا ؛ احتقارًا له، لكن حسام الدولة عدَّ ذلك مفخرة له.

رابعًا: التنازع بين المسلمين على الدنيا ؛ حيث دبَّ النزاع بين مسلمي الأندلس على الدنيا منذ وقت مبكر، فتنازع العرب والبربر، وتنازع اليمانية والقيسية، وتنازع الأشقاء والأقارب على المناصب، وقد أضعف ذلك

الصف الإسلامي، وأريقت دماء غزيرة، وقتل من المسلمين في صراعهم الداخلي أضعاف أضعاف ما خسروه في فتح الأندلس وفي صد هجمات النصارى عليها. وكانت أسباب هذه النزاعات دائمًا تافهة ؛ فمثلاً وقعت فتنة مدمرة بين اليمانية والقيسية سنة ٢٠٧هـ في عهد عبد الرحمن الأوسط، سببها أن مضريًّا انتزع ورقة دالية من جنان يماني فقتله اليماني، واستمرت الفتنة التي حاولت السلطة إخمادها سبع سنوات وسقط فيها آلاف القتلى من المسلمين.

خامسًا: تقاعس كثير من العلماء عن دورهم الدعوي والجهادي والإصلاحي، فقد اشتغل كثير منهم في المسائل الخلافية، ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر، بل إن كثيرًا منهم قد مدحوا الحكام وأثنوا عليهم وتغاضوا عن عيوبهم، وشاركوا في المنكرات، يقول ابن حزم في وصف هؤلاء العلماء: "ولا يغرنكم الفساق والمنتسبون إلى الفقه، اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع، المزينون لأهل الشر شرهم، الناصرون لهم على فسقهم".

وبدلاً من دعوة الناس إلى الجهاد والثبات، نجد أحدهم يدعو الناس إلى مغادرة الأندلس ؛ إذ يقول عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال بعد سقوط طليطلة في يد النصارى سنة ٤٧٥هـ:

يا أهل أندلس حثـوا مَطيّكُـمُ   فمـا الـمقام بـها إلا مـن الغلـطِ
الثوب يُنسلُ من أطرافـه وأرى   ثوب الجزيرة منسولاً من الوسـطِ
ونحن بيـن عـدو لا يفارقـنـا   كيـف الحياة مع الحيات في سفـطِ

تلكم بعض أهم أسباب سقوط الأندلس، وعلى من يريد أن يحفظ

نفسه أو حزبه أو دولته من السقوط أن يعيها، ويتجنب كل أسباب السقوط.

وقد ذكرت هذا التاريخ لانها شبيهة بواقعنا وقريبة من التاريخ الإسلامي السابق ولذلك نجدها نفس الأخطاء المتكرره والتي نجدها في الدول الإسلاميه وقتنا الحاضر وكذلك مانراه من غدر وجراءة على المسلمين من النصارى ومن حالفهم من المسلمين.

* * * *

وهذا التاريخ يعيد نفسه وماأشبه اليلة بالبارحة

الدوله الصفوية

تأسست الدولة الصفوية سنة ٩٠٧هـ الموافق ١٥٠٢م، على يد الشاه إسماعيل بن حيدر الصفوي، الذي أقام كيانها وأرسى قواعدها وبنيانها وفرض فيها المذهب الشيعي بالقوة.

وينسب الصفويون إلى الجد الخامس لشاه إسماعيل، وهو صفي الدين الأردبيلي وهو أحد أقطاب التصوف المولود سنة ٦٥٠ هـ، وكان شافعياً فتشيع.

وفي سنة ٩٠٧هـ توج الشاه إسماعيل نفسه ملكاً على إيران بعد انتصاره على القبائل التركمانية الحاكمة، وما أن تم له ذلك حتى أعلن فرض المذهب الشيعي مذهباً رسمياً في مختلف أنحاء إيران دون مقدمات، وقد كان أكثر من ثلاثة أرباع إيران من السنة، وكان سكان إيران يتبعون المذهب السني الشافعي[١] والحنفي حتى انتصار الصفويين وكل من عارض هذا الأمر لقي حتفه، فانقاد الناس. له

بدأ إسماعيل الأول في توحيد البلاد وتحويل السكان من المذهب السني إلى المذهب الشيعي والذي كان يتم أحيانا بطرق وحشية شملت أساليب تحويل إيران[٢]:

---

١ العصر الذهبي للإسلام تأليف موريس لومبارد

٢ الثقافة والعادات من إيران للمؤلف إيلتون ل. دانييل الصفحة ١٨٥

• فرض المذهب الشيعي الدين الرسمي للدولة وإجبار الناس على تغيير مذهبهم.

• إنشاء مكتب يكون مسؤولا عن الإشراف على المؤسسات الدينية والأوقاف بغية تحويل إيران إلى المذهب الشيعي الإثني عشري وهذا ماحصل إلى الأن.

• تدمير مساجد السنة وقد لاحظ بيريس تومي السفير البرتغالي في الصين والذي زار إيران في الفترة من ١٥١١ م إلى ١٥١٢ م وقال: إنه (أي إسماعيل) يقوم بإصلاح كنائسنا ويدمر مساجد السنة [١].

• أجبر الخطباء في جميع المساجد على شتم الخلفاء الراشدين الثلاثة أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان والذين يعتبرهم مغتصبين لحق الخلافة من علي بن أبي طالب كما سلب جميع ممتلكات السنة وتم توجيهها لتطوير العتبات الشيعية والمؤسسات الدينية كما تم استضافة العلماء الدين الشيعة ليحلوا مكان علماء الدين السنة.

• أباح دم أهل السنة وأن تدمر وتدنس المقابر والمساجد السنية. ومع ذلك كان إسماعيل الأول يزيد من قوة بطشه في أهل السنة.

• اضطهد وسجن وأعدم المقاومون السنيون بعناد مع إقامة حكم صفوي كان يتم الاحتفال بعيد الغدير في ٢٦ ذي الحجة والذي من وجهة نظرهم نصب رسول الإسلام محمد ﷺ ابن عمه علي بن أبي طالب إماما من بعده كما يتم الاحتفال في ٩ ربيع الأول بمقتل الخليفة عمر بن الخطاب

١ الشاعر اليهودي الفارسي عمراني وكتابه كتاب كنز للمؤلف ديفيد يروشالمي الصفحة ٢٠

وذلك بصنع دمية على شكل عمر ثم يتم لعنها وطعنها وإهانتها ثم إحراقها. مع تحسن العلاقات بين إيران والدول العربية فإن الأولى قررت عدم الاحتفال رسميا بمقتل عمر ولكن على الصعيد الشعبي ما زال يتم الاحتفال.

وقد دعا إسماعيل الأول جميع الشيعة الذين يعيشون خارج إيران للعيش في إيران من التأكيد على حمايتهم من الأغلبية السنية.

العلماء الشيعة العرب

بدأ إسماعيل الأول في تحويل المشهد الديني في إيران عن طريق فرض التشيع الإثني عشري على السكان. لأن معظم السكان كان معتنقا للمذهب السني، وعدم وجود الكثير من العلماء الشيعة اضطر إسماعيل الأول إلى استيراد علماء شيعة من البلدان العربية مثل جبل عامل في جنوب لبنان، البحرين، وجنوب العراق من أجل إنشاء دولة رجال الدين. قدم إسماعيل الأول لهم المال والأرض مقابل الولاء وأن يعلموا الناس المذهب الشيعي الإثني عشري مما شجع بقوة التحول إلى المذهب الشيعي. للتأكيد على مدى ضعف انتشار المذهب الشيعي في إيران قبل الصفويين فإن أحد المؤخرين ذكر أنه كان يوجد كتاب واحد ديني شيعي في عاصمة إسماعيل الأول تبريز. ولذلك من المشكوك فيه ما إذا كان إسماعيل الأول وأتباعه قد نجحوا في إجبار الشعب بأكمله في التشيع من دون دعم العلماء الشيعة العرب دعا حكام الدولة الصفوية علماء الدين الشيعة الفرس إلى دعمهم

من أجل توفير الشرعية لحكمهم بلاد فارس[1].

وبعد استتباب الأمر للصفويين، كان من المنطقي أن تتوجه بعدائها إلى دولة الخلافة العثمانية السنية بسبب العقائد الشيعية المعادية لكل المسلمين وخاصة أهل السنة، وكانت الدولة العثمانية قد قامت في القرن السابع الهجري في وقت كان المسلمون فيه متفرقين متناحرين، وكان قيام دولة العثمانيين قوة للإسلام وحماية للدول الإسلامية من الاستعمار الصليبي.

فلم يرق للصفويين أن يروا المسلمين متوحدين تحت خلافة واحدة وخليفة واحد، وأن تعود راية الجهاد إلى المسلمين بعد أن خمدت في النفوس أمداً طويلاً، فبادر هؤلاء الصفويون إلى توجيه أحقادهم وسهامهم إلى دولة الخلافة التي كانت منهمكة في فتوحاتها وفي الذود عن الإسلام والمسلمين.

كانت الخلافة العثمانية الممثلة لدولة الإسلام تقاتل أعداءها من الصليبيين الحاقدين على عدة محاور، فالروس من الشمال والنمسا من الغرب والإمارات الإيطالية وفرنسا وانجلترا والبرتغاليين في البحار والمحيطات والكل يحقد على هذه الدولة التي قضت على الدولة البيزنطية إحدى قواعد الدول النصرانية، وتوغلت في أوروبا كما أنها حالت دون انتشار النصرانية ودون امتداد النفوذ الاستعماري الصليبي وطلائعه من البرتغاليين، ومنعت وصولهم إلى القدس وسيطرتهم عليها.

وفي الوقت الذي كان العثمانيون فيه ينطلقون شمالاً وغرباً في

١ موسوعة تاريخ العالم: القديمة والعصور الوسطى، والحديثة للمؤلفان بيتر ن. ستيرنز ووليام ليونارد لانغر الصفحة ٣٦٠

فتوحاتهم ودفاعهم عن الإسلام، بدأ الصفويون ومنذ عهد المؤسس الشاه إسماعيل بعمل إضطرابات على الحدود الشرقية للدولة العثمانية، وباغتوهم من الخلف، الأمر الذي جعل السلطان العثماني سليم الأول يخرج لملاقاة الصفويين بعد أن شعر بخطرهم، واستمرت الحروب بين الخلافة العثمانية وبين الصفويين الروافض زمناً طويلاً، وبالرغم من انتصار العثمانيين في معظمها إلا أن هذه المعارك استنزفتهم وأنهكتهم وأعاقت فتوحاتهم ونشرهم للإسلام في أوربا.

ولقد شهد التاريخ كثيراً من تلك المؤامرات وخاصة في عهد الشاه إسماعيل الصفوي، فبعد الهزيمة المرة التي لحقت به في موقعة جالديران عام ٩٢٠هـ أمام السلطان سليم، تحرك للتحالف مع البرتغاليين لتغطية الهزيمة، فأقام العلاقات معهم، وكان البرتغاليون أنفسهم يبحثون عن هذه العلاقات، فقد كانوا جزءاً من أوربا التي فرحت بظهور الدولة الصفوية حين لاحت لهم بظهورها فرصة انفراج الضغط العثماني عليهم وعلى تجارتهم، ولذلك سعت الدول الأوربية إلى إسماعيل تعرض عليه تثبيت عرى الصداقة والمودة وتحثه على إيجاد علاقات سياسية واقتصادية.

وعقدت اتفاقية بين الشاه إسماعيل الصفوي والبوكيرك الحاكم البرتغالي في الهند نصت على ما يلي:

- تصاحب قوة بحرية برتغالية الصفويين في حملتهم على البحرين والقطيف.

تتعاون البرتغال مع الدولة الصفوية في إخماد حركات (التمرد) في بلوجستان ومكران. -

- تتحد الدولتان في مواجهة الدولة العثمانية.

- تصرف حكومة إيران النظر عن جزيرة هرمز، وتوافق أن يبقى حاكمها تابعاً للبرتغال.

وأما اتفاقاتهم مع جمهورية فينيسيا (البندقية) فكانت مخزية كذلك، فقد كانت فينيسيا من الدول المتأثرة تجارياً بسبب قضاء العثمانيين على الدولة البيزنطية وإغلاقها الطريق الرئيسي للتجارة بين أوربا وآسيا، فأرسل الشاه إسماعيل السفراء إلى بلاط فينيسيا طالباً الهجوم على العثمانيين عن طريق البحر وأن يقوم هو بالهجوم من ناحية البر بشرط أن تسترد فينيسيا قواعدها التي فقدتها في البحر الأبيض المتوسط.

ومن الدول التي كانت تسعى إيران لإيجاد علاقات معها للتخلص من الدولة العثمانية إسبانيا والمجر، حيث بعث الشاه إسماعيل برسالتين إلى إسبانيا والمجر طلب فيها عقد معاهدة صداقة وتعاون بينهم وعرض فكرة اتحاد بغرض سحق الأتراك العثمانيين.

وبعد وفاة الشاه إسماعيل خلفه ابنه طهماسب، واستمر على نهج أبيه، واتصل بملك المجر (هنغاريا) ليعاونه على العثمانيين العدو المشترك، فصمم الخليفة العثماني آنذاك سليمان القانوني على توجيه حملة ضد المجر نظراً لحيوية هذه الجبهة وأهميتها في مواجهة الصليبيين، وفي هذه الأثناء يقوم طهماسب الصفوي بغزو بغداد واحتلالها وبدأت المحاولات لفرض المذهب الشيعي على أهل العراق الأوسط والجنوبي، فاستغاث أهل السنة هناك بالسلطان سليمان.

وظلت الحرب بين العثمانيين والصفويين سجالاً وحدثت عدة

معاهدات صلح، لكن الجانب الصفوي كان دائم النقض لهذه المعاهدات لأنه كان يشعر بضعف الدولة العثمانية في ذلك الحين.

لقد أدت هذه الحروب إلى أن يرجع القادة العثمانيون من فتوحاتهم في أوربا ليوقفوا الزحف الصفوي على الأراضي السنية، كما حدث مع سليم العثماني، وكما حدث مع السلطان سليمان حينما حاصر النمسا عام ١٥٢٩م وكان يدك أسوارها لمدة ستة أشهر وكاد ان يفتحها ولكن طارت إليه أنباء من الشرق جعلته يكر راجعاً إلى استانبول، لقد كانت نذر الخطر الصفوي ثم جاء من بعدهم الشاه عباس الأول.

كانت للشاه عباس كذلك اتصالات ومؤامرات مع الجانب الصليبي، فقد قدّم عباس عروضاً للإسبان عن طريق البنادقة كي يتقاسما أراضي الدولة العثمانية، فتحصل الأولى على الجزء الأوربي، وتستأثر الثانية بالآسيوي، ولم يكن هذا العرض سوى واحد من عروض كثيرة حملها سفراء إيرانيون وكانوا يقطعون المسافة بين أوروبا وإيران مجيئاً وذهاباً.

كما أن عباس جعل إيران تتحالف مع قوة انجليزية في الخليج، وشجع البرتغاليين والهولنديين على التجارة في بندر عباس.

كان هذا هو المنهج الذي نهجه الصفويون في تعاملهم مع دول السنة، منهج كيد وتآمر، ولقد أثر ذلك في كثير من مجريات الأمور، واستفادت منه الدول الأوروبية أعظم استفادة.

وفي الوقت الذي كان فيه حكام الصفوية فظين غليظين على أهل السنة، كانوا رقيقين لينين مع النصارى كما يعترف بذلك ويقره الكاتب والمؤرخ الشيعي عباس إقبال حيث يقول: " ولم يكن الشاه عباس فظاً على

غير أهل السنة من دون أتباع سائر المذهب لذا فقد جلب أثناء غزواته لأرمينية والكرج نحو ثلاثين ألف أسرة من مسيحيي هذه الولايات على مازنداران وأسكنهم بها كما رحّل إلى أصفهان خمسين ألف أسرة من أرامنة جلفاء وإيران وبنى لهم مدينة جلفا على شاطئ نهر زاينده رود وأنشأ لهم فيها الكنائس وشجعهم على التجارة مع الهند والبلاد الخارجية بأن أعطاهم الحرية الكاملة [١].

لقد كانت التحالفات مع القوى الصليبية سمة مميزة للدولة الصفوية الرافضية التي ترى أن التقارب مع الصليبيين وأهل الكفر أفضل من تقاربهم مع المسلمين من أهل السنة، وفي حين كانت الدولة العثمانية رافعة راية الإسلام غازية في أوربا فاتحة للقسطنطينية مدافعة عن الدول الإسلامية من الهجمات الصليبية، وتخشاها جميع دول وممالك أوربا، كانت الدولة الصفوية تحيك المؤامرات ضدها وتدخل في اتفاقيات مع دول أوربا الصليبية للقضاء على القوة العثمانية الإسلامية، وبشهادة الجميع كان عهد الصفوية هو عهد إدخال قوى الاستعمار في منطقة الخليج حيث مهدت له الطريق بعقد التحالفات العسكرية والتجارية مع البرتغاليين والهولنديين والإنجليز.

وفي عهد هذا الشاه عباس الاول من جاء اثنان من أكابر الإنجليز إلى إيران، وهما: أنتوني شرلي وأخوه روبرت شرلي، ومعهما خمسون فارسًا، فأمر عباس باستقبالهم وإكرامهم، وقرّبهم منه وأجزل لهم العطايا. فحين

---

١ "تاريخ إيران بعد الإسلام" ص: ٦٧٠

وصلت هذه البعثة الإنجليزية إلى قزوين والشاه عباس موجود في خراسان، أصدر أوامره إلى عماله في قزوين بأن يحسنوا وِفادتهم، ويبالغوا في إكرامهم حتى يعود إلى قزوين. فوجد حين عاد جميع أعضاء البعثة يقفون على مشارف المدينة مع مستقبليه من كبار رجال الدولة الصفوية، فصافحهم وصحبهم إلى داخل قزوين، وأَنعم عليهم بإنعامات كثيرة، منها: مائة وأربعون من الخيل، ومائة بغل، ومائة جمل، ومبلغ عظيم من المال، ثم صحب أفراد البعثة معه إلى العاصمة أصفهان، حيث قضوا في ضيافته ستة أشهر[1].

واستشار كبيرَهم أنتوني شرلي في أمر الحرب مع العثمانيين، فأشار عليه بتعليم جنوده مبادئ العسكرية، وبالتحالف مع دول أوربا ضد السلطنة العثمانية، فرضي الشاه بقوله، وانتدبه سفيرًا لينوب عنه أمام حكومات أوربا في هذا الأمر.

وفي عهد الشاه عباس الثاني ١٦٤٢ م / ١٦٦٦م، منح الناسَ حرية الأديان، وتمتع الأوربيون في أيامه بالحرية وبنعمة السلطان، فكان تُجَّارهم أدنى مجلسًا منه ويروون الأمور عنه وهكذا نلاحظ في عصر الصفويين علاقات وثيقة مع الكفار، وانسجامًا وتفاهمًا معهم، واحترامًا متبادلاً، ومودة ومحبة ! مع العلم بأن الولاء والبراء أصل من أصول الاعتقاد، وركن من أركان توحيد الألوهية، وعروة من عُرا الإيمان، مما يعني عدم التساهل فيه على الإطلاق مهما كانت الدوافع، فالله نهى المسلمين عن اتخاذ

---

١ شاه عباس الكبير ص ٢٥٠

اليهود والنصارى أولياء: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ المائدة ١٥.

اتخاذ الكافرين أولياءَ وعدمَ البراءة منهم، صفةٌ من صفات المنافقين، وسببًا في دخول النار وتبوّء الدرك الأسفل منها: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا للهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ النساء ١٤٤، ١٤٥.

ويذكر شاهين مكاريوس أن الشاه عباس أصدر منشوراً إلى رعاياه يقول فيه: إن النصارى أصدقاؤه وحلفاء بلاده، وأنه يأمر رعاياه باحترامهم وإكرامهم أينما حلّوا، واستطراداً لهذه السياسة، فتح الشاه موانئ بلاده لتجار الإفرنج وأوصى ألا تؤخذ منهم رسوم على بضائعهم، وألا يتعرض أحد من الحكام أو الأهالي لهم بسوء، ويقول مكاريوس: إن الشاه إسماعيل كان أول من فعل هذا مجاهراً من سلاطين المسلمين[1].

ففي عام ١٠١٨هـ / ١٦٠٩م أرسل عباس الأول إلى بلاد الكرج لإحضار عدد من الخنازير ليقدّمها هدية لنصرانيي جلفا في عيدهم، ثم ذهب بعد ذلك لتهنئتهم بالعيد، وشاركهم احتساءَ الخمر، وأمر جميع مرافقيه من رجال البلاط الصفوي باحتساء الخمر مشاركةً للنصارى في هذه المناسبة، على الرغم من توافق ذلك العيد النصراني مع اليوم الخامس

---

١ تاريخ إيران ص ١٥٤

عشر من رمضان، ثم قال موجِّهًا حديثَه إلى أحد قساوستهم: "عندما تذهب إلى روما وتمثُل أمام البابا، أخبره كيف شربت الخمر في نهار رمضان، وأن ذلك في محضر القاضي والمفتي، وكيف جعلت الجميع يشربون الخمر، وقل له: إنه على الرغم من أنني لست نصرانيًّا، فإنني جدير بالتقدير والاحترام"[1].

ومن نافلة القول: أن الرافضة عُرفوا على مدار التاريخ بالكيد للسنة وأهلها ومظاهرة الأعداء عليهم، والحزن لظهور أهل السنة وعلوِّهم، والفرح بانهزامهم وانكسارهم. وقد كشف ابن تيمية عن موقفهم هذا بقوله: "... فالرافضة يوالون من حارب أهل السنة والجماعة، ويوالون التتار، ويوالون النصارى.

وقد كان بالساحل بين الرافضة وبين الفرنج مهادنة، حتى صارت الرافضة تحمل إلى قبرص خيلَ المسلمين وسلاحهم، وغلمانَ السلطان وغيرَهم من الجند والصبيان. وإذا انتصر المسلمون على التتار أقاموا المآتم والحزن، وإذا انتصر التتار على المسلمين أقاموا الفرح والسرور".

ولكن على الرغم من سقطاته وزلاته الكبيرة وأخطائه الفادحة، فإن الإيرانيين حتى اليوم يعتبرون الشاه عباس الأول بطلاً قوميًّا استطاع أن يرفع من شأن وطنه، ويجسد آمال الإيرانيين ويحقق أهدافهم، وبخاصة الانتصار على أعدى أعدائهم العثمانيين.

---

١ الشاه عباس الكبير ص٢٩٤

نتائج غدرهم بالمسلمين

ويتجلى ذلك في التحالف الذي قام بين الصفويين والأوربيين وفي مقدمتهم البرتغاليون، لمهاجمة الدولة العثمانية السنيّة، وبعض الإمارات السنيّة المستقلة، ومعلوم أن التواجد البرتغالي في منطقة الخليج العربي، واحتلال بعض المناطق الإسلامية، كان امتداداً للحروب الصليبية .

وقد ذكرت المراسلات التي تمت بين ملك البرتغال، والقادة البرتغاليين الميدانيين في الخليج أنه إذا سيطر البرتغاليون على بعض مناطق الخليج كالبحرين والقطيف، فإن الطريق للأراضي المقدسة من ناحية الشرق ستصبح ممهدة للسيطرة البرتغالية على مكة والمدينة، وانتزاع اسم محمد صلى الله عليه وسلم من الجزيرة العربية كلها وفي هذا الصدد أرسل القائد البرتغالي، البوكيرك، رسالة إلى أول حكام الدولة الصفوية، الشاه إسماعيل، ليكسب ودّه، ويأمن جانبه، جاء فيها:

إنني أقدّر لك احترامك للمسيحيين في بلادك، وأعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك في الهند، وإذا أردت أن تنقض على بلاد العرب أو أن تهاجم مكة ستجدني بجانبك في البحر الأحمر أمام جدّة أو في عدن أو في البحرين أو في القطيف أو في البصرة، وسيجدني الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي، وسأنفذ له كل ما يريد[1].

وهكذا لم يجد الصفويون الشيعة مانعاً من مساندة البرتغاليين في

---

[1] انظر مقال "الصفويون يدخلون الاستعمار إلى منطقة الخليج" في العدد ٥٦ من الراصد

محاولتهم الاعتداء على مكة والمدينة، ما دام تحالفهم معهم سيؤدي إلى إضعاف الدول السنيّة. وهذا يذكرنا بأفعالهم في عهد دولة القرامطه والعبيديه مع الحجيج والحرم المكي. وهذا ماسنذكره في المواضيع اللاحقه في الإستعمار البرتغالي.

❋ ❋ ❋ ❋

الدولة الإيرانية

وهي امتداد للدوله الصفويه ولكن مايذكر أدناه ماحصل في ال ٨٠ سنه المتأخره.

نبذه عن الحكومه الايرانية من عام ١٩٤١م.

وصل الشاه محمد رضا بهلوى إلى السلطة سنة ١٩٤١م بعد عزل والده رضا بهلوي، من قبل غزو تحالف القوات البريطانية والسوفياتية سنة ١٩٤١م، وكان معروف بتصميمه على تحديث إيران وعداؤه لطبقة المتدينين (العلماء). أمسك محمد رضا بهلوي بالسلطة حتى ثورة ١٩٧٩م.

وكان حاكما فاسدا مسرفاً نهب البلد وأفقر الشعب حتى صارت ثورةُ ضده أسقطت حُكمه ومن امثلة إسرافه:

في أكتوبر سنة ١٩٧١م حلت ذكرى مرور ٢٥٠٠ عام على إنشاء الإمبراطورية الفارسية، وقد دعيت شخصيات أجنبية وعربيه للحفل الذي استغرق ثلاثة أيام مليئة بالتبذير المفرط، قدم فيها أكثر من طن كافيار، وجلب ٢٠٠ طاه من فرنسا لإعداد الولائم. بلغت التكاليف الرسمية للحفل ٤٠ مليون دولار، لكن تقديرات أخرى تشير إلى أن المبلغ تراوح ما بين ١٠٠ - ١٢٠ مليون دولار، في وقت رزحت فيه ولايات ومحافظات بلوشستان وسيستان وحتى فارس، وهي المناطق التي أجريت فيها الاحتفالات، تحت وطأة جفاف وقحط وفقر.

وفي أواخر سنة ١٩٧٤م وبدل أن تعمل الطفرة النفطية على إنتاج

"حضارة عظيمة " كما وعد الشاه، فقد دقت جرس التضخم والهدر و" الفجوة المتسارعة " بين الأغنياء والفقراء، والريف والمدينة.

وله ايظا أخطاء منها:

• سياسة التغريب القوية التي انتهجها الشاه على الرغم من تعارضها مع الثقافة الخمينية للشيعة، وعلاقاته الوطيدة مع إسرائيل واعتماده على القوى الغربية (الولايات المتحدة)، إضافة إلى الإسراف والفساد والنخبوية (الحقيقية والمفترضة) في سياسات الشاه وديوانه الملكي، وفشله في استقطاب المتعاطفين والأتباع من القيادات الدينية الشيعية لمقارعة الحملة الخمينية ضده.

وفي عام ١٩٦٤م نشبت أعمال شغب بعد أن اعتقل الخميني ثلاثة أيام على أثر تصريحه بأن الشاه " رجل بائس سيء "، وقد واجهت الشرطة أعمال الشعب تلك مستخدمة القوة المفرطة، (أعلنت تقارير الحكومة سقوط ٨٦ قتيلا، فيما ادعت المعارضة أن الرقم يصل إلى الآلاف). التقارير التي أعدت بعد قيام الثورة أشارت إلى أن أكثر من ٣٨٠ لقوا مصرعهم على يد الشرطة ووُضع الخميني تحت الإقامة الجبرية لمدة ٨ شهور ثم أفرج عنه، وتابع التحرك ضد الشاه بخصوص علاقته مع إسرائيل، وخصوصا " تنازلات " الشاه لتمديد الحصانة الدبلوماسية لعسكريين أميركيين أعيد اعتقال الخميني في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٤م.

بلغت الاحتجاجات ذروتها في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٨م، خلال شهر محرم أحد أهم الشهور لدى المسلمين الشيعة وفي ١٢ ديسمبر خرج إلى شوارع طهران نحو مليوني شخص ملئوا ساحة أزادي (شاهياد)

مطالبين بإزالة الشاه وعودة الخميني.

في ١٦ يناير ١٩٧٩م غادر الشاه إيران نزولاً عند طلب رئيس الوزراء الدكتور شابور بختيار، وظهرت مشاهد الابتهاج العفوي، ودمرت خلال ساعات " كل رموز سلالة بهلوي "، وأعلن بختيار حل البوليس السرى (سافاك)، وأفرج عن السجناء السياسيين، ووعد بانتخابات حرة وأمر الجيش بالسماح للمظاهرات الشعبية. وبعد عدة أيام من التوقف سمح بعودة الخميني إلى إيران وطلب إليه تأسيس دولة مثل الفاتيكان في قم، ودعا المعارضة للمساعدة على الحفاظ على الدستور.

عودة الخميني لإيران

في ١ شباط/ فبراير ١٩٧٩م، عاد الخميني إلى طهران محاطاً بحماس وتحية عدة ملايين من الإيرانيين، وأصبح بالنسبة للبعض شخصاً " شبه مقدس ". استقبلته لدى ترجله من الطائرة الجموع الحاشدة بتحية: "السلام عليكم أيها الإمام الخميني ". أوضح الخميني في كلمة ألقاها في اليوم نفسه شدة رفضه لنظام رئيس الوزراء بختيار، ووعد "سوف أركل أسنانهم لقلعها "، وعين منافسه مهدي باذرخان مؤقتاً رئيساً للوزراء، وقال: "بما أنني قد عينته، فيجب أن يطاع "، واعتبر أنها " حكومة الله " وحذر من عصيانها، فأي عصيان لها " عصيان لله "، وفيما راحت حركة الخميني تكتسب مزيداً من الزخم، بدأ الجنود بالانضواء في جانبه، اندلع القتال بين الجنود الموالين والمعارضين للخميني بإعلانه الجهاد على الجنود الذين لم يسلموا أنفسهم، الانهيار النهائي للحكومة غير الخمينية حصل في

في ١١ فبراير عندما أعلن المجلس العسكري الأعلى نفسه " محايداً في النزاعات السياسية الراهنة، لمنع المزيد من الفوضى وإراقة الدماء ".

معارضة الثورة الإيرانية

بادرت قيادة الثورة في البداية إلى إعدام كبار الجنرالات، وبعد شهرين أعدم أكثر من ٢٠٠ من كبار مسؤولي الشاه المدنيين بهدف إزالة خطر أي انقلاب، وأجرى قضاة الثورة من أمثال القاضي الشرعي صادق الخلخال محاكمات موجزة افتقرت إلى وكلاء للدفاع أو محلفين أو إلى الشفافية، ولم تمنح المتهمين الفرصة للدفاع عن أنفسهم، ومن بين الذين أعدموا بدون محاكمة (عملياً) أمير عباس هوفيدا، رئيس الوزراء السابق لإيران، أما الذين هربوا من إيران فليسوا محصنين، فبعد مرور عقد اغتيل في باريس رئيس الوزراء الأسبق شابور بختيار.

مشاكل الحكومه الإيرانيه في الداخل الايراني

وممارسات الإيرانين الداخلية كانت تنم عن وجه مذهبي صارخ فتعاملهم مع المسألة الكردية الداخلية لم يكن على أساس إسلامي واسع.. بل نظروا إلى القضية على أنها قضية سنية ومن ثم حاربوا الأكراد من هذا المنطلق. والسنه داخل إيران تعاني الأمرين وهناك ضغوط شديدة عليها واضطهاد وقتل لقادتها وأئمتها.

في ١٩٧٩م استقبلت الولايات المتحدة الشاه لعلاج السرطان، كانت هناك ضجه كبرى في إيران من جماعة الخميني تطالب الشاه بالعودة إلى إيران للمحاكمة والإعدام. وبعد ذلك قام شباب من أنصار الإمام الخميني

اقتحموا السفارة الأمريكية واحتجزوا عشرات الرهائن داخلها في ما أصبح يعرف باسم أزمة الرهائن في إيران. في أمريكا أنصار الشاه لاحظوا أن كارتر لم يقم بما يكفي لدعم الشاه مما تسبب بتحول إيران من حليف إلى عدو ومن ثم وقوع أزمة الرهائن.

فشلت محالات تسليم الشاه للمحاكمة وتوفي في مصر بعد أن منح حق اللجوء فيها من قبل الرئيس المصري أنور السادات، قبل مرور سنة على احتجاز الرهائن، دون أن تؤدي وفاته إلى قطع فتيل الأزمة.

التذمر من الاستبداد والفساد الذي انتشر في عهد الشاه وحاشيته يوجه الآن ضد " الملالي في إيران "، الخوف من البوليس السري السافاك حل محله الخوف من الحرس الثوري، على الرغم من بروز درجة من التمثيل الحكومي والانتخابات الديمقراطية في مرحلة ما بعد الثورة من حيث الهيكل السياسي، لكن البعض يتحدث عن انتهاكات لحقوق الإنسان في النظام الديني تزيد عما كان يحصل في عهد الملكية التعذيب والسجن للمخالفين، وقتل كبار النقاد أمر شائع، بالإضافة على سوء وضع المرأة، واضطهاد الأقليات.

الدول المجاورة لإيران

منذ أكثر من أربعة عشر قرناً يحاول غلاة المذهب الشيعي والسياسيون منهم وخصوصاً الفرس إثبات أحقيتهم التاريخية في مسائل عقدية وسياسية، ويتبنون فكرة الثأر من إخوانهم المسلمين السنة بطرق مختلفة مثبتين عجزهم عن تجاوز المراحل التاريخية..

ولعل هذه الفلسفة هي السبب الدائم للوضع المتردي والدائم لأتباع المذهب من البسطاء في جميع أنحاء العالم ففي ثقافة المذهب يروج أصحاب العمائم أساطير فرضت على العامة لتصديقها دون تردد ما جعل عقول العامة من الشيعة في اغلب الأحيان قابلة لأي نوع من الخرافة السياسية أو الفكرية.

والثورة فى بدايتها أعلنت أنها ثورة إسلامية وطرحت أطروحات سياسية وفكرية وثقافية غير طائفية لتسوق نفسها فى العالم الإسلامى.. ولكن بمرور السنين وبعد موت الخميني ظهرت الناحية المذهبية واضحة. فالملمح المذهبي كان مستترا وراء معارك الثورة الإيرانية ولم يظهره الإيرانيون إلا بعد أن ثبتت الثورة أقدامها وبعد الهدوء على الساحة الإيرانية وبعد أن خفت حدة المعارك مع الولايات المتحدة وأوروبا.

دولياً ينظر إلى الثورة الإيرانية على أنها المسؤولة عن بدء حقبة الأصولية الخمينية، من حزب الله إلى تنظيم القاعدة إلى الجماعات التكفيريه المتنوعة.

مشاكل إيران في لبنان

خططت إيران للسيطرة السياسية على مناطق مختلفة من العالم العربي وذلك بالدخول تحت شعارات مذهبية وسياسية، نجح تصدير الثورة في مكان واحد فقط، وهو لبنان، حيث أدى السخاء الإيراني في تمويل حزب الله إلى إنشاء فريق سياسي وعسكري كبير.

فلقد اختارت إيران الاسم الأكثر جاذبية للعاطفة الدينية (حزب

الله) ليكون رأس حربتها السياسية في المنطقة ولقد رأيت أفعال هذا الحزب في سوريا وقتلهم المسلمين وإغتصابهم النساء ورميهم من أعالي البنايات[1].

لقد مارست إيران دوراً معقدا في لبنان بهدف تغيير التركيبة السكانية ليس من حيث العدد ولكن من حيث القوة فمنحت تسهيلات كبرى للشيعة والتشيع فدفعت الأموال من اجل ذلك ومارست دوراً خفياً لتقوية حزب الله سياسيا وماليا وعسكريا.

حزب الله اللبناني

يقول حسن نصر الله: " إننا نرى في إيران الدولة التي تحكم بالإسلام والدولة التي تناصر المسلمين والعرب. وعلاقتنا بالنظام علاقة تعاون، ولنا صداقات مع أركانه ونتواصل معه، كما إن المرجعية الدينية هناك تشكل الغطاء الديني والشرعي لكفاحنا ونضالنا ". ويُؤَمِّن على كلام أمين الحزب مساعد وزير الخارجية الإيرانية للشؤون العربية والإفريقية، د. محمد صدر فيقول: "إن السيد حسن نصر الله يتمتع بشعبية واسعة في إيران كما تربطنا به علاقات ممتازة". وقد حذر علي خامنئي مرشد الثورة من إضعاف المقاومة الإسلامية وقال: "إنه يجب التيقظ ومنع الأعداء من ذلك، إن شعلة المقاومة يجب أن لا تنطفئ؛ لأن أولئك الأبطال واجب على إيران مساعدتهم".

فهكذا يتبين الترابط المتكامل بين إيران الثورة وحزب الله وشيعة لبنان، فقد أصبحت إيران الأم الرؤوم والمحضن الدافئ والمرعى الخصيب

---

١ راجع اليوتيوب

والنموذج الذي يتطلع إليه عموم الشيعة؛ فهي القبلة الدينية والسياسية لهم.

حسن نصر الله رئيساً للحزب

حسن عبد الكريم نصر الله من مواليد ٢١ أغسطس ١٩٦٠م، سافر إلى النجف في العراق عام ١٩٧٦م لتحصيل العلم الديني الإمامي، عيِّن مسؤولاً عن حركة (أمل) في بلدة البازورية في قضاء صور، وعيِّن مسؤولاً سياسياً في حركة (أمل) عن إقليم البقاع وعضواً في المكتب السياسي عام ١٩٨٢م، ثم ما لبث أن انفصل عن الحركة وانضم إلى حزب الله، وعيِّن مسؤولاً عن بيروت عام ١٩٨٥م، ثم عضواً في القيادة المركزية وفي الهيئة التنفيذية للحزب عام ١٩٨٧م، واختير أميناً عاماً على إثر اغتيال الأمين العام السابق عباس الموسوي عام ١٩٩٢م، مكملاً ولاية سلفه، ثم أعيد انتخابه مرتين عام ١٩٩٣م - ١٩٩٥م.

إن قضية حسن نصر الله لا تحتاج إلى كثير بحث.. فهو شيعي جعفري ينتهج من شتم الصحابة ولعنهم ديناً وقربة إلى الله.. وقد صرّح العلماء أن (حسن نصر الله) شيعي متشدّد. وبعد هذه الأعمال والمخازي من حركة (أمل) الشيعية، والتي لا يمكن للناس أن يثقوا بها أو يقبلوا شيئاً منها ؛ نتج منها هذا الحزب (حزب الله)، فكيف يمكن للمسلمين الصادقين أن يثقوا به؟!

هذا وإن حصل بينهم قتال شرس وطاحن قبل سنوات مع حركة أمل، فهذا هو حال أهل الباطل وديدنهم منذ قديم الزمان، فقد قال الله

تعالى عن أمثالهم -وهم اليهود-: ﴿ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ الحشر:١٤، وقال أيضاً: ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْم الْقِيَامَةِ ﴾ المائدة من الآية:٦٤، وقال عن أمثالهم من النصارى: ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ المائدة من الآية:١٤.

أهداف حزب الله

الأهداف المعلنة للحزب: أنه حركة مقاومة إسلامية ضد الاحتلال الإسرائيلي للبنان ورفع شعار تحرير المقدسات الإسلامية في فلسطين للتغرير بالمسلمين وصرف أنظارهم عن مخططات الحزب الخفية، ولاستمالة قلوبهم وتعاطفهم، وقد زادت شعبية هذا الحزب بين الناس بسبب ما قدَّمه من خدمات اجتماعية وإنسانية بدعم من حكومة إيران.

أما الأهداف غير المعلنة فهي: نشر التشيع في لبنان، والحفاظ على الوجود الشيعي الدائم في هذا البلد، والسيطرة على منافذ القوة فيه، وتهيئة موطئ قدم لإيران للتدخل في المنطقة متى تشاء لتحقيق مصالحها وأهدافها القومية والدينية. وكذلك ضرب البنية التحتية للبنان، وجرّه إلى حرب ليتسنّى لهذا الحزب السيطرة على لبنان وهذا جزء من تصدير الثورة الإيرانية إلى العالم الإسلامي، ومن أجل إقامة دول الهلال الشيعي حسب ما يخططون ويسعون له.

حزب الله وإسرائيل.. شقاق أم وفاق ؟

اشتهر حزب الله بمقاومته للجيش الإسرائيلي، حتى حاز على

إعجاب الكثير من المسلمين الطيبين الذين اعتبروه بطلاً ونموذجاً للمقاومة والتحرير، وسنحاول أن نرد هنا بعضاً من الأدلة على عدم جدية حزب الله في هذا الأمر، وأن جهاده ومقاومته هي سياسية في المقام الأول وليس من أجل تحرير الأرض، ولكن من أجل تحقيق أهداف مؤسسية، وهو ما تحاول إثباته هذه الرسالة، غير أننا نشير هنا إلى بعض منه.

تفاهما يوليو/ تموز ١٩٩٣م، أبريل/ نيسان ١٩٩٦م:

مما يشير إلى أن مقاومة حزب الله هي مقاومة سياسية في المقام الأول التفاهمات السياسية التي توصل إليها حزب الله مع إسرائيل، ومنها تفاهمي يوليو ١٩٩٣م، وأبريل ١٩٩٦م، حيث تعهد الحزب في هذين التفاهمين بعدم ضرب أهداف إسرائيلية داخل فلسطين المحتلة بداية، وهو أمر كان الحزب يؤكد التزامه به، معتبراً أن إطلاق صواريخ "الكاتيوشا" على المستعمرات الإسرائيلية في الجليل ليس سوى رد فعل على الاعتداءات الإسرائيلية على المدنيين.

أما اتفاق تفاهم أبريل ١٩٩٦م بين الحكومة اللبنانية وإسرائيل، فقد تم التوصل إليه بموافقة حزب الله وعملت سوريا على الوصول إليه، وينص هذا الاتفاق على ما يلي:

إن الولايات المتحدة تفهم أنه بعد مناقشات مع حكومتي إسرائيل ولبنان وبالتشاور مع سوريا، فإن لبنان وإسرائيل سوف يكفلان التالي:

١- إن المجموعات المسلحة في لبنان لن تقوم بهجمات بصواريخ الكاتيوشا، أو أي نوع آخر من السلاح إلى داخل إسرائيل.

٢- إن إسرائيل والمتعاونين معها لن يطلقوا أي نوع من السلاح على

المدنيين، أو الأهداف المدنية في لبنان.

٣- بالإضافة إلى هذا، يلتزم الطرفان بالتأكد من عدم كون المدنيين هدفاً للهجوم تحت أي ظروف، وعدم استخدام المناطق المدنية الآهلة والمنشآت الصناعية والكهربائية قواعد إطلاق للهجمات.

٤- بدون خرق هذا التفاهم لا يوجد ما يمنع أي طرف من ممارسة حق الدفاع عن النفس.

٥- تم تشكيل مجموعة مراقبة مؤلفة من الولايات المتحدة، وفرنسا، وسوريا، ولبنان وإسرائيل. ستكون مهمتها مراقبة تطبيق التفاهم المنصوص عليه أعلاه. وستقدم الشكاوى إلى مجموعة المراقبة.

٦- ستنظم الولايات المتحدة أيضاً مجموعة استشارية تتألف من فرنسا، والاتحاد الأوروبي، وروسيا، وأطراف أخرى مهتمة بهدف المساعدة على تلبية حاجات الإعمار في لبنان.

٧- تفهم الولايات المتحدة أهمية تحقيق سلام شامل في المنطقة، من أجل هذه الغاية، تقترح الولايات المتحدة استئناف المفاوضات بين سوريا وإسرائيل، وبين لبنان وإسرائيل في وقت يتفق عليه، بهدف التوصل إلى سلام شامل، تفهم الولايات المتحدة أنه من المرغوب فيه أن تجري المفاوضات في جو من الهدوء والاستقرار.

وهكذا يتضح لنا من بنود اتفاق إبريل ١٩٩٦م أن حزب الله تخلى بشكل واضح عن تحرير فلسطين، بل تخلى عن مجرد شن هجمات صاروخية ضد المستعمرات الصهيونية في شمال فلسطين المحتلة، ولقد عمل حزب الله على الالتزام بهذا الاتفاق، حتى شهدت له إسرائيل بذلك.

الإنسحاب الإسرائيلي وقواعد اللعبة

أما الاتفاق الأخطر، والذي يكشف حقيقة حرب حزب الله، فهو الاتفاق الذي سبق الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان في عام ٢٠٠٠، وهو الاتفاق الذي أشار إليه حسن نصر الله في خطاباته بقواعد اللعبة، وأبرز بنود هذا الاتفاق تتمثل في النقاط التالية:

فقرة (أ) يقوم الجيش الإسرائيلي بسحب قواته كافة من كامل الأراضي اللبنانية والحزام الأمني إلى الحدود الدولية في مدة لا تتعدى ثلاثة أشهر تحت إشراف ممثل الأمين العام للأمم المتحدة وفقا للقرارات الدولية المتعلقة بجنوب لبنان وإنهاء حالة الحرب هناك، كما يقوم جيش الدفاع الإسرائيلي بحل وتفكيك مليشيات جيش لبنان الجنوبي، ولا يشمل الانسحاب مزارع شبعا على أساس أنها أرض سورية، مرتبطة أمنيا بهضبة الجولان، وأمن دولة إسرائيل.

فقرة (ب) تقوم ميليشيات حزب الله بتسلم المواقع العسكرية والأمنية من جيش الدفاع الإسرائيلي، وجيش لبنان الجنوبي فوراً بعد إخلائها ؛ للحيلولة دون وقوعها بأيدي منظمات فلسطينية أو إرهابية معادية لإسرائيل على حد قولهم..

فقرة (ج) يتعهد الجيش الإسرائيلي بعدم استهداف أعضاء أو مؤسسات تابعة لهذا الحزب، وأن يسمح للحزب بتحريك أسلحته الثقيلة في المنطقة الحمراء للحفاظ على الأمن والهدوء.

فقرة (د) أن تعمل ميليشيا حزب الله على الانتشار في المنطقة الحمراء كلها "الحزام الأمني" حتى الشريط الحدودي بين لبنان ودولة إسرائيل

وإحلالها مكان ميليشيا جيش لبنان الجنوبي بعد حل الأخرى.

فقرة (و) أن يعمل الحزب على ضمان الأمن في هذه المناطق التي ستصبح تحت سيطرته، وذلك "بمنع المنظمات الإرهابية من إطلاق الصواريخ على شمالي إسرائيل"، ووقف التسلل، واعتقال العناصر التي تهدد أمن حدود إسرائيل الشمالية، وتسليمهم إلى السلطات اللبنانية لمحاكمتهم، كما يتعهد الحزب بمنع الأنشطة العسكرية وغير العسكرية لمنظمات إرهابية فلسطينية أو لبنانية معادية لإسرائيل في المنطقة الحمراء.

فقرة (هـ) تنسق الحكومة اللبنانية والسورية مع حزب الله على تنفيذ الاتفاق كما تتعهد إيران بكونها المرجع والمؤثر القوي لحزب الله بضمان الاتفاق والمساهمة الفعالة في تثبيت الأمن في هذه المنطقة.

وتتعهد الحكومة اللبنانية والسورية بعدم ملاحقة، أو محاكمة أعضاء جيش لبنان الجنوبي وأن تقدما المساعدة على دمجهم بالمجتمع وتوفير المساعدة والحماية اللازمة لمن يرغب منهم العودة إلى بيته، وبناء عليه ستقوم كل من إيران وأمريكا بالسعي لحل مشكلة الأموال الإيرانية المجمدة في الولايات المتحدة التي تطالب بها إيران ا هـ. نقلاً عن مقال: "حزب الله على أي أساس يقاتل" للأستاذ عبد المنعم شفيق في مجلة (البيان، [عدد رمضان ١٤٢٧]).

* ما يمكن أن يقال هنا هو كلام الشيخ صبحي الطفيلي أحد أقطاب الشيعة فى لبنان وأحد المؤسسين لحزب الله والذى انشق عليه.

يقول الطفيلي: إن نهاية حزب الله بدأت منذ دخول قيادتة فى صفقات تفاهم يوليو تموز عام١٩٩٤م وتفاهم أبريل نيسان ١٩٩٦م مع إسرائيل

الذى أسبغ حماية على المستوطنات الإسرائيلية بموافقة وزير خارجية ايران. ويقول الطفيلي: إن المقاومة التي عاهدني شبابها على الموت فى سبيل تحرير الأراضى العربية المحتلة تقف الآن حارس حدود للمستوطنات الإسرائيلية، ومن يحاول القيام بأى عمل ضد الإسرائيليين يلقون القبض عليه ويتعرض للتعذيب فى السجون. ويقول ميشال سماحة وزير الإعلام اللبنانى السابق: إن حزب الله جعل الحياة مستقرة في جنوب لبنان بسيطرته على الأنشطة العنيفة لمئات الآلاف من الفلسطينيين الذين يعيشون فى مخيمات اللاجئين القذرة المتناثرة في أنحاء المنطقة ورصدها أحيانا. ويقول: إن أمريكا وقعت فى الخطأ بعدم سعيها للتفاهم مع حزب الله.. ويضيف سماحة: إن حزب الله ملتزم بإصرار سوريا على منعها منفذى العمليات الانتحارية الفلسطينيين المحتملين من عبور الحدود إلى إسرائيل.

المطلب الثاني: حزب الله.. هل يسعى لتحرير فلسطين؟

مع أنه أتى في ميثاق حزب الله أنه "يجب إزالة إسرائيل من الوجود" ويدعو لتوحد العرب والمسلمين -كما يقولون- لتحرير فلسطين كلها "من النهر إلى البحر" إلا أن ما سبق وعرضناه من تفاهمات واتفاقيات بين حزب الله وإسرائيل، تؤكد أن فلسطين ليست على خريطة حزب الله، وهو ما أكده نصر الله في الخطاب الذي ألقاه في بنت جبيل عقب الانسحاب الإسرائيلي، حيث أشار نصر الله إلى أن حزب الله لن يشارك في أي عمل عسكري ضد إسرائيل لهدف تحرير فلسطين. وقد تكرس التزام حزب الله بضوابط الصراع مع إسرائيل حتى أثنت عليه إسرائيل في ذلك الشأن، حيث كانت صحيفة (هارتز) (بتاريخ ٦/ ٧/ ٢٠٠٦م) قد امتدحت الأمين العام لحزب

الله بسبب عقلانيته وتحمله للمسؤولية وأنه حافظ على الهدوء في الجليل الأعلى بشكل أفضل من جيش لبنان الجنوبي. وبينما اشتكى الأمين السابق لحزب الله "صبحي الطفيلي" من إعاقة حزب الله لعمليات المقاومة ضد إسرائيل عقب الانسحاب الإسرائيلي، واصفاً حزب الله بأنه خفر حدود لصالح إسرائيل.

فإننا نجد الموارنة النصارى في لبنان يمدحون هذا السلوك من حزب الله، حيث يقول ميشال سماحة وزير الإعلام اللبناني: "إن حزب الله قد جعل الحياة مستقرة في جنوب لبنان بسيطرته على الأنشطة العنيفة لمئات الآلاف من الفلسطينيين الذين يعيشون في مخيمات اللاجئين القذرة المتناثرة في أنحاء المنطقة ورصدها أحياناً". وأضاف سماحة: "إن أمريكا وقعت في خطأ بعدم سعيها إلى التفاهم مع حزب الله"، وأشار سماحة إلى أن الجماعة ملتزمة بإصرار سوريا على منعها منفذي العمليات الانتحارية الفلسطينيين المحتملين عبور الحدود إلى إسرائيل.

ولنا أن نتساءل إذا كان حزب الله يسعى لتحرير فلسطين فلماذا دوماً لا تنطلق عملياته العسكرية إلا على فترات وفي ظروف يكون مؤسسيه سواء إيران أو سوريا في حاجة لورقة خارجية تخفف الضغط عنهما. وإذا كان حزب الله يسعى لتحرير فلسطين فكيف يعد إسرائيل بعدم القيام بأية حرب أخرى كما صرح بذلك في لقائه مع فضائية (New TV) عقب انتهاء الحرب الأخيرة.

كما أن من عجيب أمر حزب الله أنه ما فتئ أيام الحرب من التهديد بضرب حيفا وما بعد حيفا، غير أننا فوجئنا بعدم إقدامه على ضرب حيفا

إلا بعد قيام إسرائيل بنقل مصفاة حيفا الكيمياوية، فمصفاة حيفا وتل أبيب اللتان تقعان ضمن مدى صواريخ الحزب قد "حيّدتا" "اللفظ لحسن نصر الله" ولم تقصفا طوال الحرب. وقد كانت وزيرة الخارجية الأمريكية كونادليزا رايس قد طلبت من إيران الضغط على حزب الله بعدم قصف الهدفين، وهو الحلقة الأهم في هذا الصراع.

حاجة إسرائيل إلى حزب الله:

على الرغم من نزوات حزب الله الهجومية ضد إسرائيل، إلا أن حزب الله يبقى هو الأفضل لبقاء إسرائيل، أخذاً في الاعتبار ما قاله الطفيلي وأكدته صحيفة (هآرتز)، مضافاً إليه الضعف الأمني للدولة اللبنانية، فإن الاستئصال الأمني الكامل لحزب الله لن يصب في المصلحة الأمنية لإسرائيل، فزوال الحزام الأمني العازل الذي يشكله الحزب بين إسرائيل وباقي لبنان، الذي حفظ السلام في الجليل الأعلى، يعني عودة التماس الجغرافي مع قطاعات الشعب اللبناني والفلسطينيين، التي تختلف مع مدرسة الحزب السياسية والمذهبية، ومع رؤيته إلى طبيعة الصراع مع إسرائيل، وهو الأمر الذي احتلت من أجله إسرائيل جنوب لبنان في عام ١٩٨٢م، وأوجدت جيش لبنان الجنوبي، ذو الأغلبية الشيعية، الذي لم يثبت فاعلية في حماية مناطقها الشمالية من عمليات المقاومة الوطنية اللبنانية والفلسطينية التي كانت تنشط قبل وصول حزب الله وتوقفت تماماً بمجيئه.

فعلى المدى البعيد نسبياً: فإن زوال حزب الله بالكامل يعني من المنظور الإسرائيلي تحول لبنان إلى منطقة أمنية رخوة، وقبلة لفصائل المقاومة

الإسلامية التي تجوب العالم بحثاً عن نقطة تماس مباشرة مع ما تعتبره العدو الحقيقي، وما تعده أيضاً تجسيداً لخطابها السياسي، الذي ينتقده خصومه على أنه ينشط بعيداً عن جغرافية المواجهة الحقيقية، وهو ما فعلته بعد سقوط العراق، وتواجه دوراً من قبل المليشيات الشيعية المحلية والوافدة شبيه بدور حزب الله؛ بعبارة أخرى، ستبقى حاجة إسرائيل قائمة إلى حزام أمني طائفي يعزلها عن محيط الأغلبية ذات المنطلقات والرؤى المختلفة.

ولابد أن نشير هنا إلى أن المقاومة الحقيقية في جنوب لبنان والعمليات النوعية التي شهدها الجنوب اللبناني لم يقم بها حزب الله، وذلك باعتراف صبحي الطفيلي أمين حزب الله في تلك الفترة، حيث نفى مسئولية الحزب عنها كما في مقابلته مع "الجزيرة الفضائية" في (٢٣/ ٧/ ٢٠٠٤)م.

ويقول الكاتب اليهودي "آريه ناؤور" (معاريف: ٢٦/ ٥/ ٢٠٠٠): "عندما بدأت حرب لبنان -أي سنة ١٩٨٢م- سُمّيت "حملة سلامة الجليل" وكان يفترض بالحملة أن تستغرق ٤٨ ساعة، على عمق ٤٠ كيلو متراً، وقال رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيجن لمجموعة من كبار الضباط على مشارف بيروت: "أنتم تعرفون جيداً أنني ما كنت سأصادق على حملة تنطوي على عدد كبير من الإصابات تزيد على بضع عشرات من جانبنا، وبعد وقت قصير من ذلك ارتفع عدد ضحايانا إلى ٥٠٠"، فأغلق بيجن على نفسه في بيته ولم يجد ما يواسيه، ولم يتهم أحداً، وفي آخر مرة يظهر فيها أمام مركز الليكود قال: "إنه يجري في لبنان مأساة، ومنذئذٍ ارتفع عدد ضحايانا ضعفين وأكثر...".

وهنا يثور سؤال: من الذي أوقع هذا العدد الكبير من قتلى اليهود الذين بلغوا "٥٠٠"، كما يقول الكاتب اليهودي "آريه ناؤور"؟!

أما حزب الله فلم يكن قد ظهر إلى الوجود عام ١٩٨٢م، وأما حركة أمل فقد كانت تقف في الطرف المعادي للذين أحسنوا إليها -منظمة التحرير-، فلم يبق إلا أهل السنة من الفلسطينيين واللبنانيين، وما كانت القوات النصيرية بقادرة على منعهم لأنها قابعة على الحدود السورية اللبنانية، بل "إن معظم العمليات النوعية قبل انسحاب الكيان اليهودي من جنوب لبنان، قام بها شباب فلسطينيون من تنظيم الجبهة الشعبية - القيادة العامة- بزعامة أحمد جبريل، حيث قدم هذا التنظيم ٧٥٠ قتيلاً نحسبهم عند الله شهداء من مجموع ١٥٠٠ قتيل أعلن عنهم الحزب، دون أن يذكر دور هؤلاء المقاتلين الفلسطينيين ولو بالإشارة في يوم من الأيام، فالحزب قد استغل تعطش هؤلاء الشباب لقتال عدوهم -والمغلقة في وجوههم الحدود الغربية- حتى يبني أمجاداً على جماجمهم...".

وبعد الانسحاب الصهيوني من لبنان، عمل حزب الله على تأكيد وفائه بالتزاماته مع إسرائيل، وأحبط العديد من العمليات الفدائية ضد إسرائيل، حتى اشتكى سلطان أبو العينين أمين حركة فتح في لبنان من ذلك، وقال: "لقد أحبط حزب الله أربع عمليات للفلسطينيين خلال أسبوع، وقدمهم للمحاكمة". ويقول أيضاً: "نعيش جحيما منذ ثلاث سنوات، ومللنا الشعارات والجعجعة"، وذلك بعد ثلاث سنوات فقط من الانسحاب الصهيوني من جنوب لبنان، والذي اعتبروه نصراً مؤزراً ومجداً تاريخياً.

هل هناك اتفاقيات سرية بين حزب الله وإسرائيل؟

يقول ضابط إسرائيلي من المخابرات: "إن العلاقة بين إسرائيل والسكان اللبنانيين الشيعة غير مشروطة بوجود المنطقة الأمنية، ولذلك قامت إسرائيل برعاية العناصر الشيعية وخلقت معهم نوعاً من التفاهم للقضاء على التواجد الفلسطيني والذي هو امتداد للدعم الداخلي لحركتي حماس والجهاد".

وقال صبحي الطفيلي: "مع بداية التسعينات بدأت ملامح التغيير في السياسة الإيرانية.. بتفاهم تموز ١٩٩٣م، ثم بتفاهم نيسان ١٩٩٦م، والذي تم الاعتراف فيه وبحضور وزير خارجية إيران آنذاك، بأمن العدو اليهودي في فلسطين.. ومن ذلك الحين بدأ العدو الصهيوني يسعى إلى الانسحاب من لبنان على ضوء هذا التفاهم، لأن التفاهم يفرض على المقاومة أن تقف.. تصل إلى الحدود وتقف". لاثم قال: "أريد أن أقول: إن النتيجة لتفاهم نيسان هو أن المقاومة تحولت من: مقاومة -هذه حقيقة- إلى حرس حدود". ولذلك فإسرائيل تحرص على النفوذ الشيعي في جنوب لبنان ليكون حامياً لها ممن يريد الهجوم على إسرائيل من الحدود الشمالية لها.

وقد جاء في صحيفة (الجروزاليم بوست) في عددها الصادر بتاريخ (٢٣/ ٥/ ١٩٨٥)م: "إنه لا ينبغي تجاهل تلاقي مصالح إسرائيل التي تقوم على أساس الرغبة المشتركة في الحفاظ على منطقة جنوب لبنان، وجعلها منطقة خالية من أي هجمات ضدّ إسرائيل.. إن الوقت حان لأن تعهد إسرائيل إلى (أمل) بهذه المهمّة".

ويؤكّد هذا الأمر توفيق المديني فيقول: "حركة (أمل) التزمت من جانبها بمنع رجال المنظمات الفلسطينية من التسلل إلى مناطق الجنوب للقيام بعمليات مسلحة ضد الجيش الإسرائيلي وضد مستوطنات الجليل في شمال فلسطين المحتلّة". وقد أكّد هذا الأمر الأمين العام السابق لحزب الله: صبحي الطفيلي، حيث يقول: "من أراد أن يتثبّت -يعني من كون حزب الله أصبح حامياً لحدود إسرائيل كما سبق-، فباستطاعته أن يأخذ سلاحاً ويتوجّه إلى الحدود، ويحاول أن يقوم بعملية ضدّ العدو الصهيوني، لنرى كيف يتصرّف الرجال المسلحون هناك! لأن كثيرين ذهبوا إلى هناك، والآن هم موجودون في السجون!، اعتقلوا على يد هؤلاء المسلحين".

فإسرائيل لم تكن تسعى إلى القضاء على حزب الله وتدميره، ليس لقدراته وقوته، ولكن لأنه حزبٌ منضبط، على الرغم من الانزعاج الذي يسبّبه في بعض الأحيان، إلا أن زوال حزب الله من جنوب إسرائيل كفيلٌ بصعود مقاومة سنّية بديلة، وهو أمرٌ لا تقبله إسرائيل. ومن أجمل ما قيل: أن من مصلحة إسرائيل بقاء حزب الله، ومن مصلحة حزب الله بقاء إسرائيل.

فالمشروع الشيعي -وإن كان مزعجاً للمشروع الصهيوني الأمريكي- إلا أنّه يبقى مشروعاً منضبطاً لا يرفض التعاون والتفاوض، بل قد يبادر إلى التعاون، مثلما حدث من إيران في أفغانستان والعراق، ومثلما حدث من حزب الله قديماً عندما عمل على إحباط هجمات المقاومة من جنوب لبنان. أما المشروع السنيّ للمقاومة، فهو مشروع مزعجٌ ولا يقبل التفاوض أو المساومة، والوقائع على ذلك كثيرة، بدءً من طالبان في أفغانستان وانتهاءً

بالمقاومة الفلسطينية، ومروراً بالمقاومة العراقية".

الحرب الأهلية:

قال نصر الله في خطابه إن حرباً أهلية جديدة لن تشهدها لبنان، وقد صدق نصر الله وذلك لأن الحروب الأهلية لا تندلع إلا بين جهتين متساويتين في القوة ومختلفتين في المصلحة، وقد اجتمع المشروعان الشيعي والأمريكي على إجهاض القوى السنية في لبنان حتى صار سنة لبنان ما بين قوى مهيضة الجناح، وما بين قوى مرتبطة بمشروع أمريكي، وصفا الجو أمام الشيعة ليجعلوا من لبنان "قوة عظمى في الشرق الأوسط"، ولكن لصالح المشروع الإيراني.

ماذا قدّم الشيعة لفلسطين؟

أما في العصر الحديث فإن ما قدمه الشيعة لفلسطين فلا يزيد عن تلك الخطب الرنانة والتصريحات سواء من طهران أو جبل عامل أما على أرض الواقع فالحقائق تنطق بغير ذلك، ودلائل ذلك كثيرة نحصرها فيما يلي:

- في عام ١٩٨٢ ومع الاجتياح الإسرائيلي للبنان فليعلم الجميع أن حركة أمل الشيعية تعاونت مع اليهود في القضاء على منظمة فتح الفلسطينية، وعن ذلك قالت صحيفة (الجراوزاليم بوست) في عددها بتاريخ (٢٣/ ٥/ ١٩٨٥) م: "إنه لا ينبغي تجاهل تلاقي مصالح أمل وإسرائيل، التي تقوم على أساس الرغبة المشتركة في الحفاظ على منطقة جنوب لبنان وجعلها منطقة آمنة خالية من أي هجمات ضد إسرائيل...".

- وفي مذكراته اعترف "أرييل شارون" قائلاً: "ومن دون الدخول

في أي تفاصيل، لم أر يوماً في الشيعة أعداء إسرائيل على المدى البعيد[1]".

- وبعد عام ١٩٨٢م ونشوء "حزب الله" لم نسمع عن عملية عسكرية واحدة نفذتها تلك الحركة في فلسطين بل كانت جل عملياتها تدور على أرض لبنان.

- ويقول سلطان أبو العينين وهو أمين سر حركة فتح في لبنان: " لقد أحبط حزب الله أربع عمليات للفلسطينيين خلال أسبوع، وقدمهم للمحاكمة، إننا نعيش جحيم منذ ثلاث سنوات ومللنا الشعارات والجعجعة". وقبل الوعد الصادق بأيام، اعتبرت (هأرتز) الإسرائيلية حزب الله حزباً منضبطاً لا يتحرك إلى وفق قواعد اللعبة، وهو يبدو ما لم يتغير حتى بعد العدوان الإسرائيلي على لبنان.

إن فلسطين قد فتحها عمر رضي الله عنه فهل يمكن أن تفتح ثانية على يد من يتخذ من لعن عمر رضي الله عنه عقيدة وديناً؟

أقول: كلا والله. إن أرض فلسطين وغيرها لن يعيدها إلى حوزة الإسلام إلا أتباع عمر الذين يترضون عنه ويتلمسون هديه ويقتدون به. أما أعداء الصحابة ومن يلعنون عمر فوالله الذي لا إله غيره لن يزيدوا الأمة إلا خبالاً ولن تجني منهم غير الحسرة والندامة، وسيكشرون عن أنيابهم حين يستتب لهم الأمر، وسيظهرون حقدهم ويصبون جام غضبهم على أهل السنة، فيستبيحون أرضهم وينتهكون عرضهم ويخرجونهم من ديارهم، كما يحدث الآن في العراق وإيران. عندها يفيق النائمون ويندم

---

١ مذكرات أرييل شارون، ص:٥٨٣-٥٨٤

المفرطون ولكن بعد فوات الأوان.

ولذلك ينبغي لكل من عرف عقيدة التوحيد وآمن بما جاء في كتاب الله تعالى من الأمر بموالاة المؤمنين ومحادة الكافرين، أن يتبرأ من حزب الله وألا يغتر به وبقيادته، مهما طبل له المطبلون، وأن يقول كما قال العالم أبو بكر النابلسي للمعز العبيدي: "ينبغي أن نرمي حزب اللات بتسعة ثم نرمي اليهود بالعاشر".

مرتبط بفكرة (المقاومة) تلك الخدعة التاريخية للنظام السوري وحزب الله والتي صدقها الكثير من العرب والمسلمين.

*المراجع:

١ - حزب الله، موسوعة Infoplease

٢ - حزب الله.. حقائق وأبعاد، فضيل أبو النصر، الشركة العالمية للكتاب، الطبعة الأولى

مشاكل إيران في أفغانستان

وفى السنوات الاخيرة ظهر الوجه المذهبى الإيراني القبيح فى أفغانستان حيث تحالفت مع الولايات المتحدة الأمريكية التى تسميها بالشيطان الأكبر ضد طالبان "السنية.

* قبل الاحتلال الأمريكي لأفغانستان لجأت طهران الى تأمين الطائفة الشيعية في أفغانستان والتي تقبع وسط البلاد بعيدا عن الحدود الإيرانية من خلال السعي بالحصول على ضمانات من باكستان باستخدام نفوذها لدى طالبان من ناحية، وإقامة الجسور مع حكومة طالبان دون أن تضحي بالتحالف الشمالي المعارض، بعد أن ثبت بالتجربة أن سياسة ضخ السلاح للشيعة والتي انتهجتها إيران على مدى السنوات العشرين الماضية لم تكن كافية لحمايتها.

وبعد العدوان الأمريكي حددت إيران سياستها من زاوية رئيسية هى:

ماهو نصيب الشيعة فى حكم البلاد... خاصة وأن إيران كان لها موقف واضح من طالبان قبل الغزو الأمريكي وصل إلى حد التهديد بالحرب... وكرست إيران كل سياستها فى أفغانستان من منظور مصلحة الشيعة هناك... وهذا يفسر وضع شيعة أفغانستان الذين لم يحاربوا الجيش الأمريكي ولم يحاربهم الجيش الأمريكى. إن عددا من الكتاب الأمريكيين يعتبرون أنه لولا المساعدة الإيرانية اللوجستية والتكتيكية للأمريكان لفشل غزوهم لأفغانستان. وفى هذا الصدد ننقل هنا ما قاله على أكبر هاشمي رفسنجانى يوم ٨ فبراير عام ٢٠٠٢ م والذى نقلته جريدة الشرق الأوسط فى اليوم التالي حيث قال فى جامعة طهران: " القوات الإيرانية قاتلت

طالبان وساهمت فى دحرها ولو لم نساعد قواتهم فى قتال طالبان لغرق الأمريكيون فى المستنقع الأفغاني..ويجب على أمريكا أن تعلم أنه لولا الجيش الإيرانى الشعبي ما استطاعت أن تسقط طالبان ".

مشاكل إيران في العراق

موقف إيران كان محيرا..فقد أعلنت أنها محايدة فى قضية إزالة نظام صدام حسين..وفى نفس الوقت أعلنت أنها ضد العدوان..رغم أن الموقفين لا يمكن الجمع بينهما. إلا أن مشروع الهلال الشيعي هو الذى يفسر الموقف الإيرانى حيث رأت إيران وشيعة العراق فى صدام حسين خطراً أكبر من عداء أمريكا. فباتوا محايدين بين الحكم فى دولة مسلمة والمعتدين على هذه الدولة المسلمة.

وتلخص الموقف الإيرانى في أن مصلحة الشيعة فى التحرر أهم من مصلحه العراق فى الاستقلال، حتى وإن كانت النتيجة احتلال العراق كله. ولابد في هذا الأمر من الإشارة إلى مشاركة مراجع شيعية دينية وسياسية واجتماعية في المعارضة المرتبطة بالولايات المتحدة والتي جرت في الخارج وتم فيها التنسيق بين المخابرات الأمريكية وهذه الرموز الشيعية.

على الجانب الآخر عملت إيران على محاولة تشكيل الطرف المحاذي لها من الهلال الشيعي عبر العراق فبعد سقوط صدام حسين استطاعت إيران وبمساعدة بعض الشيعة الموالين لها في العراق من الإلتفاف على سقوط صدام حسين بل إنها فعليا خدعت العرب والغرب معاً وباستغلال الشيعة في العراق تمكنت من السيطرة شبه الكاملة على العراق بينما اكتفى القوس السني في العراق على المقاومة والدفاع عن نفسه.

وأيضاً إن حكام العراق الجدد بعد الغزو الأمريكي لهذا البلد المسلم، قد سيطروا على مفاصل الدولة العراقية بحماية القوات الأمريكية، ويستهدفون بمشروعهم القومي الصفوي الفارسي المستتر بالدين والمذهب، عقيدةَ أهل السنة في العراق ووجودهم ومقدساتهم وثرواتهم.

وبادر الشيعة إلى الاستيلاء على مساجد أهل السنة فى المناطق التى بها أغلبية شيعية، وعمدوا إلى تغير أسماء الأحياء والشوارع، وسعى الشيعة إلى جعل الحوزة الشيعية فى النجف لها سلطات على المرافق والجامعات، وسهل لهم الاحتلال الأمريكى ذلك، مثل تعيين أحد علماء الدين الشيعة مسؤولا عن الأوقاف، ومعروف أن الأوقاف سنية، كما سمحوا للشيعة ببناء حسينيات على الأراضي المملوكة للدولة.

مشاكل إيران في دول الخليج

فَلَها مشاكل كثيرة وأغلبها في الحرمين الشريفين من تفجير وإيذاء للحجيج وإبتداع في الدين، وكما قاموا بالتعدي على الأراضي السعودية وعدد من القرى الصغيرة على الشريط الحدودي، مما نتج عنه نشوب معارك طاحنة بين الشيعة الحوثيين الذين تدعمهم إيران وبين الجيش السعودي انتهت بتطهير الأراضي السعوديه.

وكذلك التدخل السافر في دولة البحرين.

*للإستزادة راجع ويكيبيديا الثوره الإيرانيه ويوتيوب

الدولة العلوية في سوريا

ينتشر العلويون في سورية بشكل أساسي في الجبال الساحلية الغربية من البلاد، من عكار جنوبا، إلى طوروس شمالاً، وينتمون للطائفة الشيعية، ويتوزع بعضهم في محافظات حمص وحماة ودمشق وحوران ولواء الإسكندرونة، حيث يشكلون نسبة من ٨ - ٩ في المائة من السكان، ويوجد منهم أقليات صغيرة في لبنان (محافظة الشمال)، كما تجد منهم جاليات في كل من العراق وفلسطين وإيران، وكذلك في أوروبا من تركيا واليونان وبلغاريا إلى ألبانيا، وفي أميركا وحدها يوجد أكثر من ربع مليون علوي[١].

ان مؤسس الطائفة هو أبو شعيب محمد بن نصير النميري التميمي البصري، وخلفه على رئاسة الطائفة محمد بن جندب، ثم أبو محمد عبد الله بن محمد الجنان الجنبلاني ٢٣٥ هـ - ٢٨٧ هـ، ثم الحسين بن حمدان الخصيبي المولود سنة ٢٦٠ هـ، وقد انتقل مركز حلب إلى اللاذقية وصار رئيسه أبو سعد الميمون سرور بن القاسم الطبراني ٣٥٨ هـ _ ٤٢٧ هـ. ثم كان للعلويين مركزان احدهم في بغداد والآخر في اللاذقية، أما مركز بغداد فقد انتهى مع دخول المغول إلى بغداد، واستمر مركز اللاذقية. وفي عام ٤٧١هـ / ١٠٩٧م إبان الحملة الصليبية، قاتل الصليبيون العلويين في بادئ الأمر، ثم هادنوهم وتحالفوا مع بعض شيوخهم. وفي عام ١١٢٠م هزم الإسماعيليون والأكراد العلويين. وبمرور ٣ سنوات على الهزيمة،

١ جريدة الشرق الأوسط العدد ١٢٣٨٢

تمكنوا من هزيمة الأكراد. وفي عام ١٢٩٧م حاول الإسماعيليون والعلويون الاندماج إلا أن الاختلافات المذهبية حالت بين عملية الاندماج. وتعتبر الطائفة العلوية في سورية ثاني أكبر طائفة، حيث يأتي « أهل السنة والجماعة » في المرتبة الأولى بنسبة ٧٤٪ تقريباً، ثم يأتي العلويون، فالمسيحيون فالدروز[١].

وعندما هيمنت الإمبراطورية العثمانية على بلاد الشام في٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، ثارت بعض عشائرهم عليها، فأرسلت الدولة العثمانية إليهم حملات تاديبيه. وبسقوط الإمبراطورية العثمانية واستبدالها بالاستعمار الفرنسي على سورية ولبنان، منح الفرنسيون حكما ذاتيا لهم وهو ماسيأتي لاحقاً.

وفي عام ١٩٧٠م انقلب حافظ الاسد على الرئيس نور الدين الأتاسي بعد هزيمة ١٩٦٧م وسمى إنقلابه العسكري بإسم الحركه التصحيحية بعد أن قدم نفسه كزاهد بالحكم وقام بتنصيب رئيس مؤقت ضعيف لشهور قليله اسمه أحمد الحسن الخطيب وخلال هذه الفترة كانت هناك مجموعات من الشعب السوري تقوم بمسيرات يوميه مطالبة حافظ الأسد بالترشيح لرئاسة الجمهوريه وكانوا من الطائفه العلوية ومن الضعفاء ومقدسي الظلمة وكانت تذيع الاذاعة السورية بأمر من حافظ الأسد أغنيه " تسلم يداك يامعلم.. قود السفينه يامعلم "

وبالطبع استلم الحكم على أن الشعب هو الذي وضعه واستلم

---

١ ويكيبيديا وأيضاً بحث في مقالات د.صبري محمد خليل/ أستاذ الفلسفة بجامعه الخرطوم.

الحكم إلى أن مات وورث الحكم إبنه بشار.

وبعد أن تولى الرئيس حافظ الأسد مقاليد السلطة في سورية عام ١٩٧٠م حاول تحسين صورة العلويين في نظر المسلمين من الطوائف الأخرى.

مجزرة حماه[١]

بعد ما يعرف باسم " مجزرة حماة ١٩٨٢م بأوسع حملة عسكرية شنها النظام السوري ضد المعارضة، ولقد أودت تلك المذبحة بحياة عشرات الآلاف من أهالي مدينة حماة.

بدأت المجزرة في ٢ فبراير عام ١٩٨٢ م واستمرت ٢٧ يوماً، حيث قام النظام السوري بتطويق مدينة حماة وقصفها بالمدفعية ومن ثم اجتياحها عسكرياً، وارتكاب مجزرة مروعة كان ضحيتها عشرات الآلاف من المدنيين من أهالي المدينة، وكان قائد تلك الحملة العقيد رفعت الأسد شقيق الرئيس حافظ الأسد، ويُعد المتهم الأول في العديد من الجرائم الكبرى والمجازر الجماعية التي حدثت في سوريا في ظل حكم عائلة الأسد، مثل مجزرة حماة ومجزرة سجن تدمر[٢].

ورغم مضي الأعوام إلا أن ما شهدته تلك المدينة التي تتوسط الأراضي السورية ويقطنها قرابة ٧٥٠ ألف نسمة يعتبر الأكثر مرارة وقسوة قياساً إلى حملات أمنية مشابهة، فلقد استخدمت حكومة الرئيس السوري

---

١ مجلة البيان

٢ راجع ويكيبيديا

حافظ الأسد الجيش النظامي والقوات المدربة تدريباً قاسياً ووحدات من الأمن السري في القضاء على المعارضة واجتثاثها[1].

وتشير التقارير التي نشرتها الصحافة الأجنبية عن تلك المجزرة إلى أن النظام منح القوات العسكرية كامل الصلاحيات لضرب المعارضة وتأديب المتعاطفين معها، وفرضت السلطات تعتيماً على الأخبار لتفادي الاحتجاجات الشعبية والإدانة الخارجية.

أسباب اندلاع الأحداث

جاءت تلك الأحداث في سياق صراعٍ عنيفٍ بين نظام الرئيس السوري حافظ الأسد وجماعة الإخوان المسلمين التي كانت في تلك الفترة من أقوى وأنشط قوى المعارضة في البلاد.

واتهم النظام حينها جماعة الإخوان بتسليح عدد من كوادرها وتنفيذ اغتيالات وأعمال عنف في سوريا من بينها قتل مجموعة من طلاب مدرسة المدفعية في يونيو ١٩٧٩ م في مدينة حلب شمال سوريا، ورغم نفي الإخوان لتلك التهم وتبرّئهم من أحداث مدرسة المدفعية فإن نظام حافظ الأسد حظر الجماعة بعد ذلك وشن حملة تصفية واسعة في صفوفها، وأصدر القانون ٤٩ عام ١٩٨٠ م الذي يعاقب بالإعدام كل من ينتمي لها.

أحداث المجزرة

دامت المجزرة ٢٧ يوماً بدءاً من ٢ شباط ١٩٨٢ م. وقد قام النظام

---

١ مجزرة حماة.. وقائع منسية.

السوري بحشد:

- سرايا الدّفاع.
- واللواء ٤٧ [دبابات].
- واللواء ٢١ [ميكانيك].
- والفوج ٢١ [إنزال جوّي (قوات خاصّة)].

فضلاً عن مجموعات القمع من مخابرات وفصائل حزبية مسلّحة.

وقامت تلك القوات كلها مجتمعة بقصف المدينة وهدمها ومن ثم اجتياحها عسكرياً وحرقها، وارتكاب إبادة جماعية سقط ضحيتها ما بين ٣٠ ألف إلى ٤٠ ألف قتيل، وهدمت أحياء بكاملها على رؤوس أصحابها كما هدم ٨٨ مسجداً وثلاث كنائس، فيما هاجر عشرات الآلاف من سكّان المدينة هرباً من القتل والذّبح والتنكيل.

وأيضاً على الاقل ٦٠.٠٠٠ سجين سياسي، وربما وصل العدد إلى ٨٠.٠٠٠.

واستطاعت الدبابات اختراق المدينة وطوال أيام كاملة، كانت المعركة مستمرة وبشدة. من بيت إلى بيت، أو بالأحرى من أنقاض إلى أنقاض. هذا وتتكتم الدولة على عدد القتلى والجرحى من الجانبين. ويضيف الدبلوماسي الغربي قائلاً: "ولكن الطلب على الدم في المراكز الطبية كان كثيراً وكثيراً.

كما ذكرت مجلة الإيكونومست في عددها الصادر في (مايس) ١٩٨٢م تحت عنوان أهوال حماة: "إن القصة الحقيقية لما جرى في شهر

شباط في مدينة حماة الواقعة على بعد ١٢٠ ميلاً شمال دمشق العاصمة لم تعرف بعد وربما لن تعرف أبداً. لقد مرّ شهران قبل أن تسمح الحكومة السورية للصحفيين بزيارة خرائب المدينة التي استمرت تحت قصف الدبابات والمدفعية والطيران ثلاثة أسابيع كاملة. ونتيجة لذلك فإن قسماً كبيراً من المدينة القديمة القائمة في وسط البلد قد مُحي تماماً، وسوّي مؤخراً بواسطة الجرافات.

ذكرى الأحداث لدى أهالي مدينة حماة

لا تزال ذكرى مجزرة حماة المروعة ماثلة في أذهان أهالي المدينة حتى الآن (٢٠١١ م). والصور المرعبة والفظائع التي ارتكبت أثناء تلك المجزرة جعلت أهالي المدينة يعيشون في خوف دائم من النظام؛ وحتى اليوم. ولا تكاد تخلو عائلة في حماة إلا وفيها قتيل أو مفقود أو مهاجر جراء تلك المجزرة.

في حماة، تم قمع الانتفاضة الشعبية بقساوة نادرة في التاريخ الحديث.. لقد غزا (حافظ ورفعت أسد) مدينة حماة، بمثل ما استعاد السوفيات والأمريكان برلين، ثم أجبروا من بقي من الأحياء على السير في مظاهرة تأييد للنظام، صحفي سوري مندهش قال موجهاً كلامه لأحد الضباط: رغم ما حدث، فإن هناك عدداً لا بأس به في هذه المظاهرة. أجاب الضابط وهو يضحك: نعم، ولكن الذي بقي أقل من الذين قتلناهم.

* * * *

الثورة السورية[1]

وفي عام ٢٠١١م في عهد ابنه بشار بدأت الأزمة السورية أو الثورة السورية أو الحرب الأهلية السورية هي أحداث بدأت شرارتها في مدينة درعا حيث قام الأمن باعتقال خمسة عشر طفلا وقتلهم إثر كتابتهم شعارات تنادي بالحرية على جدار مدرستهم بتاريخ ٢٦ فبراير ٢٠١١م وفي خضم ذلك كانت هناك دعوة للتظاهر على الفيسبوك في صفحة لم يكن أحد يعرف من يقف وراءها استجاب لها مجموعة من الناشطين يوم الثلاثاء ١٥ مارس عام ٢٠١١م وهذه المظاهرة ضمت شخصيات من مناطق مختلفة مثل حمص ودرعا ودمشق وكانت هذه الاحتجاجات ضد الاستبداد والقمع والفساد وكبت الحريات وعلى إثر اعتقال أطفال درعا والإهانة التي تعرض لها أهاليهم بحسب المعارضة السورية، بينما يرى مؤيدو النظام أنها مؤامرة لتدمير الممانعة العربية ونشر الفوضى في سوريا لمصلحة إسرائيل بالدرجة الأولى، وقد قام بعض الناشطين من المعارضة بدعوات على الفيس بوك وذلك في تحد غير مسبوق لحكم بشار الأسد متأثرين بموجة الاحتجاجات العارمة (المعروفة باسم الربيع العربي)، والتي اندلعت في الوطن العربي أواخر عام ٢٠١٠م وعام ٢٠١١م، وخصوصاً الثورة التونسية وثورة ٢٥ يناير المصرية والليبيه واليمنيه. وكانت الاحتجاجات قد انطلقت ضد الرئيس بشار الأسد وعائلته التي تحكم البلاد.

---

١ المصدر: مركز التأصيل للدراسات والبحوث

شهدت سوريا منذ بدء الثورة منتصف مارس ٢٠١١م مجازر وعمليات دامية نفذها الجيش النظامي، قُتل فيها آلاف من الأطفال والنساء والرجال على غرار ما حدث في مجزرة الغوطة الشرقية بريف دمشق، والحولة بحمص، وفي التريمسة بحماة.. وغيرها.

كما قتل وجرح المئات في تفجيرات ضربت مدنًا عدة في سوريا، استهدف بعضها مقار أمنية وعسكرية للقوات السورية.

وقالت الشبكة السورية لحقوق الإنسان: إن الذين سقطوا منذ بداية الثورة السورية في ١٥ من مارس ٢٠١١م بلغ أكثر من مائة وخمسين ألف قتيل، وتقول الشبكه السوريه إن المساجين يفوقون ٢٦٠٠٠٠ الف سجين وأكثر من نصف مليون جريح وتقول المعارضة إن العدد يفوق الخمسمائة ألف حتى نهاية ٢٠١٣م.

ومع بداية قتل الجيش للمواطنين بدأت الانشقاقات في الجيش النظامي وبدأو في تكوين مايسمى بالجيش الحر إلى أن ضعف الجيش النظامي وبعد ذلك توافدت المجموعات المسلحة والمليشيات الشيعية إلى سوريا وأغلبها من حزب الله اللبناني وفيلق بدر العراقي وميليشيات أخرى من العراق وايران واليمن ومن كل حدب وصوب للقتال ضد الثورة السورية في مشهد طائفي واضح المعالم، لا ينكره إلا فاقد للبصر والبصيرة.

وإذا كانت الثورة السورية تستقبل أعدادا قليلة من المتطوعين للقتال ضمن صفوفها، دفاعا عن النساء والأطفال والمقدسات التي تنتهك كل يوم هناك، ودفاعا عن الحق الذي سيموت إن لم يكن له قوة، فإن الآلاف من الشيعة الرافضة تنخرط للتمادي في الظلم والقهر والباطل، الذي يمارسه

النظام النصيري الباطني ضد الشعب السوري، فلا وجه للمقارنة بين هذا وذلك، لا من حيث العدد والعدة، ولا من حيث الغاية والهدف والمقصد، فشتان بينهما كما وصف القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ النساء:٧٦، وقال تعالى: ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ المائدة:١٠٠.

ولم يتوقف الأمر على الرافضة الشيعة فحسب، فقد تكالبت أمم الأرض على هذه الثورة المباركة، واجتمعت عليها القوى العالمية الكبرى، المتمثلة بالصليبية والصهيونية اليهودية النصرانية، والرافضة الشيعية، والبوذية الوثنية الصينية، والروسية الشيوعية، والعلمانية والليبرالية الغربية والعربية، في مشهد يذكرنا بغزوة الأحزاب، حين اجتمعت قوى الشرك والكفر - قريش وغطفان واليهود - على المسلمين، وقد صور القرآن الكريم ذلك المشهد بقوله تعالى: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ الأحزاب:١٠-١١

وكانت تقارير إعلامية أفادت مؤخرا، عن وجود ضباط كوريين شماليين وروس وصرب وأوكرانين يحاربون المعارضة السورية لدعم نظام بشار الأسد، بالإضافة إلى شيعة العراق وطهران وحزب الله اللبناني ولكن الله غالب على أمره.

و مع خطورة هذا التحالف الشيطاني الدولي على الثورة السورية والمجاهدين الأبطال هناك، فإن ذلك لا يشكل الخطر الأكبر على هذه

الثورة وهذا الجهاد، فلطالما واجه المسلمون على مر التاريخ تكالب الأمم عليهم، وسجلوا مع ذلك انتصارات خلدها التاريخ، كالأحزاب وعين جالوت والحروب الصليبية، ولكن الخوف الحقيقي على هذه الثورة من عدم تكامل أسباب النصر التي وعد الله تعالى به المؤمنين من عباده، ولعل أهم هذه الأسباب طاعتنا لله تعالى ومعصية عدونا له، فالطاعة الطاعة يا ثوار سوريا، والوحدة الوحدة، والصبر الصبر، فإن الله تعالى منجز وعده، وليكن شعاركم دائما قول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَّ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهَّ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهَّ وَاللهُّ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِين ﴾ البقرة:٢٤٩

وزير خارجية فرنسا: بالوثائق.. جد الأسد خائن لسوريا[١]

كادت تحدث ملاسنات تتعدى الدبلوماسية مندوب سوريا الدائم لدى الأمم المتحدة، بشار الجعفري، ووزير الخارجية الفرنسي، لوران فابيوس، الذي طلب الكلام ثانية ليرد على ما قاله الجعفري في كلمته أثناء المداولات في مجلس الأمن بشأن اللاجئين السوريين، وتطرق لفترة الاستعمار الفرنسي لسوريا التي امتدت من عشرينيات إلى منتصف أربعينيات القرن الماضي.

---

١ العربيه نت

رد فابيوس بعبارات قليلة بدا منها أنه أراد أن يقول للجعفري "كفاك إشباعنا آراء ونظريات " فقال له: " بما أنك تحدثت عن فترة الاحتلال الفرنسي، فمن واجبي أن أذكرك بأن جد رئيسكم بشار الأسد طالب فرنسا بعدم الرحيل عن سوريا وعدم منحها الاستقلال، وذلك بموجب وثيقة رسمية وقع عليها ومحفوظة في وزارة الخارجية الفرنسية، وإن أحببت أعطيك نسخة عنها ".

ويبدو أن وزير الخارجية الفرنسي أخطأ بهوية الجد أو أنه كان يقصد الجد الأكبر، لأن علي سليمان الأسد، وهو والد الرئيس الراحل حافظ الأسد. أما جده فهو سليمان الأسد، الذي عناه الوزير الفرنسي، فهو من مواليد الفترة التي تقع بين ١٨٥٠ م و١٨٥٥ م في القرداحة، وهو من عائلة الوحش أصلا، ثم تم تسجيله من عائلة الأسد تكريما له لفوزه في مباراة بالمصارعة على تركي في قرية القرداحة، بحسب ما ورد في كتاب شهير عن حافظ الأسد ألفه الصحافي البريطاني باتريك سيل.

وكتب أنطوان غطاس صعب، الذي تحدثت إليه " العربية.نت " أن الوثيقة "رفعها زعماء الطائفة العلوية إلى رئيس الحكومة الفرنسية آنذاك ليون بلوم LEON Blum ومحفوظة تحت الرقم ٣٥٤٧ تاريخ ١٥/ ٦/ ١٩٣٦ م في سجلات وزارة الخارجية الفرنسية، كما وفي سجلات الحزب الاشتراكي الفرنسي وهذه جزء من أسماءهم:

عزيز آغا الهواش، محمود آغا جديد، محمد بك جنيد، سليمان أسد، سليمان مرشد، محمد سليمان الأحمد.

****

الإستعمار الأوروبي للبلاد الإسلامية

وبداية نوضح أنَّ ما نقصده بالاحتلال والاستعمار هو أن تسيطر دولة ما بقوة السلاح أو المال أو التفوق التكنولوجي والعلمي على دولة أو عِدَّة دول، ثم تقوم الدولة المسيطرة باستغلال موارد وثروات هذه الدولة أو الدول لصالحها بصرف النظر عن مصالح الدولة المستضعفة التي تم احتلالها.

وقد عَرِف العالم الإنساني الاستعمار منذ القِدَم على يد الحضارة الفرعونية والرومانية، وغيرهما من الحضارات على مَرِّ التاريخ.

وسوف نركِّز في هذه الدراسة على الهجمة الاستعمارية التي تعرَّض لها العالم الإسلامي في العصر الحديث، والتي بلغت أشُدَّها في القرن التاسع عشر.

وقد كانت أبرز القوى الاستعمارية التي عانى منها العالم الإسلامي في هذه الفترة بريطانيا وفرنسا.

وهكذا التاريخ يعيد نفسه ولكن بتغير الأماكن يعني بشكل موسع في الدول العربية والإسلامية وبنفس الأمه المستعمرة ونفس المبدأ في نهب البلاد وإضعاف وقهر المسلمين. السبب في ذلك بعد المسلمين عن الدين وتفرقهم إلى دويلات وإختلاف الكلمة وفي هذه الأثناء كانت الخلافة العثمانية في أضعف مراحلها وقد بدأ لُعاب الأمم الاستعمارية من حولها يسيل طمعًا في ممتلكاتها، وإليكم نبذه بسيطه عن كل دوله مستعمرة من الدول الأوربية، صحيح إنها دول أوربية لكن مبدأهم واحد في الإستعمار وكلمتهم ورايتهم واحده.

الإستعمار البرتغالي[1]

بدأت حملته البوكيرك من لشبونه عاصمة البرتغال عام ١٥٠٣م، نحو الشرق برفقة صاحبه وقريبه " فرانسيسكو " حيث أبحر حول رأس الرجاء الصالح إلى الهند وبعدها شن الأسطول غارات على سواحل الخليج العربي وخاصة عمان التي كانت تشكل أكبر قوة عربية في الخليج العربي، وحرمها من التجارة مع الهند وشرق أفريقيا. وقد استطاع البوكيرك أن يفاجئ السفن العمانية الراسية في الموانئ ويدمرها، ثم هاجم ميناء قلهات وقلعتها عام ١٥٠٧م وقريات فأبادها وأهلها ودمروا ما كان فيها من نحو ٨٣ سفينة، ومسقط، وخورفكان وخربها بعد أن كانت مزدهرة. واحتل أيضا صحار، وارتكب فيها فظائع وحشية، فقتل عددا كبيرا من السكان، وكانت عمان قبل قدوم البرتغاليين تعيش في رخاء من الزراعة والتجارة، إلا أن الغزو البرتغالي قطع تجارة العمانيين وخرب المناطق الساحلية. فقد دمر فيها جميع الموانئ العربية وأخضعها تحت سيطرته وشيد القلاع في الكثير من سواحل خليج عمان والخليج العربي. فقد بنى البرتغاليون في مسقط على سبيل المثال على أنقاض قلاع قديمة قلعتي الجلالي والميراني. على الرغم من محاولات المماليك والعثمانيين وغيرهم من المتضررين من الأسطول البرتغالي في مياه المحيط الهندي والبحر الأحمر والخليج، التصدي له عام ٩١٤هـ / ١٥٠٨م، إلا أن الأسطول البرتغالي

١ كتاب تاريخ الاحتلال البرتغالي ١٨٢-٢٠٩

تغلب عليهم جميعا.

وكتب البوكيرك عن مسقط يقول:

إن مسقط مدينة ضخمة كثيرة السكان، وفيها بساتين وحدائق ومزارع للنخيل وبرك من الماء لريها بواسطة محركات خشبية، أما ميناؤها فصغير وله شكل حدوة الحصان، يوفر الوقاية من كل الرياح... كانت مسقط في الآونة الأخيرة سوقا لنقل الخيول والتمور، وهي مدينة على درجة كبيرة من الأناقة والجمال، ومنازلها بديعة جدا، تُموّن من المناطق الداخلية بكميات كبيرة من القمح والذرة والشعير والتمور، تكفي لتحميل كل السفن التي تأتي لابتياعها.

وفي اليمن:

قرر البوكيرك أن يعدّ إسطوله ويبحر بحملة عسكرية كبيرة نحو البحر الأحمر وانطلقت الحملة في شباط سنة ١٥١٣م باتجاه عدن.

في هذه المرحلة كانت اليمن تحت حكم عبد الوهاب الطاهري.

أما عدن فقد كانت حينذاك تحت حكم الأمير مرجان الظافري (أو الظفاري) وشاهد بعض السكان طلائع الإسطول البرتغالي وأرعبهم منظره وعلموا إن عدن ستُهاجم، فجهزوا زورقا سريع الحركة، وأوفدوا به مجموعة منهم تمكنوا من الوصول إلى عدن في منتصف الليل قبل وصول القوة البرتغالي إلى هناك، وتوجه الوفد إلى مقر الحاكم مرجان الظافري واخبروه بأمر القوة البرتغالية، فساد الاضطراب والهلع سكان المدينة بسبب ما سمعوه عمّا فعله البوكيرك بإخوتهم في الساحل العماني وسوقطرة

من قبل، فسارع قباطنة السفن الموجودة بالميناء إلى الأمير مرجان وطلبوا منه السماح لهم بإفراغ حمولتهم على وجه السرعة وترك الميناء، لكنه رفض ذلك. ويبدو إن خطته كانت إبقاء السفن التجارية بالميناء لتشكل حاجزا يمنع البرتغاليين من الاقتراب نحو ساحل المدينة. وفي ليلة ٢٤/ ٣/ ١٥١٣م وصلت سفن البوكيرك أمام مشارف عدن، وكان الأهالي قد أوقدوا النيران على قمم التلال والمرتفعات لتضئ المكان خوفا من النزول البرتغالي ليلا، فانتظر البوكيرك حتى الصباح.

وصلت أنباء اقتراب الإسطول البرتغالي من عدن إلى مسامع السلطان عامر بن عبد الوهاب[١]، الذي كان حينذاك في مدينة (زبيد)، فأمر بتجهيز جيش لإرساله للدفاع عن عدن، كما أمر باتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية الموانئ الأخرى التابعة لسلطته، وعمل أيضا على تهيئة شعبه وتعبئته من خلال الأدعية والصلاة.

وفي صباح يوم الجمعة، الموافق ٢٥/ ٣ / ١٥١٣م، انتظر البوكيرك أمام ميناء عدن ولم يقم بأية حركة عسكرية، وإنما ظل يراقب أسوار المدينة وتحصيناتها الطبيعية الهائلة ويفكر في كيفية اقتحامها لذلك، كان قد احضر معه مسبقا بعض السلالم التي صُنعت فيما يبدو لهذه المهمة، مما يدل على انه كان على علم بأسوار المدينة وكيفية اقتحامها بعد النزول إلى البر، وفي الوقت نفسه، كان الأمير مرجان الظافري يفكر في كيفية مواجهة هذه المشكلة، وقرر أن يتخذ مبادرةً باستباق الهجوم على الإسطول البرتغالي،

١ حاكم اليمن في ذلك الوقت

ولكنه لم يفعل ذلك بسبب تهاون البعض من معاونيه.

وعند الظهيرة أمر البوكيرك بعض رجاله على متن سفينتين بالتقدم إلى الميناء لجسّ نبض قوة المدينة واختبار قوة المراكب التي تقف هناك والتحقق عمّا إذا كان بها مقاتلون أو أسلحة، فلم يعثروا على شئ. وقامت القوة الإستطلاعية البرتغالية بسلب بعض السلع التجارية الموجودة بالمراكب، فلم يتعرض لهم احد. وقرر الأمير مرجان إرسال وفد للتفاوض مع البوكيرك لمعرفة نياته وسبب حصاره لعدن، وأرسل مع الوفد هدية من الخراف والفواكه.

ردّ البوكيرك على الوفد اليماني بأنه قائد قوات الملك عمانوئيل وانه في طريقه لإحتلال جدة لمقارعة الإسطول المملوكي المرابط في السويس، وطلب من أمير عدن إعلان ولائه لملك البرتغال وفتح أبواب المدينة لدخول الجيش البرتغالي، وهدد بتهديد السفن الراسية في الميناء ودخول المدينة عنوة في حال رفض الأمر، كما أمهل المفاوضين حتى نهار اليوم اللاحق للرد عليه، وعندما لم يصل الرد من داخل مدينة عدن التي يبدو إن زعيمها قرر الصمود والقتال، نزل الجنود البرتغاليون بواسطة الزوارق الصغيرة التي استولوا عليها من الميناء، وكانت معهم سلالم كبيرة نصبوها على أسوار المدينة. وكان اكبر الأرتال المهاجمة هو الرتل الذي يقوده الضابط (غراسيا دي نورنها) المكون من وحدات مشاة وفرسان، الذي أمره البوكيرك بمهاجمة بوابة سور المدينة الرئيسة التي تتواجد بها قوات الدفاع عن المدينة المسلحة ببعض المنجنيقات، وهنا اصدر (دي نورنها) أوامره بالهجوم واندفع الجنود البرتغاليون لوضع السلالم على الجدران الأقصر

طولاً، وباشروا من هناك للوصول إلى أعلى الأسوار في المدينة. وفي الوقت نفسه بدأت فصائل أخرى من الجيش البرتغالي بمهاجمة سور المدينة الرئيس المطل على الميناء من اجل تحطيمه واقتحام المدينة، ولاقت هذه القوة مقاومة من أهل عدن الذين قاوموهم ومنعوهم من وضع العلم البرتغالي على الجدار، ورموهم بالحجارة من أعلى السور، وعندما لاحظ البوكيرك إن قوات (دي نورنها) تمكنت من الوصول إلى داخل المدينة أوعز إلى ما تبقى من قواته لاقتحام المدينة تماما، في حين ظل هو ينتظر خارجها. وعندما اكتشف سكان المدينة تلك الثغرة التي تسلق منها (دي نورنها) ورجاله، سارعوا إلى إغلاقها بإرسال مجموعة من الرجال لطرد بقية البرتغاليين الذين كانوا لا يزالون يتدفقون إلى المدينة ونجحوا في طردهم.

ويذكر احد المؤرخين اليمانيين المعاصرين موقفا غريبا من حاكم المدينة مرجان الظافري لا نعلم سببه وهو الذي رفض تسليم المدينة، إذ يقول إن الأمير مرجان الظافري كان قد همّ بترك قتال البرتغاليين وتوجه نحو مقر سلطته، فأشار عليه احد رفاقه إن ذلك لا يُنجيه في حال إحتلال البلد وعليه أن يخرج لمقاتلة البرتغاليين، فإن نصرهُ الله عليهم نال بذلك عزاً عند الله وعند السلطان، وان لم يتحقق النصر فسيفوز بالشهادة ويموت موتا كريما فركب مرجان فرسه وخرج مع جماعة قليلة من أصحابه وعندما رأى الناس أميرهم على فرسه يقاتل البرتغاليين دبت العزيمة فيهم وقاتلوا معه بعد أن أوشك البرتغاليون على هزيمة اليمانيين، ولكن الأمور تغيرت بعد هذا الموقف.

أما القسم الثالث من الجيش البرتغالي فقد كان بقيادة القائد

(فيدالجو) الذي احتل موقعا وسطا بين رتل البوكيرك ودي نورنها، وتسلق السلالم أيضاً، ولكنه تراجع ولم ينجح في دخول المدينة بسبب ثقل جنوده وشدة رمي أهل المدينة وتحطم السلالم. وظل دي نورنها في وسط المدينة دون بقية الجنود البرتغاليين، فجاءه الأمير مرجان ومعه نحو مائة فارس قاتلوا البرتغاليين بشجاعة كما تذكر المصادر، فهرب دي نورنها وتوارى خلف جنوده وأُصيب في المعركة، مما اضطر جيشه إلى التراجع، فبدأ ما تبقى من جيشه بالتقهقر هاربين وتوجهوا لاعتلاء أسوار المدينة للعودة من حيث أتوا، فتكدست جموعهم بغير نظام هناك ولم يكن لديهم سلالم، فألقوا بأنفسهم إلى الساحل وهم مثقلون بالحديد، وبقيت مجموعة منهم محاصرة بين السورين الخارجي والداخلي للمدينة، فسقطوا في الفخ، فقد سبق للأمير مرجان الظافري أن أمر بجلب قصب وحرقه ليحترق فيه المُحاصَرون وفعلا احتلت قوة الفرسان العرب الأسوار التي يعرفون مداخلها ومخارجها وهم يحملون الحطب والزيت والنار، وعندما رأى الجنود البرتغاليون النار مشتعلة أدركوا إن هلاكهم أمر لا محالة فيه، فتراكضوا صاعدين بكل ما أوتوا من قوة ولكن دون جدوى، إذ حوصروا ونالت النار عددا كبيرا منهم، وقُتل هناك الضابط (غارسيا دي سوزا)، وهو احد قادة السرايا، وأُبيدت سريته بالكامل داخل المدينة بين السورين. أما بقية الجنود الذين كانوا بقيادة البوكيرك فقد حاولوا تسلق السور أيضا لكنهم فشلوا في محاولاتهم لإنقاذ الموجودين بالداخل، حينذاك بدأ اليمانيون بإطلاق بعض القذائف بالمنجنيق من على قمة جبل (صيرة) فقُتل وجُرح العديد من البرتغاليين قرب سور المدينة أيضا، مما دفع البوكيرك أن يأمر

رجاله بالانسحاب السريع إلى السفن والابتعاد عن الساحل حالا لتفادي الهزيمة التامة.

نتيجة المعركة:

بعد انتهاء المعركة غنم اليمانيون دروع القتلى البرتغاليين وأسلحتهم، كما اسروا عددا كبيرا من الجنود الهاربين، وكانت نتيجة المعركة مذبحة كبيرة لجنود البوكيرك داخل المدينة وعند الساحل أمام السور، أما عدد القتلى البرتغاليين في المعركة، فإن المصادر تتضارب في هذه النقطة، فالمصادر العربية تذكر إن عددهم بلغ نحو عشرين ألفاً، في حين تذكر المصادر الأجنبية إن عددهم لم يكن ليتجاوز المائة جندي، ومن العرب نحو خمسين فارسا.

وانتقاما من أهالي المدينة قام البوكيرك بإرسال جنوده مرة أخرى لسرقة محتويات المراكب الراسية في المرفأ اليمني، ثم قام بإحراقها كلها، وكانت نحو أربعين سفينة، ثم استولى على موقع (جار البندق) قبالة عدن واستولى على ما به من أسلحة ومنجنيقات ليؤمن انسحابه من دون خسائر كبيرة، وليضمن استغلال هذا الموقع الحيوي المطل على ميناء عدن حين عودته من جديد مستقبلا، ثم دخل البوكيرك باب المندب بصعوبة كبيرة بسب كثرة عدد سفنه ولصعوبة الملاحة عند هذا المضيق كما سبقت الإشارة لذلك، أرسل اولاً فرقة استطلاع تكونت من سفينة على متنها عشرون برتغاليا ومعهم يهودي للترجمة ولكن البوكيرك لم يستطع فعل شئ في الموانئ المطلة على باب المندب بسبب تخوفه من وجود جنود السلطان عامر

بن عبد الوهاب الطاهري الذين كانوا مستعدين لقتال البرتغاليين، وكان الأخير قد أمر جنوده بعدم التعرض للإسطول البرتغالي حتى يغادروا بسلام.

وفي أواخر نيسان ١٥١٣م وصل البوكيرك بسفنه إلى جزيرة كمران واستولى على أربع سفن محملة بالتوابل الهندية، إحداها تخص السلطان قانصوه الغوري، فاخذ السلع بالغصب وقطع آذان البحارة وجدع أنوفهم، ثم احرق السفن انتقاما، ومكث في كمران بضعة أيام، وكانت تلك أول مرة يدخل فيها إسطول برتغالي البحر الأحمر.

في هذه الأثناء وصلت أنباء الغزو البرتغالي للبحر الأحمر مسامع السلطان المملوكي قانصوه الغوري، فأمر بتحصين ميناء جدة تحصينا جيدا، لكن الأحوال الداخلية المضطربة منعته من إرسال حملة بحرية سريعة لمواجهة البوكيرك، وذلك لأن الإسطول المملوكي كان لا يزال في طور الإعداد في السويس ولم يكن جاهزا في ذلك الوقت، كما إن أنباء التحركات العدائية بين الصفويين والعثمانيين قرب الحدود الشمالية الشرقية المملوكية كانت تقلقه أيضاً، وقد ذكرت في موضوع الدولة الصفويه والإتفاق بين البرتغاليين والصفويين في الهجوم على جده والمشاعر المقدسة.

أهداف الحملة

كان البوكيرك يهدف من وراء دخوله البحر الأحمر إلى مهاجمة جدة، ومن ثم الوصول إلى المدينة المنورة ونبش قبر الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم تنفيذا لوصية الملك عمانوئيل باقتلاع جذور الإسلام وضربه في

عقر داره وتركزت خطته التي أراد تنفيذها على النحو الآتي:

العمل على تجهيز (٤٠٠) فارس برتغالي من بحّارة الإسطول وإنزالهم في ميناء ينبع بعد الحصول على الخيول من الحبشة، ومن هناك يتجه الفرسان إلى المدينة المنورة حيث مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) لنبش قبره الشريف والاستيلاء على كل الكنوز الإسلامية الثمينة في المسجد ونقلها مع جسد الرسول (صلى الله عليه وسلم) خارج الحجاز تماما، وبذلك يستطيع ملك البرتغال مساومة المسلمين بافتداء الجسد الشريف مقابل تسليم كنيسة القيامة في القدس لهم.

الفكرة الثانية من دخول البوكيرك البحر الأحمر، أن يفتح طريقا، أي قناة بين جبال البحر الأحمر والنيل لتحويل مجرى النهر الكبير ليصب في أراضي الحبشة فقط، ليحرم مصر منه ويجعلها تموت عطشا.

ولذلك، ظل البوكيرك طويلا في جزر كمران ـ كما يقول ـ لتصله مجموعات العمال الكبيرة التي طلبها من جزر ماديرا لقطع صخور البحر الأحمر وتحويل مجرى نهلا النيل. ويقول البوكيرك إن ملك الحبشة كان يتحرق شوقا لرؤية هذا المشروع ينفذ على يد البوكيرك.

ولكن أحلام البوكيرك ذهبت أدراج الرياح بسبب عاصفة هوجاء حطمت جزءا من سفنه وشتت الباقي، وبسبب إصابة عدد من رجاله بالأمراض أيضا وموت بعضهم نتيجة الظروف المناخية القاسية للبحر الأحمر وندرة المياه والطعام. ويروي البوكيرك أيضا قصة ذلك التحذير السماوي الذي شاهده عيانا هو وجيشه ليلا حينما كان يضع خطة الهجوم على جدة صباح اليوم اللاحق. وتمثل ذلك التحذير بلمعان من الوهج

واللهب لم يلبث أن تحول إلى كتلة من النار المخيفة في السماء فوق الحجاز والمدينة المنورة بالذات، ثم تقدم هذا اللهب ـ كما يقول البوكيرك ـ وتوقف فوق سفن البرتغاليين لمدة قصيرة، ثم تحرك سريعا صوب الحبشة واختفى هناك. فأصيب البرتغاليون بالذعر من تلك المعجزة، ولم يلبث البوكيرك أن اصدر أوامره بالعودة حالا، وقفل راجعا إلى الهند خائبا بعد أن ذاق الامرّين بسبب تحصينات عدن الطبيعية ومقاومة أهلها له ومقتل عدد من رجاله. أما إنقاذ المدينة المنورة فيعزوها بعض المؤرخين إلى العناية الإلهية في حال تصديقنا لرواية البوكيرك.

وفي طريق عودته أرسل البوكيرك سفينتين من سفنه لاستكشاف ميناء (زيلع)، وهناك احرقوا سفينتين راسيتين للتجار المسلمين. ثم نزل البوكيرك بجنوده في جزيرة بريم الصخرية في مدخل البحر الأحمر ولم يجد بها شيئا. وهنا حاول مهاجمة عدن مجددا ليحقق مكسبا مهما يعوض به فشله الأول أمام عدن، وفشله الثاني أمام جدة، لكنه وجد تحصينات الميناء أكثر من ذي قبل. وخلال أسبوعين حاول أن يقصف الميناء من بُعد، لكن قنابل مدافعه لم تُحدث ضررا كبيرا. لذا قرر إنزال جنوده بالزوارق ليلا لمهاجمة البلدة، فتنبه أهل عدن وخرجوا لهم واشتبكوا معهم وهزموهم وقتلوا منهم عددا وجرحوا عددا آخر، وهنا تسرب اليأس إلى نفس البوكيرك وتأكد انه لن يتمكن من تحقيق شئ في عدن واليمن بسبب استبسال أهلها في الدفاع عن بلادهم وصعوبة تحصينات عدن وصعوبة الإبحار في البحر الأحمر كذلك، وأدرك عدم جدوى البقاء هناك، فعاد أدراجه إلى الهند خائبا في ١٥١٣م.

وفاته

تمكن ألبوكيرك قبل وفاته من كتابة رسالة للملك يشير فيها بأدب مقنع إلى أعماله من أجل الإمبراطورية طالباً منه منح جميع الألقاب والتكريم الذي يستحقه لابنه من بعده، تأثر الملك وفعلا منح ابن ألبوكيرك ما طلبه أبوه بالكامل وكُرّم بشخص ابنه "برأس دي ألبوكيرك" (١٥٠٠م - ١٥٨٠م). وقد جمع ابنه مختارات من كتابات ومذكرات أبيه في كتاب أسماه "أقوال ألفونسو دي البوكيرك العظيم ".

وقد استعمرت البرتغال البحرين وعمان والهند وأندونيسا وأجزاء كبيرة من شرق اسيا.

* * * *

معاهدة سايكس بيكو

الزمان / ١١ جمادى الأولى – ١٣٣٤هـ

المكان / مدينة بطرسبرج - روسيا

الموضوع / الدول الاستعمارية الكبرى تقسم أملاك الدولة العثمانية

الأحداث /

لقد التقت رغبات الشيطان مع الصهاينة والصليبيين في غرس الأفعى اليهودية في قلب الأمة المسلمة وبالتحديد في الأرض المقدسة وبدأ المخطط اليهودي الأوروبي في طريق التنفيذ ولكنه اصطدم بعقبة كؤود ألا وهي الخلافة العثمانية التي مازالت رغم ضعفها الشديد تحمي وحدة العالم الإسلامي فقرر التحالف الصهيوني الصليبي إسقاط الخلافة العثمانية عن طريق إسقاط الخليفة القوي عبد الحميد الثاني ثم إحداث انقلاب عسكري ثم وعود خادعة وبراقة للشريف حسين أمير الحجاز ليكون هو خليفة عربي بدلاً من الخليفة التركي وهكذا سار المخطط اليهودي في طريقه حتى أدي في النهاية لسقوط دولة الخلافة العثمانية.

وفي الوقت الذي كانت فيه الحكومة البريطانية تتصل بالشريف حسين وتبذل له الوعود بدولة عربية مستقلة يكون خليفة عليها كان هناك تجهيز وإعداد لعقد مفاوضات ومؤتمرات إنجليزية فرنسية روسية في مدينة بطرسبرج أسفرت عن توقيع اتفاقية سايكس بيكو لاقتسام الفريسة 'تركة الرجل المريض' وأسفرت هذه الاتفاقية عن تخصيص القسطنطينية مع

أراضي واسعة على جانبي البوسفور وشرق الأناضول والمناطق المتاخمة لروسيا وأصبح العراق وفلسطين والأردن لإنجلترا والبلاد السورية مع جزء كبير من جنوب الأناضول لفرنسا، وتولى الاتفاق 'مارك سايكس' عضو البرلمان الإنجليزي و'جورج بيكو' قنصل فرنسا في بيروت، وتم اعتماد هذا الاتفاق على خرائط مرسومة ترسم الحدود المقتسمة بين الدول الغاصبة.

كان من ملحقات هذه الاتفاقية أن يتم منع تسليح العرب وقد ظهر أثر ذلك البند في حرب سنة ١٩٤٨م/ ١٣٦٨هـ حيث استطاع اليهود جلب السلاح من أوروبا وأمريكا في الوقت الذي منعت فيه أوروبا 'إنجلترا وفرنسا وروسيا وتشيكوسلوفاكيا' السلاح عن العرب في حين باعت بعض المصانع الإيطالية السلاح الفاسد الذي قتل حامله في حرب ١٩٤٨م في قضية السلاح الفاسد الشهيرة.

ظلت اتفاقية سايكس بيكو سرية لم تنشر إلا في شهر ١١ سنة ١٩١٧م / ١٣٣٦هـ على أثر قيام الثورة البلشفية وعندها كتبت بريطانيا للشريف حسين مؤكدة أن شيئاً من ذلك لم يحدث وأن مثل هذه الاتفاقية لا وجود لها وأن تلك الصورة المنشورة لم تكن إلا مجرد محادثات قبل قيام الحرب وصدق الشريف الأكذوبة وانطلت عليه المؤامرة وواصل العدو تنفيذ مخططاته في غيبة الوعي الإسلامي[١].

* * * *

١ موقع مفكرة الإسلام

الإستعمار البريطاني في الوطن العربي

تاريخ الأوربيين مع الدول العربية والإسلامية - عامة - في هذا العصر مليئ بالخبث والحقد والمؤامرات المتنوعة في أماكن شتى من بلاد الإسلام. فما من مصيبة تحل بهم إلا وتجد من ورائها كيد الإنجليز وتدبيرهم، والشواهد على هذا كثيرة لاأظنها تخفى على متابع.

لمنطقة الخليج العربي الإستعمار البريطاني

نجحت بريطانيا في القضاء على النفوذ البرتغالي في منطقة الخليج العربي، عقدت أول معاهدة ذات طابع سياسي مع سلطان أحمد (سلطان مسقط) سنة ١٧٩٨م، ولم يكد القرن التاسع عشر ينتهي حتى كانت بريطانيا قد عززت نفوذها في الخليج العربي حيث ارتبطت جميع إمارات ساحل الخليج العربي وهي والبحرين وقطر والكويت بمعاهدات سياسية مع بريطانيا كما أخضعت الساحل العماني لنفوذها عام ١٨٢٠م.

رتَّبت بريطانيا أوضاعها في الخليج العربي بعد الاتفاقيات التي أبرمتها مع المشيخات القبليَّة في هذه المنطقة، وبالأخص عندما بدأت هذه المشيخات تتحول إلى وحدات سياسية أو دويلات صغيرة تحت الحماية البريطانية، وقد كانت هذه الاتفاقيات تجدَّد سنويًا حتى عام ١٨٤٣م حيث عقدت معاهدة جديدة لمدة عشر سنوات. وفي عام ١٨٥٣م تم توقيع اتفاق دائم بين شيوخ القبائل وبريطانيا يقضي بأن يكون الحفاظ على السلام في هذه المنطقة تحت الإشراف البريطاني.

أمَّا سلطنة مسقط أو عُمان -التي كانت إمبراطورية من أهم الإمبراطوريات الشرقية أثناء العقدين الرابع والخامس من القرن التاسع عشر، وتسيطر على الساحل الإفريقي من ميناء (لامو) في الشمال إلى ميناء (كيلوه) في الجنوب فقد انقسمت في عام ١٨٦١م إلى سلطنتين هما: مسقط وزنجبار ؛ كنتيجة مباشرة للتدخل البريطاني الذي نجح في النهاية من فرض الحماية البريطانية على مسقط.

اليمن

بدأت بريطانيا نفوذها في اليمن باحتلال جزيرة بريم في مدخل البحر الأحمر سنة ١٧٩٩م، ونظرا لأهمية عدن كمفتاح البحر الأحمر قامت عام ١٨٣٩م باحتلالها بعد مقاومة عنيفة من السكان.

احتلت بريطانيا مدينة عدن لمدة ١٢٠ عاماً وتوسع الاحتلال خلال تلك الفترة ليشمل بمعاهدات حماية جميع مناطق اليمن الجنوبي.

مصر

كانت مصر كغيرها من بلاد العالم الإسلامي تحكمها الدولة العثمانية، وكانت تُحكم بالشريعة الإسلامية، وترتكز في أمورها على الإسلام بوجود الأزهر، وهيئة كبار العلماء.

- قام الفرنسيون بقيادة نابليون بونابرت بحملتهم على مصر عام ١٧٩٨م، بعد أن مهدوا لذلك بإرسال الجواسيس الذين يدرسون وضع

البلاد ومدى قابليته للاحتلال.

ولكنهم لم يفلحوا في البقاء فيها سوى ٣ سنوات نظرًا لاتحاد أهل البلاد ضدهم، ووقوفهم صفًا واحدًا تجاه حملتهم، رغم تطمينات نابليون الكثيرة لهم بأنه لا يريد الإسلام بسوء !

- كرر الإنجليز ما قام به الفرنسيون ؛ فأرسلوا حملة عسكرية بقيادة " فريزر" لاحتلال مصر؛ لكنها باءت بالفشل أيضاً ؛ للأسباب نفسها.

- استمر العثمانيون يحكمون مصر من خلال الولاة الذين يعينونهم واحداً تلو الآخر، ولكن الشعب المصري لا يرتضيهم لظلمهم وتعسفهم.

- إلى أن عينت الدولة العثمانية (محمد علي باشا) والياً على مصر بعد أن اختاره الشعب والعلماء والوجهاء - بإذن مسبق من الدولة العثمانية- مشترطين عليه أن يحكم بالعدل !

- انشغل (محمد علي باشا) بالأمور العسكرية التي كان من أهمها: حملته الظالمة على أهل الدعوة السلفية في الجزيرة العربية (الدولة السعودية الأولى)، وحملته على السودان، وغيرها من الحملات العسكرية.

- جاء بعده سعيد بن محمد علي (من١٨٥٤م إلى ١٨٦٤م) وفي عهده: تم منح امتياز شق قناة السويس لصديقه المهندس الفرنسي " دي ليسابس " بشروط مجحفة جرَّت على بلاد مصر الويلات فيما بعد. وفي عهده أيضاً بدأت مشكلة الديون حيث بدأ يستدين من الغرب بفوائد ربوية لينجز قناة السويس وغيرها من الأعمال المرهقة لميزانية البلاد دون فائدة كبيرة تجنى منها.

- جاء بعده: الخديو إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي (من١٨٦٣م إلى ١٨٧٩م).

وفي عهده افتتحت قناة السويس، وتضخمت الديون التي كان يستدينها لينفقها بإسراف على أمور شكلية أولافائدة منها للبلاد ؛ مما اضطره لبيع نصيب مصر من القناة على الإنجليز !!

وفي عهده بدأ تدخل الدول الأوربية في البلاد بشكل سافر بدعوى حماية حقوقها المالية ؛ إلى أن وصل الحال إلى فرض وزيرين أوروبيين ضمن تشكيلة الوزراء ! إضافة إلى تدفق الأجانب في عهده على مصر، وإقامة محاكم خاصة بهم.

- كان رئيس الوزراء في عهد إسماعيل: القبطي النصراني ! نوبار باشا الذي كانت ميوله وعواطفه إلى جانب بريطانيا.

- تم عزل الخديو إسماعيل من قبل الدولة العثمانية بعد ضغوط إنجليزية لأنه بدأ يعارض بعض قراراتها.

- تولى الحكم بعده ابنه الخديو توفيق (١٨٧٩م -١٨٩٢م).

- كان وزير الحربية في عهد الخديو توفيق: (عثمان رفقي)، وهو شركسي متعصب قام بعدة أعمال ظالمة ضد الجنود والضباط المصريين؛ كمنعهم من الترقيات وغيرها. مما دفع بأحمد عرابي (وهو أحد المتأثرين بدعوة الأفغاني ومحمد عبده) أن يثور ضد هذا الظلم ويطالب بإقالة عثمان رفقي، فاستجيبت مطالبه بعد عدة أحداث ومنازعات.

- لم يكتف عرابي بما تحقق ؛ إنما اغتر بمن حوله وظن أنه ممثل

الشعب، مما أداه إلى الاستطالة على ولي أمره، والخروج بمظاهرة ضده.
- كان الإنجليز يشايعهم الفرنسيون يرقبون الأحداث بغبطة وسرور! وكانوا يوعزون من خلف ستار إلى عرابي أن امض في طريق " الإصلاح "، ولا تخش أحدًا! ومن ذلك ما ذكر محمد عبده في مذكراته عن الثورة العرابية - وهو أحد أقطابها - من أن قنصل فرنسا (أرسل إلى أحمد عرابي وإخوانه يقول لهم: إنه يسره ما يراه من صلابتهم وعزيمتهم، واشتدادهم في المطالبة بالعدل، فعليهم أن يثبتوا في مطالبهم ولا يُضعفهم ما يُهَددون به)[1] !.

و(أرسل إلى عرابي كتابًا يمدحه فيه على ثباته، ويشجعه على عدم المبالاة بالحكومة)[2].

أما إنجلترا فكانت تفعل الأمر نفسه بل أشد، من خلال جاسوسها المدعو: " بلنت " الذي كان يجوس بلاد مصر يؤلب الناس على الحكم، ويراسل عرابي ويستحثه على مواصلة الضغط على الحكومة لعلها تستجيب لمطالب "الإصلاح"!، وهدفه الحقيقي فصل مصر عن الدولة العثمانية تمهيدًا لاحتلالها.

- أحس الخديو توفيق بالخطر فلجأ إلى الإسكندرية طالباً من الإنجليز المتربصين بسفنهم في البحر حماية عرشه ! مع ضغطه هو والإنجليز على السلطان العثماني لإصدار منشور في عصيان عرابي ؛ لكي ينفض الناس عنه.

---

١ الأعمال الكاملة لمحمد عبده، ١/ ٥٢٨، ٥٣١

٢ مصر المجاهدة في العصر الحديث، عبد الرحمن الرافعي، ص ٣٤

- افتعل الإنجليز مذبحة للنصارى في الإسكندرية ليتخذوها ذريعة لاحتلال مصر عام (١٨٨٢م) بدعوى حماية رعاياهم ! قبل أن تتم المصالحة بين عرابي والدولة العثمانية.

- تعاون بعض من أبناء مصر المنافقون الخونة مع الإنجليز، ومكنوا لهم من احتلال البلاد بعرض من الدنيا قليل !

- لم يستجب عرابي للناصحين الذين حثوه على سد قناة السويس لكي لا يتسلل منها الإنجليز إلى عمق الأراضي المصرية ؛ منخدعاً بتطمينات المهندس الفرنسي صاحب امتياز القناة.

- قضي على الثورة العرابية بعد أن أوقعت البلاد بيد الاحتلال الإنجليزي، الذي استمر أكثر من ٧٠ عاماً !! (١٨٨٢م – ١٩٥٦م). رغم ادعاءاتهم وتصريحاتهم المتكررة بأنهم سيخرجون حالما يعود الهدوء والأمن للبلاد !!

- استمر الخديو توفيق في الحكم، ثم جاء بعده عباس حلمي (١٨٩٢م– ١٩١٤م) ثم حسين كامل ابن إسماعيل (١٩١٤م – ١٩١٧م) ثم فؤاد بن إسماعيل (١٩١٧م – ١٩٣٦م)، ثم الملك فاروق ابن فؤاد (١٩٣٦م- ١٩٥٢م). وجميع هؤلاء الحكام لم يكن لهم عقد ولا حل، إنما كانوا واجهة شكلية أمام الناس، وأما السلطة الحقيقية فكانت بيد الإنجليز.

- قام جمال عبد الناصر ومحمد نجيب ومن معهم بثورتهم العسكرية على الحكم الملكي عام (١٩٥٢م) معلنين قيام الجمهورية العلمانية بتواطؤ

وتمكين من الغرب، (لاسيما أمريكا التي رعت ثورتهم منذ البداية)[1].

- رحل الإنجليز عن مصر عام (١٩٥٦م) بعد أن سلموا السلطة لمن يحققون أهدافهم في مسخ البلاد وتغريبها، والقضاء على مظاهر الإسلام فيها ؛ وعلى رأس ذلك إلغاء الحكم بالشريعة وبعد أن تحقق أهم هدف لهم؛ وهو التمكين ليهود من إقامة دولة لهم في أرض فلسطين.

السودان

دخلت القوات البريطانية السودان الذي كان يتبع مصر إداريا منذ ايام محمد علي باشا، بقيادة الجنرال كتشنر، الذي واجه مقاومة كبيرة من رجال القبائل بقيادة محمد المهدي عام ١٨٩٨م.

وقامت معارك انتصر فيها جيش كتنشر وبقيت السودان تحت الإستعمار البريطاني إلى عام١٩٥٦ م.

الصومال

كان البدء مع قدوم قوافل الاحتلال البريطاني للجزء الشمالي من الصومال المعروف حاليا بجمهورية أرض الصومال الغير معترف بها في الأوساط العالمية سنة ١٨٨٤ م والتي استقلت في ١٩٦٠م. هاجمت قوات الاحتلال البريطاني سنة ١٩٠٤م قوات الدراويش التابعة للزعيم الصومالي "سيد محمد بن عبد الله" الذي كان يلقبه البريطانيون ب" الملا

١ ثورة يوليو الأمريكية " لمحمد جلال كشك - رحمه الله -

المجنون "، وتوقع إصابات بالغة بين قواته، وقد استمر الملا في محاربة الاستعمار البريطاني للصومال حتى سنة ١٩٢٠م عندما لجأت بريطانيا إلى الطيران لقصف مواقع الثوار، ثم جاءت وفاة الملا لتضع حدا لثورته الإسلامية.

العراق

أدركت بريطانيا أهمية العراق بالنسبة لمواصلاتها إلى الهند، وزاد اهتمامها به بعد اكتشاف النفط فيه، فدخلت قواتها العراق واحتلت مدينة البصرة سنة ١٩١٤م، ثم دخلت قواتها مدينة الكوت سنة ١٩١٦م، واستطاعت دخول بغداد واحتلالها سنة ١٩١٧م بقيادة الجنرال ستانلي مود، ودخلت فيما بعد الموصل عام ١٩١٨م بدون قتال. ظلت بريطانيا تسيطر على العراق تحت اسم الانتداب البريطاني. حدثت في العراق عدة ثورات ضد الإنكليز ومنها ثورة العشرين سنة ١٩٢٠م، وثورة مايس سنة ١٩٤١م. ظل التواجد البريطاني مهيمناً على العراق في ظل الحكم الملكي حتى اندلاع ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م حيث ألغيت الملكية في البلاد، وأُعلنت الجمهورية بقيادة عبد الكريم قاسم.

فلسطين

ونظرا لأهمية فلسطين الدينية ولما لها من موقع جغرافي مميز تربط فيه القارة الآسيوية بالأفريقية بالإضافة لأطلالها على البحر المتوسط ووجود موانئ كبيرة فيها مثل حيفا لتصدير النفط من الحقول العراقية، قامت

بريطانيا باحتلال فلسطين، ودخلت مدينة غزة في بادئ الأمر عبر مصر، بعد معارك مع القوات العثمانية، ثم بئر السبع ويافا، إلى أن دخلت القدس عام ١٩١٧م بقيادة الجنرال اللنبي.

وأعلن الانتداب البريطاني رسميا على فلسطين في مايو ١٩٢١م والذي استمر لغاية مايو ١٩٤٨م، وضمت له منطقة شرق الأردن (لكنها لم تُشمل بمبادئ الانتداب أو وعد بلفور[١]). ثار الشعب الفلسطيني ضد كل من الإنجليز وموجات المهاجرين اليهود، وقامت عدة ثورات كبرى كان من أهمها ثورة وإضراب عام ١٩٣٦م والذي استمر ثلاث سنوات متتالية. انتهى الانتداب البريطاني على فلسطين بأعلان دولة إسرائيل في ١٤ مايو ١٩٤٨م، والذي كان يهيئ لولادة هذا الكيان على أرض فلسطين طيلة سنوات الانتداب وماقبلها. وقد افتعلت هذه الدولة من المجازر بالفلسطينين مايصعب الكلام لسرده هنا وهذا الإستعمار باقي إلى وقتنا هذا عجل الله بزوالها.

الأردن

حرصت بريطانيا على أن يكون شرق الأردن من نصيبها عند تقسيم

---

١ يشير فيها إلى تأييد الحكومة البريطانية لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، حين صدر الوعد كان تعداد اليهود في فلسطين لا يزيد عن ٥٪ من مجموع عدد السكان، وقد أرسلت الرسالة قبل أن يحتل الجيش البريطانى فلسطين. يطلق المناصرون للقضية الفلسطينية عبارة "وعد من لا يملك لمن لا يستحق" لوصفهم الوعد.

مناطق النفوذ في ((مؤتمر سان ريمو[1])) عام ١٩٢٠م، فأقامت بها إمارة شرق الأردن وعلى رأسها الأمير عبدالله بن الحسين سنة ١٩٢١م ودخلت بوتقة الانتداب البريطاني سنة ١٩٢٣م.

المغرب

قامت بريطانيا باحتلال مدينة طنجة الاستراتيجية شمال المغرب ومنطقة جبل طارق لتمكينها من السيطرة على المنفذ الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

* * * *

١ في عام ١٩٢٠ تم توقيع معاهدة سان ريمو التي حددت مناطق النفوذ البريطانية والفرنسية في المشرق العربي.

الإستعمار الفرنسي للدول العربية

إستعمار الجزائر

تعرضت الجزائر للغزو الفرنسي في عام ١٨٣٠م، ويعود الطمع الفرنسي في الجزائر إلى عهد نابليون، حيث كان يعتبر الجزائر سوقًا خارجية ضرورية لتطوير الصناعة الفرنسية ؛ ولذلك قررت فرنسا احتلال الجزائر ولم يبقَ أمامها إلاَّ الذريعة المناسبة للغزو. ووجدت فرنسا ضالتها عندما عجزت الجزائر عن سداد دينها لفرنسا، وحدثت بينهما تجاذبات ثُمَّ منازعات، وفي إحدى هذه المنازعات قام حسين باشا والي الجزائر بضرب القنصل الفرنسي بمروحة كانت في يده، واتخذت فرنسا هذا الحادث التافه مبرِّرًا لاحتلال الجزائر. ومن ثَمَّ فرضت فرنسا الحصار على ميناء الجزائر في شهر يونيو ١٨٢٧م والذي استمر حتى عام ١٨٣٠م، حيث تم اجتياح الجزائر عسكريًّا بقُرابة ستين ألفًا من الجنود الفرنسيين، ودارت معركة غير متكافئة انتهت بتوقيع حسين باشا وثيقة استسلامه. وفي صباح يوم ٥ من يوليو ١٨٣٠م دخلت القوات الفرنسية إلى مدينة الجزائر، وقد استغرق إخضاع كافَّة المدن الجزائرية أربعين عامًا كاملة ؛ بسبب مقاومة الشعب الجزائري الباسلة.

استمر هذا الاحتلال الاستيطاني مائه وثلاثين سنة إلى غاية ١٩٦٢م.

إستعمار تونس

ادعت فرنسا أن بعض القبائل التونسية تغير على الحدود الجزائرية، فاحتلت تونس وأجبرت الباي على توقيع معاهدة باردو سنة ١٨٨١م وهي معاهدة حوّلت تونس إلى حماية، وبعدها معاهدة المرسى (المرسى: نسبة إلى إحدى ضواحي العاصمة التونسية، حيث تم التوقيع على هذه الاتفاقية بين باي تونس علي باي بن حسين والمقيم العام الفرنسي بول كانبون وذلك بتاريخ ٨يونيو(حزيران) ١٨٨٣م أي بعد حوالي سنتين من فرض [الحماية الفرنسية في تونس] ١٢ماي ١٨٨١م. وقد عمقت هذه الاتفاقية الهيمنة الفرنسية على البلاد التونسية، بعد أن استتب الأمن وتراجع حركة المقاومة).

إستقلال تونس عام ١٩٥٦م

على يد حزب التحرير في تونس، هو فرع لحزب التحرير الذي تأسس سنة ١٩٥٣م في القدس على يد القاضي تقي الدين النبهاني ورئيس مكتبه السياسي في تونس هو عبد المجيد الحبيبي، وترتبط أفكار حزب التحرير في تونس بكافة فروع الحزب في العالم، حيث يدعو إلى استئناف الحياة الإسلامية، ويتبع الفرع التونسي إلى قيادة الحزب المركزية.

عهد بورقيبة:

تعرض أفراد حزب التحرير للمحاكمة في تونس لأول مرة في

أغسطس ١٩٨٣م إذ مثل آنذاك أمام المحكمة العسكرية ثلاثون عضوا البعض منهم عسكريون. وقد صدرت عليهم أحكام وصلت إلى ثماني سنوات.

عهد زين العابدين بن علي:

أقيمت محاكمات للمنتمين للحزب في مارس ١٩٩٠م ومارس ٢٠٠٧ م وأخيرا في يونيو ٢٠٠٩م.

وفي عهد الحكومه التونسيه الجديدة

تم إعطاء التأشيرة للحزب في تونس في ١٧ يوليو ٢٠١٢م بعد الثورة على زين العابدين.

إستعمار المغرب

وقد هبَّت المغرب لنصرة الجزائر بعد وقوعها في براثن الاحتلال الفرنسي، وقد كانت الدولة المغربية في هذه الفترة وحتى منتصف القرن التاسع عشر دولة قوية ومُهابة، وذلك على الرغم من عدم تمكُّنها من تخليص مدينتيها سبتة ومليلة من يد الاحتلال الإسباني، فإنَّ الدولة المغربية هي الدولة العربية الوحيدة التي لم تنضوِ تحت راية الخلافة العثمانية، ورغم ذلك استمرت المغرب في مساندة المقاومة الجزائرية بعد أن عجز الجيش العثماني عن حمايتها.

وبالطبع لم تكن المساعدات المغربية خافية عن المستعمر الفرنسي الذي

اقتنص هذه الفرصة وكشف عن أغراضه الاستعمارية تجاه المغرب، فأقدمت فرنسا على التعجيل بغزو المغرب بحجة إيقاف الإمدادات التي تصل منها إلى الجزائريين فتعينهم على التمرد والمقاومة. وبالفعل استطاع الجيش الفرنسي أن يضع قدمه في المغرب بعد انتصاره على جيشها في معركة وادي إيسلي في ١٨٤٤م، وأُرغمت المغرب على الدخول في معاهدة حماية مع فرنسا وكان الاستقلال عام ١٩٥٥م.

إستعمار سوريا :

بعد أن صدرت قرارات مؤتمر سان ريمو وجهت فرنسا إنذارا إلى الملك فيصل بن الحسين ملك سوريا والعراق تطلب فيه قبول الانتداب الفرنسي وتسريح الجيش السوري خلال ٤٨ ساعة، وقبل أن تنتهي المدة اندفعت القوات الفرنسية وهزمت القوات السورية التي كان يقودها يوسف العظمة في معركة ميسلون واحتلت دمشق سنة ١٩٢٠م، ثم بقية المدن السورية. ثم عمد إلى تقطيع اوصال سوريا فقسمها إلى عدة دول فشهدت سوريا في عهده كما في عهد سلطة الحكام والمفوضين الساميين الفرنسيين لاحقاً حكومات لست دول مستقلة وهم دولة دمشق ودولة حلب ودولة العلويين ودولة لبنان الكبير ودولة جبل الدروز ولكل منها علم وعاصمة وحكومة وبرلمان وعيد وطني وطوابع مالية وبريدية خاصة. وبسبب الرفض الشعبي للتقسيم وعدم الاعتراف به قامت فرنسا في عام ١٩٢٢م بإنشاء اتحاد فدرالي فضفاض بين ثلاث من هذه الدويلات (دمشق وحلب والعلويين) تحت اسم "الاتحاد السوري"، واتخذ علم لهذا الاتحاد

كان عبارة عن شريط عرضي أبيض يتوسط خلفية خضراء. وفي الشهر الأخير من عام ١٩٢٤م قرر الفرنسيون إلغاء الاتحاد السوري وتوحيد دولتي دمشق وحلب إلى دولة واحدة هي دولة سورية، وأما دولة العلويين فقد فصلت مجددا وعادت دولة مستقلة بعاصمتها في اللاذقية. كما جعل لواء اسكندرون إدارة مستقلة. وكان للعلويين حلف خفي مع الفرنسيين كماذكرناه في دولة العلويين.

قمع الفرنسيون الثورات السورية بشدة، وكان قائد الثورة السورية الكبرى (سلطان باشا الاطرش) ممن طاردهم الفرنسيون مما اضطره إلى اللجوء إلى منطقة شرق الأردن جنوب سوريا ثم لجأت فرنسا إلى مهادنة الشعب السوري ؛ بسبب تصاعد الحركة الوطنية السورية ضد الاستعمار، فسمحت للسوريين بالإنشاء الأحزاب، وتم إنشاء أول انتخابات للجمعية التاسيسية السورية البرلمان التي أصدرت دستور عام ١٩٣٠م ؛ فعادت حركة النضال الوطني من جديد ؛ لأن الدستور لم يلب امال وطموحات الشعب السوري، واستمر بالنضال والمقاومة واوقعت العمليات التي قام بها الثوار الكثير من الخسائر بالفرنسيين ؛ مما اضطر فرنسا إلى توقيع معاهدة مع الوطنيين السوريين عام ١٩٣٦م على غرار المعاهدة العراقية البريطانية ١٩٣٠م، ولكن البرلمان الفرنسي لم يوافق عليها، فكان أن تجددت المقاومة وثار السوريين من جديد وبخاصة خلال الحرب العالمية الثانية وشكلوا ضغط كبير فاضطرت فرنسا باعلان استقلال سوريا وتم جلاء اخر جندي عن سوريا عام ١٩٤٦م.

إستعمار لبنان

أما لبنان فقد أعلنت فرنسا استقلاله عام ١٩٤٣م، وشكل رئيس الوزراء رياض الصلح حكومة وطنية عملت على تعديل الدستور، وجعل حق التشريع للمجلس النيابي، فردت سلطات الانتداب على ذلك باعتقال رئيس الجمهورية بشارة خوري ورئيس الوزراء رياض الصلح، مما أثار غضب اللبنانيين الذين ثاروا ضد الفرنسيين، وسقط بعض القتلى، وأجبروا فرنسا على إطلاق سراح المعتقلين. وتابع اللبنانيون نضالهم إلى أن حصلوا على الاستقلال التام ١٩٤٦ م.

مصادر الإستعمار البريطاني والفرنسي:

ويكيبيديا مع التصرف

* * * *

الإستعمار الإيطالي لليبيا

إحتلت إيطاليا ليبيا عام ١٩١١م وهي أول دولة اوروبية استخدمت الطيران في ضرب المدنيين الليبيين ولولا ضعفها النسبي مقارنة بفرنسا وإنجلترا لكان لها نصيب أكبر في عالمنا العربي ولو قدر لدول المحور في الحرب العالمية الثانية ان تنتصر لكان لها شان استعماري أكبر واتسم الإيطاليون في ليبيا بوحشية شرسة ضد المقاومة الوطنية التي حيرت قادة إيطاليا ويشهد على ذلك غراتسياني نفسه وبطولات عمر المختار ورمضان السويحلي والباروني وغيرهم من زعماء مقاومة الاحتلال في ليبيا حيث قبض على الشهيد عمر المختار عام ١٩٣١ م.

وشنق بعد المحاكمة في نفس السنة وكان لهذا البطل مقولات مشهوره، وهو رجل أعزه الله بالجهاد والشهادة[١] منها:-

- نحن لن نستسلم ننتصر أو نموت.

- سيكون عليكم أن تحاربوا الجيل القادم والأجيال التى تليه أما أنا فإن حياتى ستكون أطول من حياةِ شانقى.

- إن الضربات التي لا تقصم ظهرك تقويه.

- من كافأ الناس بالمكر كافأوه بالغدر.

- يمكنهم هزيمتنا إذا نجحوا باختراق معنوياتنا.

- لئن كسر المدفع سيفي فلن يكسر الباطل حقي.

---

١ موقع التاريخ العالمي الاسلامي

- نحن الثوار سبق أن أقسمنا أن نموت كلنا الواحد بعد الآخر، ولا نستسلم أو نلقي السلاح.

- إنني أؤمن بحقي في الحرية، وحق بلادي في الحياة، وهذا الإيمان أقوى من كل سلاح.

- نحن لا نبخل بالموجود ولا نأسف للمفقود

- إننا نقاتل لأن علينا أن نقاتل في سبيل ديننا وحريتنا حتى نطرد الغزاة أو نموت نحن، وليس لنا أن نختار غير ذلك، انا لله وانا اليه راجعون.

- إن السبابة التي تشهد في كل صلاة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لا يمكن أن تكتب كلمة باطل.

- إن وقوعي في الأسر بكل تأكيد بأمرٍ من الله وسابق في علمه سبحانه وتعالى، والآن أنا بين يدي الحكومة الإيطالية الفاشية وأصبحتُ أسيراً عندها والله يفعل بي ما يشاء أخذتموني أسيراً ولكم القدرة أن تفعلوا بي ما تشاؤون، والذي أريد أن أقوله بكلّ تأكيدٍ لم أفكر في يومٍ من الأيام أن أسلم نفسي لكم مهما كان الضغط شديداً. لكن مشيئة الله أرادت هذا، فلا رادّ لقضاء الله.(عند أسره على أيدي الإيطاليّين).

- الحكم حكم الله لا حكمكم المُزيَّف، إنا لله وإنا إليه راجعون (مبتسماً، عند سماعه الحكم عليه بالإعدام شنقاً).

- تلى على منصّة الإعدام آيات: "يا أيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضيةً مرضية، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي".

* * * *

دروس وعبر

- ومع أهمية الدافع الاقتصادي كسببٍ رئيسي للهجمة الاستعمارية على العالم الإسلامي إلاَّ أننا لا نستطيع أن نُغفِل الدافع الديني كمحرِّك مهم في نفوس البعض ؛ طمعًا في أخذ ثأر قديم من الفتوحات الإسلامية التي نجحت في رفع راية الإسلام عاليةً في أقصى العمق النصراني، ولعل أقوى دليل على وجود هذا الدافع الديني لدى البعض هو ما قاله قادتهم أنفسهم.

- فعندما دخل الجنرال الإنجليزي اللّنبي بجيشه إلى القدس في عام ١٩١٦م قال: " الآن انتهت الحروب الصليبية "!!

- وكان أول ما فعله الجنرال جورو بعد دخول جيشه إلى دمشق في عام ١٩٢٠م أن توجّه بزيِّه العسكري وسيفه إلى قبر القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي، ووجَّه له قولته الشهيرة الشامتة:" لقد زعمتَ بعد الحروب الصليبية أننا خرجنا من الشرق ولن نعود. وها قد عدنا، فانهضْ لترانا هاهنا وقد ظفرنا باحتلال سوريا ".

- كما لم يُخفِ المؤرخون المعاصرون هذه الحقيقة، فوصف المؤرخ الفرنسي (إدوار دريو) حادث الاستيلاء على الجزائر: "بأنه كان أوّل إسفين يُدقُّ في ظهر الإسلام "!

وغير ذلك الكثير من الأقوال التي تواترت عن قادة غربيين يسهل على المتأمِّل رؤية ما تحمله في طيَّاتها من مشاعر البغض والكراهية للإسلام والمسلمين.

آثار مابعد الإستعمار على الوطني العربي

لم يتردد منظّرو الاستعمار في حشد وتسخير الوسائل التي كان من شأنها أن تحقق الغاية المرسومة وهي طمس الهوية العربيه الإسلاميه يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله: " الاستعمار الفرنسي صليبي النزعة، فهو - منذ احتل الجزائر- عاملٌ على مَحْوِ الإسلام لأنه الدين السماوي الذي فيه من القوة ما يستطيع به أن يسودَ العالم، وعلى مَحْوِ اللغة العربية لأنها لسانُ الإسلام، وعلى محو العروبة لأنها دعامة الإسلام، وقد استعمل جميع الوسائل المؤدية إلى ذلك، ظاهرة وخفية، سريعة ومتأنية ".

ويقول رحمه الله في موضع آخر: " جاء الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر كما تجيئ الأمراض الوافدة تحمل الموت وأسباب الموت، والاستعمار سُلٌّ يحارب أسباب المناعة في الجسم الصحيح، وهو في الجزائر قد أدار قوانينه على نسخ الأحكام الإسلامية، وعبث بحرمة المعابد، وحارب الإيمان بالإلحاد، والفضائل بحماية الرذائل، والتعليم بإفشاء الأمية، والبيان العربي بهذه البلبلة التي لا يستقيم معها تعبير ولا تفكير "، وأنا أعتبر هذا الكلام للبلاد المُستعمَره كلها ليست فقط الجزائر.

لقد عمل الإستعمار، على ترسيخ مشروعه الثقافي وتحقيقه في واقع المجتمع المسلم، من خلال:

١ ـ محاربة الإسلام :

لقد كانت محاربة العقيدة الإسلامية، وإنهاء تأثيرها على حياة الفرد

والمجتمع الإسلامي، هدفا أساسا عمل الاستعمار الفرنسي على تحقيقه، لأنه كان يدرك أن بقاءه في البلاد الأسلاميه واستمرار سيطرته عليها مرهون بمدى تمكنه من فك الارتباط بين الفرد المسلم وعقيدته الإسلامية، فهو كان يعرف أن هذه العقيدة هي التي ظلت تستحث الشعوب على الثورة ضد المحتلين والعمل على تحرير البلاد من سيطرتهم، منذ الفتح الإسلامي إلى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي.. لذلك لم يتردد الاستعمار منذ البدايات الأولى، في توجيه سهام الهدم إلى العقيدة الإسلامية.

٢ـ محاربة اللغة العربية :

لم يكن الإستعمار غافلا عن دور اللغة العربية في حياة المسلمين، باعتبارها الوسيلة إلى فقه الدين ومعرفة أحكامه والاطلاع على تعاليمه، ولكي يتم له فصل المسلمين عن دينهم، كان لا بد من فصلهم عن وسيلتهم لتعلم الدين وتطبيقه وهي اللغة العربية.. لذلك لم يتوان الإستعمار منذ البداية في إعلان الحرب على اللغة العربية، من خلال العمل على غلق الكتاتيب القرآنية ومكافحة التعليم العربي والتضييق على كل ما من شأنه أن يبقي على اللغة العربية ويحافظ على وجودها.. وفي المقابل ألزم الاستعمار المدارس بتعليم اللغة الفرنسية والإنجليزيه وهذا مستمر إلى الآن، والنتيجه خرجت أجيالاً ضعيفة في اللغة العربية لاتستطيع معرفة معاني القرآن أوتفسير الحديث.

٣ ـ تحريف التاريخ وطمس الهوية الحضارية العربية

عمل الإستعمار منذ دخوله البلاد العربية على طمس التاريخ

الإسلامي الحافل، وحرص على نسيان الشعب المسلم لأمجاده، وعلى تصوره للحقائق مقلوبة أو مشوهة، حتى تضعف فيه ملكة التأسي ثم تموت، ولذلك كان يحارب التاريخ الإسلامي والتاريخ العربي والآداب العربية من أساسها، لما يعلمه من تأثير التاريخ والآداب في إحياء الشعوب، خصوصا التاريخ العامر بالمفاخر المملوء بالمآثر، كتاريخ الإسلام عموما وتاريخ العرب بوجه خاص. لذلك نجد الغرب يقولون العصور المظلمة لأنها كانت مظلمة عندهم والعجيب وأصبح بعض العرب المسلمين يقولون العصور المظلمة وأكثر من يقولها العلمانين من العرب.

٤ ـ مسخ الخُلُق الإسلامي ونشر الرذائل في المجتمع:

حرص الاستعمار على نشر الإباحية في واقع المجتمع الإسلامي، وتشجيع السلوكيات اللاأخلاقية المنحرفة، حتى يتحول الفرد المسلم إلى مجرد حيوان هَمُّهُ شهواتُه، فينشغل عندئذ بالعمل على إشباع شهواته وينسى حقيقته وواجباته المنوطة به والمتمثلة في العمل على التحرر من رق الاستعمار وقيوده.

٥- صناعة الزعماء

وهذا الموضوع يوضح بجلاء كيفية صناعة الزعماء، وهذا ديدن أعداء الإسلام في كل زمان، فهم يختارون شخصية نفعية لا تحب إلا مصلحتها وتعشق السلطة والمال، ثم يحاولون صناعته عن طريق إبراز دوره وتضخيم أعماله، فيحدث التلميع لهذه الشخصيات حتى يصير زعيم، وهذا هو الدور الخطير الذي تمارسه وسائل الإعلام، وحديثاً: عندما رحل

الاحتلال عن بلاد المسلمين ترك خلفه صنائع هي من صنع يديه، وحتى يُمَكِّن لها قام بتلميعها وتضخيم دورها حتى تكون هي الزعامة.. وفقط، فهذا « الزعيم الملهم »، وذلك « القائد »، وذلك « الغازي »، وذلك « الرئيس المؤمن ».. هكذا صنعوا أتاتورك وغيره، وهكذا استطاع أعداء الإسلام إنتاج صنائع لهم وعملاء ووكلاء يؤدون ما يُطلب منهم ؛ في جميع المجالات وليس في السياسة فقط، وهذه القصة صورة مصغرة لطريقة تكوين الزعماء والأبطال والفاتحين المزورين ؛ فكم من مرة حولوا الجهاد لصالحهم، وسرقوا الثورات والانتصارات؟! ((كما رأينا في الحكومات الاسلامية الحديثة، حيث يقومون بتصوير الحاكم الذي لايرغبون في حكمه على أنه مشئووم أو ضعيف أو يفتقد الخبره وذلك عن طريق وسائل الإعلام العربية العلمانية))، وكم من مرة تاجروا بقضايا المسلمين ؟! ومتى شاءو أن يتعادوه عن طريق ذمه وذكر أفعال سيئه عنه، عن طريق الإعلام الصديق لهم.

٦- العلمانية

وهذا من أثار الإستعمار بعد أن كانوا الناس محافظين إلا وأدخولوا علينا هذا الفكر الخائن الخادع.

حيث بدأ التدرج من ذلك الوقت لإلغاء الشريعة بتدبير الإنجليز وانتهت تماماً في أواسط القرن التاسع عشر.

١- الجزائر: إلغاء التعامل بالشريعة الإسلامية عقب الاحتلال الفرنسي سنة ١٨٣٠م.

٢- تونس: أدخل القانون الفرنسي فيها سنة ١٩٠٦م.

٣- المغرب: أدخل القانون الفرنسي فيها سنة ١٩١٣م.

٤- تركيا: لبست ثوب العلمانية عقب إلغاء الخلافة واستقرار الأمور تحت سيطرة مصطفى كمال أتاتورك، وإن كانت قد وجدت هناك إرهاصات ومقدمات سابقة.

٥- العراق والشام: ألغيت الشريعة أيام إلغاء الخلافة العثمانية وتم تثبيت أقدام الإنجليز والفرنسيين فيهما.

٦- معظم أفريقيا: فيها حكومات نصرانية امتلكت السلطة بعد رحيل الإستعمار.

٧- أندونيسيا ومعظم بلاد جنوب شرقي آسيا: دول علمانية.

٨- انتشار الأحزاب العلمانية والنزعات القومية: حزب البعث، الحزب القومي السوري، النزعة الفرعونية، النزعة الطورانية، القومية العربية.

٩- من أشهر دعاة العلمانية في العالم العربي والإسلامي: أحمد لطفي السيد، إسماعيل مظهر، قاسم أمين، طه حسين، عبدالعزيز فهمي، ميشيل عفلق، أنطون سعادة، سوكارنو، سوهارتو، نهرو، مصطفى كمال أتاتورك، جمال عبد الناصر، أنور السادات صاحب شعار " لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين"، وعدد كبير من الصحفيين والإعلاميين العرب وغيرهم.

العلمانيون والأديان الأخرى:

العلمانيون والأديان الأخرى:

العلمانيون، كارهون للاسلام ولكل ما يتعلق به ومستعدون للتعاون مع الشيطان بل وهم متعانون معه من أجل حرب الاسلام وخنقه والتضييق عليه.

كان العلمانيون في وقت مضى مولعين بالفكر الماركسي وجعلوه حصانهم الطروادة لحرب الاسلام والدين عامة، وحال هزموا بعد تعثر حصانهم المريض ولم يبق قادرا على المنافسة، سقط العلمانيون في أحضان الفكر الصهيوني العالمي فصاروا خداما له.

الفكر الصهيوني العالمي يقوم على تشجيع الفساد والرذيلة والعري وكل الموبقات، وهو اليوم ما يتشبث به العلمانيون سعيا منهم في تخريب الاسلام وخدمة سادتهم الصهاينة في العالم أجمع.

لكن المسلمين وفي ظل تكالب العالم عليهم أصبحوا أقرب إلى التدين وغير مستعدين لسماع أي فكر علماني مفضوح بحربه للاسلام، لذلك وجد العلمانيون انفسهم مجبرين على تغيير خطتهم وأسلوبهم في حرب الاسلام.

بدورهم العلمانيون العرب أيقنوا أنه لا وسيلة يتسترون خلفها في حربهم للاسلام غير الفكر الشيعي المجوسي الذي يتشدق ببعض القرآن وبحب آل البيت عليهم السلام.

الخطر الشيعي الفارسي على الاسلام في المستقبل القريب سيكون جدُ خطير، لأن كل العلمانيين حاليا سيكونون مناصرين للفكر الشيعي المجوسي، ليس حبا في التشيع بل مضطرون لانه الوسيلة الأضمن لحرب

الاسلام واستغفال البسطاء من المسملين.

لقد أصبح العلمانيون يتشدقون ببعض الفكر الشيعي الفارسي حاليا، وينتصرون له ويناوؤن به المؤمنين، وفي القريب سيناصرون الفكر الشيعي المجوسي مناصرة علانية وسيبحث العلمانيون في الفكر الشيعي المجوسي بحثا يمكنهم من الظهور بمظهر المسلمين في مجتمعات متدينة لا تقبل الفكر المادي ولا الصهيوني.

ستكون للعلمانيين جولات وصولات وهم يمتطون الفكر الشيعي الفارسي، وسيكون للزعماء موارد مالية ضخمة وإغراءات كبيرة من أموال الخمس التي يأخذها الشيعة من أموال البسطاء المغفلين أو المستغفلين.

الإسلاميون أو الأصح المسلمون لم يحسموا بعد المعركة في بلدان المسلمين لأن عليهم أن يخوضوا مواجهة شرسة مع الفكر الشيعي الفارسي الذي سيحمل لواءه علمانيو اليوم، وستكون للعلمانيين المتشيعين نفاقا صولات وجولات.

احسن هدية سيقدمها العلمانيون للاسلام هي فضح بعض المغفلين ممن يتشدقون بالفكر الإسلامي وهم يظهرون الحب والولاء للشيعة.

* * * *

التحالف المستمر بين العلمانيين والشيعة في العالم الاسلامي

هذا الأمر تجده واضحا في عدد من الدول الاسلامية هناك تحالف بين المؤسسة العلمانية والشيعة الذين يسيطرون على الاقتصاد وعدد من المناصب الحكومية والعسكرية رغم قلة نسبتهم، فما السر في هذا التحالف التلقائي بين الفئتين :

قد يكون من المهم للاجابة عن هذا السؤال أن نتعرف على نظرة الطرفين لعدد من الاصول الشرعية .

النظرة الى القرآن

ينظر الشيعة الى تفسير مختلف للقرآن عما ورد عن الصحابة والتابعين ويرى بعضهم تحريف القرآن ونقصه .

والعلمانيون منهم من يؤمن بالقرآن ولكن لا يرى تطبيقه في الواقع وغلاتهم قد يستهزؤن بالقرآن وتعاليمه وبعضهم يؤمنون ببعض القرآن ويلغون البعض الآخر حيث تجدهم يكثرون من ذكر هذه الآية ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ ولا يريدون أن يسمعون ذكر﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾.

الصحابة :

الشيعة يسبون الصحابة ولا يأخذون عن أحد سوى ستة منهم

والعلمانيون لا يتورعون عن انتقاص الصحابة بل سمعنا منهم من سب الرسول ﷺ أو سب الله سبحانه وتعالى ولم أرى أحد منهم تمعر وجه أو أظهر غضبه على فعل بعضهم مع العلم أن معظم القنوات الإعلاميه بأيديهم

التحالف مع العدو

في دين الشيعة تقديم للنصارى واليهود وجميع الطوائف على أهل السنة وتاريخهم شاهد عليهم بالتواطؤ مع الوثنيين والنصارى ضد المسلمين (الشيعة مع المغول - الشيعة مع الصليبيين في القرن السادس ومحاولات قتل صلاح الدين - تحالفهم مع الأمريكيين في العراق وأفغانستان وغيرها).

و كذلك فان العلمانيين هم يد الغرب في أوطانهم سواءاً كانو حكومات أو مثقفين، وقد عملوا على تغريب العالم الإسلامي في القرن الماضي حتى سادت العلمانية العالم الإسلامي.

المرأة

لا يرى الشيعة بأسا في قضايا ظهور المرأة ومعاشرتها للرجال عن طريق المتعة ولذا تجد أن دولة إيران تحتضن أكبر نسبة من اللقطاء.

والمرأة هي القضية الكبرى لدى العلمانيين فمحاولات إخراجها وإفسادها ونبذ الحجاب والعفة لا تكاد تكف أو تنتهي.

طريقتهم في الأخذ من الشريعة

لا يأخذ الشيعة بالأقوال الفقهية التي يقول بها علماء السنة بل لا يأخذون ذلك الا من طريق أئمتهم المضلين وان لم يجدوا شيئا في كتبهم رأوا ما يقوله أهل السنة وأخذوا بنقيضه وقد سموا وغيرهم من الطوائف بأهل الأهواء.

والعلمانيون يبحثون عن أقوال أهل السنة الضعيفة أو المرجوحة ويحتجون بذلك على وجود من يقول بذلك من الفقهاء (فيحتجون بالقول بجواز كشف المرأة لوجهها ويظهرون شعرها ونحرها وساقيها) ويجعلون الشريعة تبعا لأهوائهم وأما غلاتهم فيزدرون الشريعة.

أصول الطائفتين

ظهرت طائفة الشيعة من قبل طائفة أظهرت إسلامها لما رأت أنها لا تستطيع مواجهته وأبطنت الكفر ومن هؤلاء اليهودي عبدالله بن سبأ.
ظهرت العلمانية في العالم الغربي كرد فعل على طغيان الكنيسة وخرافاتها غير أن العلمانية في أصولها ظهرت على أيدي يهود في الغالب (فرويد - كارل ماركس وغيره).

اذا فلا غرابة في قيام التحالف بينهم لاتفاق أفكارهم وأهدافهم في هدم دين الاسلام النقي الذي جاء به الرسل.

* * * *

الغزو الغربي في عصرنا هذا

وهذا التاريخ يعيد نفسه أيضاً

وهاهو التاريخ يعيد نفسه ومن المحزن أن نفس الأخطاء تكررت أكثر من مرة وكأن المسلمين لم يقرأوا التاريخ ولم يقرأوا أسباب سقوط الخلافات الإسلامية العظمى !

اقرؤا التاريخ إذ فيه العِبَر ضلَّ قومٌ ليس يدرون الخَبَر

●هل سيقول التاريخ أننا ناصرنا أخواننا في البوسنه والبلقان وكوسوفو إليكم جزء ممافعلوه في البوسنه:

حرب الإبادة التي شنها الصرب على مسلمي البوسنة واستشهد فيها ٣٠٠ ألف مسلم..

واغتصبت فيها ٦٠ ألف امرأة وطفلة وهجّر مليون ونصف..

- هل تذكرونها أم نسيناها ؟؟

أم لا تعرفون عنها شيئا أصلا ؟؟!!!

قتل وحصار وتجويع، أوروبا رفضت التدخل وقالت: حرب أهلية.

- استمر الهولوكوست نحو ٤ سنوات هدم الصرب فيها أكثر من ٨٠٠ مسجد.

بعضها يعود بناؤه إلى القرن السادس عشر الميلادي.

وأحرقوا مكتبة سراييفو التاريخية..

- تدخلت الأمم المتحدة فوضعت بوابين على مداخل المدن الإسلامية، لكنها كانت تحت الحصار والنار.

فلم تغن الحماية شيئاً..

- وضع الصرب آلاف المسلمين في معسكرات اعتقال وعذبوهم وجوعوهم حتى أصبحوا هياكل عظمية.

ولما سئل قائد صربي: لماذا ؟

قال: إنهم لا يأكلون الخنزير !

- نشرت الغارديان أيام المجازر البوسنية.. خريطة على صفحة كاملة، تظهر مواقع معسكرات اغتصاب النساء المسلمات، ١٧ معسكراً ضخماً بعضها داخل صربيا نفسها..

ونشرت الغارديان تقريراً بعنوان:

الطفلة التي ذنبها أنها مسلمة..

- دعا الجزار ملاديتش قائد المسلمين في زيبا إلى اجتماع.. وأهدى إليه سيجارة، وضحك معه قليلاً، ثم انقض عليه وذبحه،وفعلوا الأفاعيل بزيبا وأهلها..

- لكن الجريمة الأشهر كانت حصار سربرنتسا، كان الجنود الدوليون يسهرون مع الصرب ويرقصون، وكان بعضهم يساوم المسلمة على شرفها، مقابل لقمة طعام..

- حاصر الصرب سربرنتسا سنتين.. لم يتوقف القصف لحظة، كان الصرب يأخذون جزءاً كبيراً من المساعدات التي تصل إلى البلدة، ثم قرر الغرب تسليمها للذئاب..

- الكتيبة الهولندية التي تحمي سربرنتسا تآمرت مع الصرب، ضغطوا على المسلمين لتسليم أسلحتهم مقابل الأمان، رضخ المسلمون بعد إنهاك وعذاب، وبعد أن أطمأن الصرب انقضوا على سربرنتسا، فعزلوا ذكورها

عن إناثها، جمعوا ١٢٠٠٠ من الذكور (صبياناً ورجالاً)، فذبحوهم جميعاً ومثلوا بهم..

- من أشكال التمثيل:

كان الصربي يقف على الرجل المسلم فيحفر على وجهه، وهو حي صورة الصليب الأرثوذكسي[١].

- كان بعض المسلمين يتوسل إلى الصربي أن يجهز عليه من شدة ما يلقى من الألم، أما النساء فاعتدي على شرفهن، وقتل بعضهن حرقاً وشرد أخريات في الآفاق..

- استمر الذبح أياماً في سربرنتسا، كان سقوطها في آخر تموز/ يوليو١٩٩٥م، كانت الفصل الأخير من حرب الإبادة لإخوتنا، الذين كان ذنبهم أنهم مسلمون مثلنا..

- كانت الأم تمسك بيد الصربي.. ترجوه ألا يذبح فلذة كبدها، فيقطع يدها ثم يجز رقبته أمام عينيها، كانت المذبحة تجري، وكنا نرى ونسمع ونأكل ونلهو ونلعب..

- وبعد ذبح سربرنتسا.. دخل الجزار رادوفان كاراجتش المدينة فاتحاً وأعلن: سربرنتسا كانت دائماً صربية، وعادت الآن إلى أحضان الصرب[٢]..

* * * *

---

١ من تقرير لمجلة نيوزويك أو تايم..

٢ بقلم أ. بيان الطنطاوي مع التحقيق من وكيبيديا ويوتيوب

●هل سيقول التاريخ أنا ناصرنا اخواننا في الشيشان في هذه الدويلة الصغيرة وعدد القتلى كان أكثر من خمسين ألف ولم يحرك أحد ساكن بل بقي المسلمون يتابعون مباريات أوروبية وأفلام أمريكية. مع الملاحظه أنه كان فيه مقاومة من المجاهدين المسلمين ساعدت في إضعاف الاقتصاد الروسي وخسائر في الجيش الروسي لكنه لم يصل إلى عُشر قتلى المسلمين في الشيشان.

*****

●هل سيقول التاريخ أننا وقفنا وقفة حق من حرب الولايات المتحدة الأمريكية مع أفغانستان حيث أنهم استخدموا جميع أنواع السلاح المحرم دوليا وتفننوا في تجربة صواريخ جديدة على رؤوس المسلمين ولقد شاهد العالم تصريحات بوش الإبن الرئيس الإمريكي حينما قال والآن بدأت الحروب الصليبية ولقد كانت حينئذ بداية الحرب الصليبه[1]. فقد شارك في الحرب ضد هؤلاء الضعفاء الذين لا يملكون إلا أسلحة تحمل باليد بريطانيا وكندا وإستراليا والمانيا وفرنسا وقد قال الرئيس الأمريكي جورج بوش الإبن مهدداً للدول التي تدعم الإرهاب والإرهاب في نظرة الذين لم يؤيدوه على حرب أفغانستان، وقال ان أمامها خيارين فإما ان تكون معنا وإما مع الارهاب وان اختارت الإرهاب فستدفع الثمن غاليا.

وقد أعلنت وزارة الدفاع الاميركية (البنتاغون) ان الغارات الجوية الشاملة والقصف الصاروخي الذي بدأ ضد حركة طالبان، بدأت بقصف

---

١ راجع يوتيوب

كاسح لمواقع عسكرية حول العاصمة كابل وان محطات الطاقة وخدمات الهاتف تم القضاء عليها بسرعة فائقة.

وقالت ان كابل غرقت في الظلام إلا من أضواء القذائف والصواريخ التي تنهال عليها من الطائرات الاميركية. كما أن وزارة دفاع طالبان في كابل كانت من أول الأهداف التي تم قصفها في اللحظات الأولى وكذلك قاعدة القيادة الجوية في مدينة قندهار في جنوب أفغانستان والتي تم تدميرها تماما مع الموجة الأولى من الغارات والقصف الجوي، إضافة إلى العديد من الأهداف في شرق وجنوب وشمال افغانستان. ولم تكشف مصادر «البنتاغون» عن القواعد التي انطلقت منها الطائرات الحربية الاميركية في عمليات القصف المركز والتي توقعت ان تستمر حتى الفجر (بتوقيت افغانستان) وربما اكثر ولكنها أكدت أن العاصمة كابل ومدينة قندهار ومدينة جلال آباد ومواقع شمال البلاد وشرقها كانت هدفا للغارات الجوية والقصف الجوي المتواصل.

واضافت ان موجة الهجوم الثانية كانت اكثر كثافة وضراوة من الموجة الأولى، وقالت المحطة ان منزل الملا عمر ربما يكون قد اصيب، ولكن لم يعرف ما اذا كان موجودا هناك وقت الهجوم. لكن سفير طالبان لدى باكستان قال ان الملا عمر (حاكم طالبان والرئيس الأفغاني) وبن لادن على قيد الحياة بعد الضربات الأميركية.

وأعلنت وزارة الدفاع الأميركية أن المرحلة الأولى من الضربات استخدمت فيها ١٥ قاذفة، و٢٥ مقاتلة هجومية، و٥٠ صاروخ كروز، وهذا المعلن والخافي أعظم.

وفي لندن، أعلن رئيس الوزراء البريطاني توني بلير ان غواصات بريطانية أطلقت صواريخ على أفغانستان في إطار الهجوم الذي تقوده الولايات المتحدة.

وقال شهود عيان إن قنابل أو صواريخ سقطت في ما يبدو بالقرب من وسط المدينة، في الوقت الذي كان فيه سكان كابل يستعدون للنوم[1].

*****

•وأيضاً ماذا سيقول لنا التاريخ في العراق أو ماذ ا سيسألنا الله عن ماذا قدمنا لأهل العراق هل كنا مجرد متابعين للحدث أم كنا نتعاون مع الأمريكان في قتل العراقيين وتسليم العراق لإيران على طبق من ذهب وقتل حاكم العراق في يوم عيد الأضحى العراق على يد الشيعه: وإليكم نموذج مختصر من الإستعمار الأمريكي للعراق من بداية الحرب.

في ٧ فبراير ٢٠٠٣ م

يقول الرئيس الأمريكي جورج بوش الإبن والبريطاني توني بلير أن أسلحة الدمار الشامل العراقية ستصل إلى الجماعات المسلحة في العالم، وأن بريطانيا ستقوم بحرب ضد العراق مع الولايات المتحدة بدون قرار من الأمم المتحدة[2].

---

١ جريدة الشرق الأوسط العدد ٨٣٥٠

٢ ويكيبيديا

١٢ فبراير ٢٠٠٣ م

مفتشو الأسلحة التابعون للأمم المتحدة، يعلنون أنهم اكتشفوا أن العراق يمتلك صواريخ غير قانونية، وهي صواريخ "الصمود التي يتجاوز مداها (١٥٠كم) الحد المسموح لها في اتفاقيات وقف إطلاق النار عام ١٩٩١م.

٢٧ فبراير ٢٠٠٣ م

يوافق صدام حسين على أن يتم تدمير صواريخ (الصمود) المكتشفة من قبل مفتشي الأسلحة. لكي يسلم من هذه الحرب.

مارس عام ٢٠٠٣م

الرئيس الأميركي جورج بوش ورئيس الوزراء البريطاني توني بلير والأسباني خوسيه ماريا يمهلان مجلس الأمن الدولي يوما واحدا، للتصويت على قرار ثان للمجلس يمهد الطريق لإستعمال القوة من اجل نزع أسلحة العراق تطبيقا للقرار ١٤٤١ وذلك بعد انتهاء قمتهم في جزر الآزور (البرتغال).

الرئيس العراقي يهدد انه سينقل الحرب إلى أي مكان في العالم بحال تعرضت العراق لهجوم أمريكي.

كولن باول وزير الخارجيه الأمريكي يصرح أنه "يمكن تجنب الحرب إذا غادر صدام ونجلاه عدي وقصي وعدد من كبار قادته العراق.

أمهل الرئيس الأمريكي جورج بوش الرئيس العراقي صدام حسين مهلة ٤٨ ساعه للخروج من العراق أو مواجهة الغزو.

وهنا يقص عليكم الصحفي جمال هاشم من مكتب وكالة أنباء ((شينخوا)) في بغداد كيف عاصر هذا الحدث ولا سيما وأنه بث خبر " بدء حرب العراق " قبل أي جهاز إعلامي في العالم.

((يقول في فجر العشرين من مارس ٢٠٠٣م، اندلعت الحرب على العراق وبدأت الصواريخ وقنابل الطائرات تدك مدن العراق على مدار الساعة فانتشر الرعب والدمار، ولم يكن هناك أي مكان آمن في بغداد، فقد انتشرت الأسلحة المضادة للطائرات في الأحياء السكنية للمدينة فازداد بذلك خطر استهداف هذه الأسلحة وسط البيوت السكنية.

وفي ظروف الحرب تتوقف أعمال الجميع في كل القطاعات الحكومية والأهلية فيما عدا قوات الأمن والصحفيين الذين يجدون ما يفعلونه في مثل هذه الظروف، وكان قدري أن أشارك في هذه الحرب كصحفي ووجدت نفسي في قلب الحدث، لم أكن اتمنى أن تمر بلادي بمثل هذه الظروف من الدمار وحمامات الدم، ولكن وقد حدث ذلك فانني سعيد بأني كنت شاهدا على عملية تحول تاريخية تشهدها بلادي..

أنها دورة التاريخ فكم سمعنا وقرأنا في التاريخ عن سقوط إمبراطوريات ودول ولكن الأمر مختلف تماما عندما تكون جزءا من دورة التاريخ، لذا فاني اجد نفسي محظوظا لاني عملت في هذا الوقت مع مكتب شينخوا في بغداد ولاني وجدت الفرصة كي أنقل لشعوب العالم وخصوصا الشعب الصيني ما يشهده أبناء بلادي من معاناة وما يرتكبه المحتلون من جرائم ضده.

لقد استمر القصف الصاروخي وسقوط القنابل على بغداد حوالي عشرين يوما ليلاً ونهاراً فكان الخوف يتملك ولدي أشرف (تسع سنوات) وأثير (ثماني سنوات) وابنتي رانية (خمس سنوات) بسبب قوة الانفجارات التي تخلع القلوب وتحرك الستائر بقوة، فكنت أرى الخوف في عيونهم. وبينما اتابع أنباء القصف، كنت بين الحين والآخر أشرح لهم بأنه ليس هناك داع للخوف وأقول لهم "هذا ليس سوى صوت غير مؤذٍ، ابتعدوا عن النوافذ ولن تصابوا بأذى لأن الانفجارات بعيدة". في الواقع، لم أكن أملك أكثر من هذه الوسيلة لتهدئتهم، التي في الحقيقة لم تجد نفعا لأنهم كانوا يسهرون حتى الساعات المتأخرة من الليل بجانبي في المكتب بسبب خوفهم من الإبتعاد عني إلى غرفة نومهم وكان ولدي يلبس الخوذة الفولاذية ويجلب كرسيا ليجلس بجانبي حتى أنه كان ينام عليه، فاقوم بنقله إلى سريره بعدما يغفوا عندما تهدأ موجات القصف.

وفي أحد الأيام وخلال المتابعة المستمرة لاحداث الحرب على العراق والقصف المستمر تقدمت القوات الأمريكية بعد الظهر على الطريق السريع غربي بغداد واشتبكت مع قوة من الجيش العراقي ومجموعات من الجيش الشعبي المكونة من افراد من حزب البعث الذي يقوده الرئيس المخلوع صدام حسين، وكانت المعركة قريبة من بيتي وأفراد عائلتي وفي هذه الاثناء وأنا اتابع تفاصيل المعركة اتصل بي ولدي الصغير الذي اخذ يبكي بخوف شديد ويتوسل أن آتي لاخذه لانه خائف وأصوات الانفجارات والرصاص شديدة جدا.

لم اتمالك نفسي وشعرت أني خذلت عائلتي وفضلت طموحي المهني

على سلامتهم، فانتظرت حتى حلول الظلام وذهبت إلى بيتي بعد أن مررت بمكان الاشتباك على الطريق السريع، وكانت القوات الأمريكية قد تراجعت بعد المقاومة العنيفة للمقاتلين، ولكني رأيت منظراً مريعاً، أسلحة مدمرة وبقايا عتاد وخوذ عسكرية مبعثرة على قارعة الطريق الشارع وجندي عراقي يقف على مقربة من الطريق العام وفي عينيه الخوف واليأس، لم يتكلم كعادة العسكريين عندما يرون شخصا في مكان كهذا وضل صامتا ثم اسرع بالاختفاء بين أشجار أحد البساتين على مقربة من الطريق العام.

وصلت إلى البيت وأخذت زوجتي وأولادي معي إلى المكتب في المنصور بعيداً قليلاً عن ساحة المعركة واكثر أمانا ولكن الأمر لم ينته عند هذا الحد، ففي تلك الأيام كان الأمريكيون يتخوفون من استخدام صدام حسين لترسانتة المزعومة من الأسلحه الكيميائية والبيولوجية وكانت المعارك دائرة في ضواحي بغداد، لذلك فإن الأمريكيين حذروا من أنهم سيضربون بقوة اذا فعلها صدام.

وعندئذٍ، طلبت من زوجتي أن تأخذ الأولاد إلى مدن أخرى خارج بغداد مع عوائل اخوتي ووالدتي وهي امرأة طاعنة في السن بينما ابقى أنا في المكتب لأواصل مهمتي. ولكن ما حدث هو أن زوجتي رفضت وقررت البقاء معي وسمعت أن والدتي أيضا رفضت ترك المنزل وقالت عشت هنا كل السنين في منزلي لن اتركه وسأموت هنا إن كان هذا قدري.

وعلى أية حال، فإن حيرتي لم تدم طويلا فقد علمت أن الحافلات التي كانت تنقل العوائل إلى خارج بغداد قد استهدفت من قبل طائرات أمريكية

كانت تظن أنها تهرب صدام ومقربين منه وقيادات عسكرية وقتل العديد من المدنيين لذلك قررنا أن لا فائدة من الخروج، فقد تساوت فرص الموت والحياة سواء خرجوا أم لم يخرجوا من بغداد.

وعندما واصلت الطائرات الأمريكية قصف بغداد شعرت بالقلق لأني كنت أُرسل الأخبار من بغداد بواسطة الساتفون (تليفون الساتلايت) وقد علمت فيما بعد من مراسلي ((شينخوا)) الصينيين أن اشارة هذا التليفون يمكن أن يستلمها الطيارون الأمريكيون وبالتالي يمكن أن يستهدفوا المكتب بصواريخهم، وكان في هذا الأمر خطورة على المكتب حيث عائلتي وجميع العوائل التي في البيوت المجاورة.

وقد حذرني بعض الجيران الذين كانوا أيضا خائفين من هذا الأمر، فطمنتهم من أنه لن تكون هناك أية خطورة، إذ أننى لم أكن أرسل الخبر بعد الانتهاء من كتابته إلا بعد التأكد من عدم وجود طيران فوق بغداد. فكان أولادي وزوجتي يتناوبون على الصعود فوق سطح المنزل للتأكد من خلو الجو حتى أرسل الخبر أو أجري بعض المكالمات والمقابلات والتي كنت أقطعها أحيانا عند قدوم الطائرات حفاظا على أرواح من حولي من الأبرياء..

كان أصعب ما واجهته اثناء تغطية المعارك على العراق هو لحظات دخول القوات الأمريكية إلى بغداد، كنت حينها أتابع فجر يوم التاسع من أبريل الأخبار وأتنقل بين القنوات الفضائية فوجدت قناة تبث بثا حيا دخول الدبابات الأمريكية إلى القصر الجمهوري وسط بغداد، لم اصدق ما حدث وصدمت حينما رأيت احد الجنود يُقتل ويسقط في النهر وانا أصيح

بأعلى صوتي أين مقاومة الدبابات؟ لماذا لم يطلق أي منها النار؟ ماذا ينتظرون؟ فأنظر جيدا غير مصدق ما أرى هذا الجسر المعلق وهذه هي السدة داخل القصر الجمهوري، هل يعقل هذا؟

وفي اللحظات التي رأيت فيها دبابة أمريكية تقف على جسر الجمهورية وسط بغداد وهي تطلق الرصاص والقذائف باتجاه منطقة الباب الشرقي على الضفة الشرقية لنهر دجلة انتظرت دون جدوى أن يُطلق عليها النار وكنت استعيد في ذاكرتي أنواع الأسلحة المضادة للدبابات وقلت في نفسي لابد أن أحداً ما يمتلك على الأقل سلاح RPG أو أي شي آخر ليصيبونها، ولكن طال انتظاري ولم يحدث شي.

وبعد ذلك تقدمت دبابات ومدرعات أمريكية على ساحة الفردوس وسط بغداد بالقرب من تجمع الصحفيين الأجانب في فندقي الميريديان والشيراتون وأزالوا تمثال لصدام حسين، كان علي أن أبلغ أن بغداد قد سقطت ولكني رغم وضوح الصورة أصريت في نفسي على أن ذلك لايعني سقوط بغداد أو بالأحرى لم أكن اريد أن أصدق، فهناك لازالت معارك في الأعظمية شمالي بغداد ومناطق أخرى لكنها في الحقيقة ليست ذات أهمية تذكر.

وحتى بعد أيام قليلة من سقوط تمثال صدام في ساحة الفردوس، كانت لاتزال بعض تقاطعات الطرق في بغداد يسيطر عليها فلول من الجنود العراقيين وأفراد من المدنيين المسلحين وقد تعاملت القوات الأمريكية معهم تدريجيا يوم بعد يوم، ففي أحد الأيام اندلعت اشتباكات عنيفة في منطقة تقاطع نفق الشرطة على بعد عدة مئات من الأمتار عن

مكتب شينخوا في المنصور في الجزء الغربي من بغداد، فخرجت بالدراجة الهوائية لأقترب من مكان الإشتباك الذي هدأ بعد أقل من ساعة، فوجدت أن القوات الأمريكية قد قتلت كل المقاومين ودمرت مواقعهم، وهو أمر معروف نظرا لتفوق القوات الأمريكية في جميع النواحي.

وبعدها أيقنت أن القوات الأمريكية سيطرت على الوضع في البلاد وأنه لم يعد هناك مجال أمام الجنود العراقيين للمقاومة، وأخذت أفكر في وطني وما سيشهده مستقبلا)) انتهى.

مذكرات صدام

وأخيراً هناك مذكرات صدام التي نقلها عنه محاميه خليل الديليمي ونشرها في عام ٢٠٠٩م في كتاب بعنوان " صدام حسين من الزنزانة الأمريكية.. هذا ماحدث "، حيث علق الرئيس العراقي السابق مجدداً على لغز سقوط بغداد، قائلا: بغداد لم تسقط، بغداد احتلت، وستتحرر بسواعد الأبطال، الاحتلال شيء والسقوط شيء آخر وهذه ليست المرة الأولى التي تحتل فيها بغداد، فقبل الأمريكان وعبر التاريخ تعرضت لغزوات كثيرة وتنازعها الأعداء من كل الجهات وتكالب عليها الفرس وغيرهم وهي حلقات متواصلة واحتلها المغولي هولاكو فأحرق ودمر وقتل وعاث فيها فسادا.

وتابع صدام اليوم تتكرر الحالة لقد جيش بوش جيشه ومرتزقته وعبر المحيطات فكانوا يضمرون لنا الشر ويريدون نهب خيراتنا وتدمير بلدنا وقد حاولنا بكل ما نملك تجنب شرورهم.

وأضاف في السياقات العسكرية لا يمكن فصل النتيجة عن السبب فهما حالة واحدة والمعركة الواحدة هي سلسلة حلقات للوصول إلى تحقيق الهدف، فكيف إذا كانت المعارك متواصلة منذ العام ١٩٩٠م وما رافق ذلك من حصار ظالم دام أكثر من ثلاثة عشر عاما وفقدنا بسببه أكثر من مليون ونصف مليون عراقي ما بين طفل وشيخ وامرأة وحتى الشباب، إذن فلا يمكنني أن أجتزئ وأتحدث عن معركة واحدة هي بحد ذاتها كانت هدفا ونتيجة لسلسلة طويلة، ألم يكن قصف أمريكا للعراق مستمرا منذ ذلك التاريخ، أليست أمريكا هى من وضع خطوط الطول والعرض وأسموها مناطق حظر الطيران؟.

واستطرد صدام قائلا: من الأمور التي لابد أن نذكرها خارج السياقات العسكرية والقتالية المعمول بها والتي لم يتوقعها حتى إخواننا القادة وهم يضعون خططهم العسكرية والخطط البديلة هو قيام العدو بالمباشرة بالهجوم البري الواسع متزامنا مع القصف الجوي والصاروخي وحتى المدفعي وذلك لتليين الأهداف كما سبق، وعادة ما يستمر هذا وفقا لما هو معمول به عدة أيام وربما شهر أو أكثر كما كان عليه العدوان الأمريكي ١٩٩٩م، حيث استمر القصف لأكثر من شهر ثم بدأ الهجوم البري بعد ذلك.

وتابع من الأمور الأخرى التي كنا قد وضعناها في حساباتنا أن العدو سيتقدم من جبهتين أو أكثر مع إنزالات هنا وهناك، إحدى هذه الجبهات معروفة وهي الحشد الأكبر للقوات الأمريكية (الكويت) والثانية من الجبهة الغربية.

واستطرد أما ما يخص الصمود الرائع للبواسل في أم قصر من أبطال لواء المشاة (٤٥)، فقد قام هذا اللواء بقتال العدو بشكل أذهل العالم وصموده الأسطوري زعزع الثقة في نفوس الأمريكان والبريطانيين وهز معنوياتهم كذلك كان صمود قواتنا الباسلة في الزبير ومقاومتها الشديدة، فقد عضد وعزز معنويات إخوانهم في هذا البطل، كما أن صمود قواتنا المسلحة ومن خلفها ظهيرها شعب العراق الأبي في كل الجبهات أعطى العزيمة لباقي القواطع.

وتابع صدام قائلا: وبعد أن تمكن العدو من احتلال بعض مدن العراق كان يريد إيصال رسالة واضحة وهي أن كل شيء قد انتهى وبالتالي تدمير معنويات العراقيين، جيشا وشعبا، فضلا عن استخدامه أسلحة محرمة دوليا في ضواحي بغداد.

واسترسل المقارنة بين الذي حصل في أم قصر وصمودها الرائع وبين الذي حصل سريعا في بغداد هي مقارنة غير وجيهة من الناحية العسكرية على الأقل كما أن إسراف العدو بتركيزه على قصف بغداد ومحيطها بشكل بربري متواصل لمئات الساعات أدى إلى تدمير وحدات بأكملها وتشتت أخرى مما جعلها هدفا سهلا لطائرات العدو وصواريخه خاصة وأنها كانت تفتقر إلى غطاء جوي وكذلك في حالة عودة هذه الوحدات وتخندقها، فقد تم تدمير معظمها في مواضعها الدفاعية، مما أدى إلى استنفاد البديل، كما أن وضع أطراف بعض المحافظات ضمن فرقة عمليات بغداد كان خطأ أو على الأقل سوء تقدير مع بعض التقديرات الأخرى التي لا تتلاءم مع التغيرات الجوهرية التي حصلت في الميدان من خلال جهد العدو الكبير

وتكتيكاته.

وأضاف العدوان كان شرسا وواسعا وبذل العدو جهدا خاصة في الأيام الأخيرة بتكثيف القصف الجوي والصاروخي على بغداد ومحيطها، إذ كان الهدف الرئيس للعدو هو بغداد أولا، أسباب تُمكن الأمريكان من احتلال بغداد هو الحصار الذي دام أكثر من ثلاثة عشر عاما وما رافقه من استمرار الحرب بكل صفحاتها واعتماد الأمريكان سياسة الخداع والتضليل حول مزاعمهم مما دفع بعض الأصدقاء والأشقاء العرب لتصديق رواياتهم، فضلا عن الفرق الهائل بين القوتين وخاصة القوة الجوية والصاروخية وعدم وجود أي غطاء جوي للجيش العراقي واستخدام القصف الجوي المكثف الذي لا مثيل له والذي كان مستمرا على مدار الساعة، مما ساعد على شل قدرة قواتنا البطلة سواء أكانت الدروع أو المدفعية أو حتى المشاة.

واستطرد يضاف إلى ذلك استخدام العدو لأسلحة محرمة دوليا بعضها استخدم لأول مرة وخاصة في مطار بغداد بعد المعركة الشهيرة التي خسر فيها العدو مئات القتلى وعشرات الدروع مما أفقده صوابه وقام بضرب قوات الحرب والقوات المتجحفلة معها بقنابل نووية تكتيكية، إلى جانب استمرار القصف على بغداد بشكل وحشي وضرب السكان الآمنين واستخدام العدوان للطريق الصحراوي بمحاذاة المدن وتفوقه النوعي علينا بالسلاح المتطور ما أفقد قواتنا القدرة على الحركة نهارا لعدم وجود غطاء جوي وإسناد مدفعي لها، العدو هاجمنا من جميع الجبهات واستخدم عملائه من المخربين وعملاء إيران في الهجوم علينا.

وبالنسبة لما يتردد عن وجود خيانات في صفوف القيادات العسكرية، قال صدام: سمعت أن هناك من يتحدث عن خيانات حدثت أثناء المعارك، فأقول لك يا ولدي إن جيشنا معروف ببسالته وبطولاته، إن حصلت الخيانة فقد حصلت بشكل محدود وبمستويات واطئة ضعيفة التأثير ولم تؤثر على نتيجة المعركة إطلاقا، بعض ضعيفي الأنفس والخونة تغلغلوا في الأجهزة الأمنية العراقية.

ورغم تراجع صدام في مذكراته عن تصريحاته في ٢٠٠٣ م حول تحميل الخيانة المسئولية الكاملة عن لغز سقوط بغداد، إلا أن هناك من يرجح أن السنوات المقبلة ستكشف مزيدا من الأسرار في هذا الصدد، خاصة وأن الاعترافات والروايات السابقة لم تقدم إجابة حاسمة وقاطعة حول أسباب الاختفاء المفاجيء للجيش العراقي السابق في ٩ إبريل.

عدد القتلى في العراق

عدد القتلي العراقيين بين مارس ٢٠٠٣م وأغسطس ٢٠٠٧م حوالي مليون وثلاثة وثلاثين ألف قتيل وذكرت إحصائيات صادرة عن مؤسسات بريطانية محايدة تؤكد أن عدد القتلى العراقيين منذ بداية الغزو الأميركي للعراق سنة ٢٠٠٣م حتي ٢٠٠٨م تجاوز مليون شخص، وأن العراق فقد حوالي ٣٪ من نسبة سكانه منذ الاحتلال الأميركي. من غير المهجرين خارج بلدهم والمصابين[١].

أين جامعة الدول العربية ؟، وأين معاهدة الدفاع العربي المشترك ؟،

---

١ في جريدة الشرق الأوسط في عددها رقم ١٠٦٥٧

وأين دور الدول العربية في الأمم المتحدة ؟ لماذا صمتوا ولم يتحركوا ؟

أين منظمة المؤتمر الإسلامي البالغ عدد الأعضاء فيها أكثر من خمسين دولة، لماذا لم تتحرك علي الصعيد الدولي العالمي والإقليمي، أين الحكام العرب والمسلمين مما حدث في العراق ويحدث وسوف يحدث في العالم الإسلامي، يا لضعف المسلمين.

ورغم كل هذا الظلم الفادح للعرب والمسلمين رغم القتل والدمار والتخريب، رغم كل ذلك وأكثر، إنا منتصرون.

* * * *

التحالف الغادر

نعم إنه التحالف الغادر بين كل الأديان والمذاهب المخالفه للمسلمين السنه، قال الله تعالى: ﴿ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِن اسْتَطَاعُوا ﴾ البقرة: من الآية ٢١٧

فهاهي إيران اللتي تدعي أن تلغي إسرائيل من الخارطة تتحالف معها من بالخفاء. ولو قاله أحد من حكام العرب السنة لقامت الدنيا ولم تقعد عند الغرب، أما الشيعه فيجوز لهم ذلك. فهل إيران صادقه في أنه قول وفعل ؟ أو كما قيل " أكذب من رافضي "

يروى على لسان عيسى بن مريم عليه السلام أنه عندما سئل: كيف تعرف الكذابين ؟ قال "من ثمارهم تعرفه" فإذا ألتبس الأمر على الناس ولم تعد عندهم القدرة على التمييز بين الحق والباطل عندئذ يقال لهم: انتظروا النتائج وسترون من هم أهل الحق ومن هم أهل الباطل، قال الله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ ﴾[1] الرعد: ١٧

لذا فإنه لا محرَّمات في عالم السياسة فالدُّوَل تسعى لتحقيق مصالحها بأيَّة طريقة، سواء كانت مشروعةً أم غير مشروعة، ونحن نعلم أنهم متفقين بالعداء لأهل السنة ولكن كل منهم يبحث عن مصلحته، وقد استَفادت إيران وأمريكا من سياسة العداء الظاهر أكثر من استفادتها من العلاقات

---

١ كتاب أيعيد التاريخ نفسه ١٣٧

الوُديَّة المتبادَلة، فقد استَفادت أمريكا سياسيًا واقتصاديًا من إيران الخميني أكثر ممَّا استفادته من " إيران الشاه " أو المسماه سابقا إيران الصديقه، فمن مصلحة الولايات المتحدة أن تصنع " بعبعًا " عدوًّا يجعل دُوَل المنطقة تَشعُر بالحاجة الدائمة للوجُود والحماية الأمريكية لذا نجد أن الكلام الاعلامي شيء واللعب تحت الطاولة شيء آخر.

حيث من الواضح أنه لم يكن أحد من الشيعة في سجون غوانتانامو ولم نسمع بأحزاب شيعية إرهابية كحزب الله والحوثيين وفيلق بدر وغيرها من المليشيات الغادرة، حتى ولو أنها دخلت سوريا وقاتلت الأطفال والنساء والعجائز، ولو رمت إسرائيل بصواريخ نجدها ماتُذكر جماعة إرهابية، ومن العجيب أن تجد بعض العرب يعتبر حسن نصر الله أنه بطل فالله المستعان.

ولقد ساعدت إيران الولايات المتحدة الأمريكية في إسقاط الحكومة الأفغانية والعراقية، وقد قال رفسنجاني وأبطحي لولا إيران لما سقطت كابول وبغداد.

ولكن أي سني مجاهد هو إرهابي وقاتل، ومن دافع عن بلده في العراق أو سوريا او عن القدس فهو إرهابي، يُرسل عليهم طائرات بطيار أو بدون طيار وقصْفهم بجميع أنواع الصواريخ، وأخذ معلومات عن أماكنهم السريه حتى لو بمساعدة بعض الدول المجاورة العربية.

أن شعارات ملالي طهران بتدمير إسرائيل ومحوها من الخريطة شعارات مزيفة لاأساس لها من الصحة من أجل ديمومة العلاقة بين هذا التحالف الغادر المبني على نظرية ((هات وخذ)) وبالتالي فلايوجد خطر

على إسرائيل من إيران ولا يوجد خطر على إيران من إسرائيل. وليعلم من يريد أن يعلم أن ذبح الشعب السوري يجري الآن بالسكين الإيرانية الأمريكية الإسرائيلية مضاف إليها السكين الروسي، فأمريكا تريد شعب سورية أن يُذبح وإيران تساعدها في ذالك والفيتو الروسي الصيني جاء من صالح الغرب وخاصة " أمريكا وإسرائيل هذا إذا ماكانوا هم من أوعز لإستخدام الفيتو من أجل مزيد من الدماء البريئة التي تسال يوميا " لإضعاف الأطراف المتنازعة وبالتالي ترضى بالحلول التي ستقدمها أمريكا ومن تحالف معها بتجزئة سورية إلى دويلات ضعيفة هزيلة يضمن أمن إسرائيل المدللة.. لكن على شعب سورية البطل أن يعي هذه المؤآمرة الخبيثة جيدا وعلى الشعوب العربية أن تعي كذلك قبل أن يقال أكلت كما أكل الثور الأبيض، حيث يجب عليهم أن يتوحدوا وأن يكونوا أقوياء تحت راية واحدة والله سيكون مع المظلومين ضد الظالم أياً كان..

حرب غزة تمثلية ثانية الهدف منها الضغط على الدول العربية المجاورة وإحراجهم أمام شعوبهم السنية..أتمنى ان ألا أكون متشائما ولكن أعتقد ان الحقيقة تقول أن إيران أصدق أصدقاء الغرب والشرق ولكي تتضح كيف يكونون أصدق الأصدقاء، بعد العدوان الأمريكي انظروا إلى افغانستان وكيف أصبح الشيعة (الهزاره) لهم شأن في الحكومه الافغانية..انظروا الى العراق وكيف أصبح شيعيا بإمتياز بعد ان كان البوابة الشرقية بوجه المد الشيعي..انظروا إلى سوريا الشيعية حكوميا..انظروا الى لبنان وكيف حزب الله هو الدولة داخل الدولة الحقيقية وماذا عن اليمن والدعم الإيراني للحوثيين وقد أصبحوا قوة عسكرية.

أتمنى ان هذه الامثلة توضح الوضع ونعرف هل إيران عدوة لأمريكا والغرب أم صديقه..إنه المد الشيعي بوجه الخطر السني.

وفي هذه الأيام نجد علاقات أمام العلن بين الدول الخمس[1] مع إيران فهل هي سايكس بيكو جديد وغدر جديد فاللهم إنا نجعلك في نحورهم.

ليس هناك شك بأن تفكيك الدول العربية وتحويلها إلى دويلات وملل ونحل متقاتلة ومتصارعة مصلحة إستراتيجية معلنة لإسرائيل، ولكل الطامعين بهذه المنطقة التي حباها الله بموقع جغرافي عظيم وثروات يسيل لها لعاب العالم، لقد قالها الإسرائيليون على رؤوس الأشهاد أكثر من مرة في إعلامهم وإستراتيجياتهم بأن من مصلحتهم شرذمة البلدان العربية حتى البعيد منها كالسودان، وقد رأيت إحدى الشخصيات الأمنية الإسرائيلية الشهيرة وهو يلقي محاضرة إعلامية يوم يؤكد فيها على أنه حتى السودان البعيد يشكل خطراً على الدولة العبرية.

وفي المنطقه العربية نجد أن بعض الجماعات السنية في المنطقة تتناحر، نجد أن الحلف الشيعي يفرك يديه فرحاً بهذا الاشتباك السني السني القاتل. لم يخطئ بعض الساخرين عندما علق قائلاً: إن أفضل من يخدم الحلف الشيعي في المنطقة هي الأحزاب والجماعات السنية المتناحرة.

وقد نجد العلمانيون الذين يحكمون بعض الدول العربية يتحالفون مع إيران أو الغرب أو الشرق حتى ولو إسرائيل نفسها ضد الدول المسلمة الأخرى أو ضد شعوبهم المسلمه لإرضاء الدول الأخرى فاللهم أهلك من

---

١ الولايات النتحده، روسيا، بريطانيا، الصين، فرنسا

أرضى دولاً ليست على دينه في قهر شعبه أو غدراً بدولة مسلمة.

وفي النهاية إثبات للعداء الغربي الإيراني فقد قرأت مقالا معربا لكتاب التحالف الغادر: بين إيران وإسرائيل والولايات المتحدة للكاتب "تريتا بارسي" أستاذ في العلاقات الدولية في جامعة "جون هوبكينز"، ولد في إيران ونشأ في السويد وحصل على شهادة الماجستير في العلاقات الدولية ثم على شهادة ماجستير ثانية في الاقتصاد من جامعة " ستكوهولم " لينال فيما بعد شهادة الدكتوراة في العلاقات الدولية من جامعة " جون هوبكينز " في رسالة عن العلاقات الإيرانية – الإسرائيلية.

يتناول الكاتب العلاقات الإيرانية - الإسرائيلية خلال الخمسين سنة الماضية وتأثيرها على السياسات الأمريكية وعلى موقع أمريكا في الشرق الأوسط، ويعتبر هذا الكتاب الأول منذ أكثر من عشرين عاما، الذي يتناول موضوعا حسّاسا جداً حول التعاملات الإيرانية الإسرائيلية والعلاقات الثنائية بينهما.

يستند الكتاب إلى أكثر من ١٣٠ مقابلة مع مسؤولين رسميين إسرائيليين، إيرانيين وأمريكيين رفيعي المستوى ومن أصحاب صنّاع القرار في بلدانهم، إضافة إلى العديد من الوثاق والتحليلات والمعلومات المعتبرة والخاصة.

ويعالج "تريتا بارسي" في هذا الكتاب العلاقة الثلاثية بين كل من إسرائيل، إيران وأمريكا لينفذ من خلالها إلى شرح الآلية التي تتواصل من خلالها حكومات الدول الثلاث وتصل من خلال الصفقات السريّة والتعاملات غير العلنية إلى تحقيق مصالحها على الرغم من الخطاب

الإعلامي الإستهلاكي للعداء الظاهر فيما بينها.

وبين هذا وذاك يأتي دور اللاعب الأمريكي الذي يتلاعب بهذا المشهد ويتم التلاعب به أيضا خلال مسيرته للوصول إلى أهدافه الخاصّة والمتغيّرة تباعا.

واستنادا إلى الكتاب، وعلى عكس التفكير السائد، فإن إيران وإسرائيل ليستا في صراع أيديولوجي بقدر ما هو نزاع استراتيجي قابل للحل، يشرح الكتاب هذه المقولة ويكشف الكثير من التعاملات الإيرانية – الإسرائيلية السريّة التي تجري خلف الكواليس والتي لم يتم كشفها من قبل، كما يؤّكد الكتاب في سياقه التحليلي إلى أنّ أحداً من الطرفين (إسرائيل وإيران) لم يستخدم أو يطبّق خطاباته النارية، فالخطابات في واد والتصرفات في واد آخر معاكس.

وفقا لبارسي، فإنّ إيران ليست " خصما لا عقلانيا " للولايات المتّحدة وإسرائيل كما كان الحال بالنسبة للعراق بقيادة صدّام وأفغانستان بقيادة الطالبان. فطهران تعمد إلى تقليد "اللاعقلانيين" من خلال الشعارات والخطابات الاستهلاكية وذلك كرافعة سياسية وتموضع ديبلوماسي فقط. فهي تستخدم التصريحات الاستفزازية ولكنها لا تتصرف بناءاً عليها بأسلوب متهور وأرعن من شأنه أن يزعزع نظامها. وعليه فيمكن توقع تحركات إيران وهي ضمن هذا المنظور لا تشكّل خطراً لا يمكن إحتواؤه عبر الطرق التقليدية الدبلوماسية.

وإذا ما تجاوزنا القشور السطحية التي تظهر من خلال المهاترات والتراشقات الإعلامية والدعائية بين إيران وإسرائيل، فإننا سنرى تشابها

مثيرا بين الدولتين في العديد من المحاور بحيث أننا سنجد أنّ ما يجمعهما أكبر بكثير مما يفرقهما.

كلتا الدولتين تميلان إلى تقديم أنفسهما على أنّهما متفوقتين على جيرانهم العرب، إذ ينظر العديد من الإيرانيين إلى أنّ جيرانهم العرب في الغرب والجنوب اقل منهم شأنا من الناحية الثقافية والتاريخية وفي مستوى دوني، ويعتبرون أن الوجود الفارسي على تخومهم ساعد في تحضّرهم وتمدّنهم ولولاه لما كان لهم شأن يذكر.

في المقابل، يرى الإسرائيليون أنّهم متفوقين على العرب بدليل أنهم انتصروا عليهم في حروب كثيرة، ويقول أحد المسؤولين الإسرائيليين في هذا المجال لبارسي " إننا نعرف ما باستطاعة العرب فعله، وهو ليس بالشيء الكبير " في إشارة إلى استهزائه بقدرتهم على فعل شي حيال الأمور.

ويشير الكتاب إلى أننا إذا ما أمعنّا النظر في الوضع الجيو-سياسي الذي تعيشه كل من إيران وإسرائيل ضمن المحيط العربي، سنلاحظ أنهما يلتقيان أيضا حاليا في نظرية " لا حرب، لا سلام " الإسرائيليون لا يستطيعون إجبار أنفسهم على عقد سلام دائم مع من يظنون أنهم اقل منهم شأنا ولا يريدون أيضا خوض حروب طالما أنّ الوضع لصالحهم، لذلك فان نظرية " لا حرب، لا سلام " هي السائدة في المنظور الإسرائيلي.

وفي المقابل، فقد توصّل الإيرانيون إلى هذا المفهوم من قبل، واعتبروا أنّ " العرب يريدون النيل منّا ".

الأهم من هذا كلّه، أنّ الطرفين يعتقدان أنّهما منفصلان عن المنطقة ثقافيا وسياسياً، الإسرائيليين محاطين ببحر من العرب ودينيا محاطين

بالمسلمين السنّة. أما بالنسبة لإيران، فالأمر مشابه نسبياً. عرقيا هم محاطين بمجموعة من الأعراق غالبها عربي خاصة إلى الجنوب والغرب، وطائفيا محاطين ببحر من المسلمين السنّة. يشير الكاتب إلى أنّه وحتى ضمن الدائرة الإسلامية، فإن إيران اختارت إن تميّز نفسها عن محيطها عبر إتّباع التشيّع بدلا من المذهب السني السائد والغالب.

ويؤكد الكتاب على حقيقة أنّ إيران وإسرائيل تتنافسان ضمن دائرة نفوذهما في العالم العربي وبأنّ هذا التنافس طبيعي وليس وليدة الثورة الإسلامية في إيران، بل كان موجوداً حتى إبان حقبة الشاه " حليف إسرائيل ". فإيران تخشى أن يؤدي أي سلام بين إسرائيل والعرب إلى تهميشها إقليميا بحيث تصبح معزولة، وفي المقابل فإنّ إسرائيل تخشى من الورقة " الإسلامية " التي تلعب بها إيران على الساحة العربية ضد إسرائيل.

استنادا إلى "بارسي"، فإن السلام بين إسرائيل والعرب يضرب مصالح إيران الإستراتيجية في العمق في هذه المنطقة ويبعد الأطراف العربية عنها ولاسيما سوريا، مما يؤدي إلى عزلها استراتيجيا، ليس هذا فقط، بل إنّ التوصل إلى تسوية سياسية في المنطقة سيؤدي إلى زيادة النفوذ الأمريكي والقوات العسكرية وهو أمر لا تحبّذه طهران.

ويؤكّد الكاتب في هذا السياق أنّ أحد أسباب " انسحاب إسرائيل من جنوب لبنان في العام ٢٠٠٠م " هو أنّ إسرائيل أرادت تقويض التأثير والفعالية الإيرانية في عملية السلام من خلال تجريد حزب الله من شرعيته كمنظمة مقاومة بعد أن يكون الانسحاب الإسرائيلي قد تمّ من لبنان.

ويكشف الكتاب أنّ اجتماعات سرية كثيرة عقدت بين ايران واسرائيل في عواصم أوروبية اقترح فيها الايرانيون تحقيق المصالح المشتركة للبلدين من خلال سلة متكاملة تشكل صفقة كبيرة، تابع الطرفان الاجتماعات فيما بعد وكان منها اجتماع " مؤتمر أثينا " في العام ٢٠٠٣م والذي بدأ أكاديميا وتحول فيها الى منبر للتفاوض بين الطرفين تحت غطاء كونه مؤتمرا اكاديميا.

ويكشف الكتاب من ضمن ما يكشف ايضا من وثائق ومعلومات سرية جدا وموثقة فيه، أنّ المسؤولين الرسميين الإيرانيين وجدوا أنّ الفرصة الوحيدة لكسب الإدارة الأمريكية تكمن في تقديم مساعدة أكبر وأهم لها في غزو العراق العام ٢٠٠٣م عبر الاستجابة لما تحتاجه، مقابل ما ستطلبه إيران منها، على أمل أن يؤدي ذلك إلى عقد صفقة متكاملة تعود العلاقات الطبيعية بموجبها بين البلدين وتنتهي مخاوف الطرفين.

وبينما كان الأمريكيون يغزون العراق في نيسان من العام ٢٠٠٣م، كانت إيران تعمل على إعداد " اقتراح " جريء ومتكامل يتضمن جميع المواضيع المهمة ليكون أساساً لعقد صفقة كبيرة مع الأمريكيين عند التفاوض عليه في حل النزاع الأمريكي الإيراني.

وفقا لـ" بارسي "، فإنّ هذه الورقة هي مجرّد ملخّص لعرض تفاوضي إيراني أكثر تفصيلا كان قد علم به في العام ٢٠٠٣م عبر وسيط سويسري (تيم غولدمان) نقله إلى وزارة الخارجية الأمريكية بعد تلقّيه من السفارة السويسرية أواخر نيسان / أوائل أيار من العام ٢٠٠٣م.

هذا وتضمّنت الوثيقة السريّة الإيرانية لعام ٢٠٠٣م والتي مرّت

بمراحل عديدة منذ ١١ أيلول ٢٠٠١م ما يلي:

١- عرض إيران إستخدام نفوذها في العراق لـ (تحقيق الأمن والاستقرار، إنشاء مؤسسات ديمقراطية، وحكومة غير دينية).

٢- عرض إيران (شفافية كاملة) لتوفير الاطمئنان والتأكيد بأنّها لا تطوّر أسلحة دمار شامل، والالتزام بما تطلبه الوكالة الدولية للطاقة الذرية بشكل كامل ودون قيود.

٣- عرض إيران إيقاف دعمها للمجموعات الفلسطينية المعارضة والضغط عليها لإيقاف عملياتها العنيفة ضدّ المدنيين الإسرائيليين داخل حدود إسرائيل العام ١٩٦٧م.

٤- التزام إيران بتحويل حزب الله اللبناني إلى حزب سياسي منخرط بشكل كامل في الإطار اللبناني.

٥- قبول إيران بإعلان المبادرة العربية التي طرحت في قمّة بيروت عام ٢٠٠٢م، أو ما يسمى "طرح الدولتين" والتي تنص على إقامة دولتين والقبول بعلاقات طبيعية وسلام مع إسرائيل مقابل انسحاب إسرائيل إلى ما بعد حدود ١٩٦٧م.

المفاجأة الكبرى في هذا العرض كانت تتمثل باستعداد إيران تقديم اعترافها بإسرائيل كدولة شرعية!! "لقد سبّب ذلك إحراجا كبيرا لجماعة المحافظين الجدد والصقور الذين كانوا يناورون على مسألة "تدمير إيران لإسرائيل" و"محوها عن الخريطة ".

ينقل "بارسي" في كتابه أنّ الإدارة الأمريكية المتمثلة بنائب الرئيس

الأمريكي ديك تشيني ووزير الدفاع آنذاك دونالد رامسفيلد كانا وراء تعطيل هذا الاقتراح ورفضه على اعتبار "أننا (أي الإدارة الأمريكية) نرفض التحدّث إلى محور الشر". بل إن هذه الإدارة قامت بتوبيخ الوسيط السويسري الذي قام بنقل الرسالة.

ويشير الكتاب أيضا إلى أنّ إيران حاولت مرّات عديدة التقرب من الولايات المتّحدة لكن إسرائيل كانت تعطّل هذه المساعي دوما خوفا من أن تكون هذه العلاقة على حسابها في المنطقة.

ومن المفارقات الذي يذكرها الكاتب أيضا أنّ اللوبي الإسرائيلي في أمريكا كان من أوائل الذي نصحوا الإدارة الأمريكية في بداية الثمانينيات بأن لا تأخذ التصريحات والشعارات الإيرانية المرفوعة بعين الاعتبار لأنها ظاهرة صوتية لا تأثير لها في السياسة الإيرانية.

باختصار، الكتاب من أروع وأهم الدراسات والأبحاث النادرة التي كتبت في هذا المجال لاسيما انّه يكشف جزءا مهما من العلاقات السريّة بين هذا المثلّث الإسرائيلي – الإيراني – الأمريكي. ولا شك انّه يعطي دفعا ومصداقية لأصحاب وجهة النظر هذه في العالم العربي والذين حرصوا دوما على شرح هذه الوضعية الثلاثية دون أن يملكوا الوسائل المناسبة لإيصالها للنخب والجمهور على حدا سواء وهو ما استطاع "تريتا بارسي" تحقيقه في هذا الكتاب في قالب علمي وبحثي دقيق ومهم.

*****

سيغلب الجمع ويولون الدبر

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ سورة الأنفال ٣٠

وقال﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ سورة الأنبياء١٤:١٠

رغم الواقع الذي يعيشه المسلمون من تمزق وتشرذم وضعف وتداعي من أمم الأرض، رغم هذا الواقع فإن الإسلام دين البشائر والمبشرات والوعد بالغلبة والنصر والتمكين وظهور المسلمين على العالمين، ويحفل القرآن الكريم بالحديث عن هذه المبشرات التي عادة ما تخرج من قلب اليأس، قال الله تعالى ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجرِمِينَ ﴾ يوسف:١١٠

وقال ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ ﴾ البقره:٢١٤.

ويقول ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ الأنفال:٣٦

وهذا الدين سيغلب جميع من حاربه، فقد صدق من قال هذا الدين إذا ترك إمتد وأذا ضيق عليه إشتد قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ الصف:٩

الظهور على الدين كله أي على كل الأديان، طبعاً في أيام ازدهار الإسلام والفتوح الإسلامية انتصر الإسلام على اليهودية وانتصر الإسلام على المجوسية، وانتصر الإسلام على المسيحية وأخذ منها عدد من البلاد، ولكن بقيت أيضاً للمسيحية بلاد أخرى وبقيت وثنيات كبرى في العالم منها البوذية والوثنيات الآسيوية والإفريقية موجودة إنما نحن عندنا بشرف القرآن يقول أن الإسلام سيظهر على الدين كله، على جميع الأديان ما هو من صنع البشر وما هو من الأديان الكتابية والأديان الوثنية والوضعية، وقال:

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ التوبه:٣٢.

فمتى تكون الغلبة والإنتصار:

القرآن ذكر قانون التغيير، لكي تُغيِّر من أمة لا تكتفي بالتغيير السطحي، الأمة لا تُغيَّر من الظاهر إنما تُغيَّر من داخلها، الأمم تُقاد من داخلها تُقاد من عقولها وضمائرها، فلابد أن تُجدَّد العقول بالتفكير وتُجدَّد القلوب بالإيمان وتُجدَّد العزائم بحيث يترك الناس الاسترخاء واليأس وينهضوا من جديد، عملية إيقاظ من الداخل لكي تقود الأمة من داخلها، ومن هذا عبَّر عنه القرآن بقوله ﴿ إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِم ﴾ الرعد:١١.فقد تركنا الجهاد وترك الأغنياء الزكاة والصدقة وتركوا الشباب الصلاه فيجب علينا بالتناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإذا غيرنا مابأنفسنا فأبشروا بالمبشرات، والسُنَّة مليئة بالمبشرات هناك مبشرات بانتشار الإسلام في العالم، الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن الداري ((ليبلغن هذا الأمر - أي أمر الإسلام - ما بلغ الليل والنهار - حيث ينتشر الليل والنهار سينتشر الإسلام - ولا يبقى بيت مدر أو وبر-

بيت مدر أي المبني بالحجارة وبيت وبر أي بيت الشعر يعني في الحضر أو البوادي - إلا أدخله الله هذا الدين بعِزِّ عزيز أو بذُل ذليل، عز يعز الله به الإسلام وذل يذل الله به الكفر)).

وقال عليه الصلاة والسلام((فأوريت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتي سيبلغ لي ما زوي لي منها)) الأمة الإسلامية ملكت معظم الأراضي القديمة إنما هذه الأرض كلها فالحديث الأول يتحدث عن اتساع الدين وهذا الحديث يتحدث عن اتساع الدولة، وجاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئل: ((أي المدينتين تفتح أولاً رومية أو قسطنطينية، فقال صلى الله عليه وسلم "مدينة هرقل تفتح أولاً" ومعنى هذا أن الصحابة كانوا قد سمعوا أن المدينتين ستُفتحان بالإسلام، ومعنى رومية:هي روما عاصمة إيطاليا))

ومن المبشرات النبي صلى الله عليه وسلم قال ((لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا عبد الله يا مسلم هذا يهودي ورائي فتعال فاقتله، إلا شجر الغرقد فإنه من شجر اليهود)) كان الناس قديماً يعجبون من هذا الحديث كيف يقاتل المسلمون اليهود واليهود يعيشون في ذمة المسلمين وفي حماية المسلمين فكيف يقاتلون المسلمين، وهم مايعلمون إنهم سيغزون وسيسرفون في قتل ولكن لهم يوم فقد أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام. ويقول أحد العلماء أن كلمة "لا تقوم الساعة " ليس من الضروري أن تكون الساعة في أعقابها إنما يدل على أن هذا أمر واقع لابد منه هناك أشياء قيل عنها " لا تقوم الساعة " وحصلت، فهذا دليل على أنه أمر لابد أن يقع قبل أن ينفض سرادق هذا الكون.

رواه الإمام أحمد والطبراني ورواته الثقات في أنه ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من جابهم - أو من خالفهم - إلا ما أصابهم من لئواء - أي من أذى في الطريق - حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال "ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس))

أنا أقول أن المبشرات من القرآن والمبشرات من السنة والمبشرات من التاريخ وأن اليوم أفضل من الأمس وأن الغد أرجو أن يكون أفضل من اليوم ولن نيأس أبداً وإن نصر الله لقريب.

ولكن مع هذه المبشرات، لاأنسى أن أقول لرجال المقاومة في فلسطين وكافة الديار فأقول لهم صبرًا، وأذكِّرُهم وكافةَ المجاهدين في كل حين بقول الله :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران:٢٠٠، وقولِه: ﴿ وَلاَ تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ النساء:١٠٤

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

الفهرس

* * * *